المختصر الأسمى

في شرح

الأسماء الحسنى

يُستغاث ويُستمطر ويُستشفى بها

كتبه وشرحه ونقّحه
الشيخ العالم العلامة المربي

محمد عيد عبدالله يعقوب الحسيني

الطبعة الثانية
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م
حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم ..

الحمد لله الذي حارَتِ الأفكار في مبادئ أنوار كبريائه وصَمَدِيّته ، وتاهَتِ الأنظار في مطالع أسرار عِزّته وفردانيّته ، وشَهِدَتْ ذوات المخلوقات على كمال قدرته وأُلوهِيّته ، ودَلّتْ أجزاء السّماوات والأرضين على نهاية عِلْمه وجلال حِكْمته ..

والصلاة والسّلام على نبي الرحمة محمدٍ ، وعلى آلِه وصَحْبه وعِترته ..

أمّا بعد ..

فقد وفّقني الله تعالى لِتنقيح الكلام في شرح أسماء الله تعالى وصفاته ، وتحقيق القول في تفسير نُعوته وسِماته ، فصنّفتُ هذا الكتابَ وسَمَّيْته :

﴿ المختصر الأسمى في شرح الأسماء الحسنى ﴾

وما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكّلتُ وإليه أُنيب .

خادم العلم الشريف

محمد عيد يعقوب الحسيني

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

هو الله الذي لا إله إلا هو

الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر

الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض

الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف

الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب

الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد

الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي

المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر المقتدر

المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب

المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني

المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسّلام على سيدنا محمدٍ النبيِّ الأُمي ، وعلى آله وصَحْبه أجمعين .

وبعدُ ،

لقد وَرَدَ في كتاب الله تبارك وتعالى ذِكْرُ الأسماء الحسنى في أربعة مواضع ، وهي :

قوله ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (٢) .

وقال ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ (٣) .

(١) : سورة الأعراف ، الآية ١٨٠ .
والمعنى : أيْ سَمُّوه واذْكُروه واعْبُدوه بها .

(٢) : سورة الإسراء ، الآية ١١٠ .

(٣) : سورة طه .

وقــال سبحــانـــه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١) .

وأمّـا في السُّـنـة الشـريفـة :

فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " لله عز وجل تـسعة وتـسعون اسمـاً ، مائـة إلّا واحـداً ، لا يحفظهـا أحـدٌ إلّا دَخَـلَ الجنـة ، وهو وَتْـر يحب الوَتْـر " (٢) .

وفي رواية ثانيـة عنـه كذلك عن النبي ﷺ قـال : " إنَّ لله تسعة وتسعين اسمـاً ، مائـة غـير واحدة ، مَنْ أحصاها دَخَـلَ الجنــة : هـو الله الـذي لا إلـه إلّا هو الرّحمن، الرّحيم ، الـمَلِـك ، القُـدّوس، السّلام ، المـؤمن ، الـمُهَـيْمِن، العزيـز، الجبّـار، الـمُتَـكَـبِّر، الخـالق ، البـارِئ ، الـمُصَوِّر، الغَــفّار ، القَــهّار ، الوَهّـاب ، الـرزّاق ، الفتّـاح ، العلـيم ، القـابض ، الباسط ، الخـافض ، الرّافـع ، الـمُعِـزّ ، الـمُـذِلّ ، الـسّميع ، البـصير ،

(١) : سـورة الحشـر .

(٢) : أخرجـه البخاري واللّفظ له ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأحمـد ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي في سننه ، والطبراني ، وأبو نعيم .

الـحَكَم ، العَـدْل ، اللّـطيـف ، الخـبيـر، الحـليـم ، العظيـم ، الغفــور، الشّـكور، العَلِـيّ، الكبـير، الحفيظ ، الـمُـقيـت ، الحَـسيب ، الجليـل، الكريم ، الرّقيـب ، الـمُجيـب ، الواسع ، الحكيـم ، الوَدود ، الـمَجيـد ، البـاعِث ، الشّـهيد ، الحـقّ ، الوكيــل ، القـوي ، الـمَتيــن ، الوَلِــيّ ، الحميـد ، الـمُحْـصي ، الـمُـبْـدِئ ، الـمُعيـد ، الـمُحْيِـي ، الـمُميــت ، الحـيّ ، القَـيّوم ، الواجِـد ، الـمـاجِــد ، الواحــد ، الـصّمـد ، القـادر ، الـمُقْـتَـدِر، الـمُقَـدِّم ، الـمُؤَخِّـر، الأَوّل ، الآخِـر، الظاهـر ، البـاطن ، الوالي ، الـمُتَعـالي ، البَـرّ ، الـتـوّاب ، الـمُنْـتَـقِـم ، العَـفُـوّ ، الرّؤوف ، مالـك الـمُلْـك ، ذو الجـلال والإكـرام ، الـمُقْـسِط ، الجـامع ، الغَنِــيّ ، الـمُغْـنـي ، الـمـانـع ، الضّـار ، النّــافع ، النــور ، الهــادي ، البديــع ، البـاقي ، الوارِث ، الرّشيـد ، الصّـبور "[١] .

[١] : رواه الترمذي واللّفظ لـه ، والحاكم في المستدرك ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي في سننـه الكبرى .
قال الترمذي : هذا حديث غريـب حدّثنــا بـه غـير واحـد عـن صـفوان بـن صالح ، ولا نعرفه إلّا مِن حـديث صـفوان بـن صـالح وهـو ثقـة عنـد أهـل الحديث . وقد رُوِيَ هذا الحديث مِن غير وجه عن أبي هريـرة عـن النبـي ﷺ ، ولا نعلم في كبير شيءٍ مِنَ الروايـات له إسـناد صحيح ذِكْـرَ الأسمــاء إلّا في هذا الحـديث .

والمراد مِنْ قول النبي ﷺ أنَّ مَنْ حَفِظَها ووَعاها ، وذَكَرَ الله بها واسْتَحْضَرَه ﷻ ومعانيها ، واسْتَشْعَرَ آثارها مِنَ الرجاء والخوف والخشية ... إلى غير ذلك ، دَخَلَ الجنة إنْ شاء الله تعالى .

وليس المراد حَصْر أسماء الله تعالى في هذه الأسماء ، فبعضهم أَوْصَلَها إلى ألف ؛ لِذا نقول : [نسألك اللّهم بكلِّ اسمٍ سَمَّيْتَ به نفسك ، واسْتَأْثَرْتَ به في عِلْم الغيب عندك] .

فأسماء الله تعالى عظيمة كعِظَمِ الله ﷻ ، وكمالاته تعالى مِنْ أسماء وصفات لا نهاية لها ، ولكنه تعالى ما كَلَّفَنا إلّا بما في وسعنا وطاقتنا ، فله مزيد الحمد ووافر الشكر سبحانه .

وهناك اسمٌ عظيم وكريم جداً هو (اسم الله الأعظم) وهو تمام المائة ، لا يعرفه إلّا الكبار مِنْ عباد الله كالأنبياء والأولياء الكبار . وهذا الاسم إذا دُعِيَ به ﷻ أجاب ، وإذا سُئِلَ به أَعْطى ، حيث الذي يدعو به إنسانٌ عارف ذو قلبٍ حاضر ، ولسانٍ ذاكر ، وحضورٍ دائم .

وإليكم أَذكر ما وَرَدَ في تفسير هذه الأسماء موجزاً إنْ شاء الله تبارك وتعالى :

((لفظ الجلالة))

(الله) عَلَمٌ على الذّات الواجب الوجود دائماً .

وقد قال بعضهم : إنه الاسم الأعظم ، وفيه مؤلَّفات لِكثير مِنَ العلماء .

وهو المستحق لجميع المحامد ، لم يَتَسَمَّ به سواه ، قال تعالى : ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[1] ؟ والمعنى : هل تَعلم أحداً سُمِّيَ الله غير الله تبارك وتعالى ؟ وقد تَسَمّى به سبحانه قبل أنْ يُسَمّى ، وأنزله على آدم في جملة الأسماء .

وقد ذُكِرَ في القرآن الكريم في ألفين وثلاثمائة وستين موضعاً .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى : (الله) هو اسمٌ للموجود الحقِّ الجامع لصفات الإلهية ، المنعوت بنُعوت الرّبوبيّة ، المتفرّد بالوجود

---

(1) : سورة مريم .

الحقيقي . فإنَّ كلَّ موجودٍ سواه غيرُ مستحقّ الوجود بذاته ، وإنما استفاد الوجودَ منه ، فهو مِنْ حيث ذاته هالكٌ ومِن الجهة التي تليه موجود ، فكلُّ موجودٍ هالكٌ إلّا وجهه .

والأشبه أنه جارٍ في الدّلالة على هذا المعنى مجرى أسماء الأعلام ، وكلُّ ما ذُكِرَ في اشتقاقه وتعريفه تعسّفٌ وتكلّف .

وفي القول في اشتقاق هذه التَّسْمية: هل هي مشتقّة مِنْ معنىً أو لا؟ قال بعض العلماء : قد اختُلِف في ذلك ، فمنهم مَنْ قال : إنَّ هذا الاسم غيرُ مشتقٍّ مِنْ معنى ، وهو اسمٌ تَفَرَّدَ به الله تعالى ، فهو اسمٌ خالصٌ كما تكون لغيره أسماء الأعلام والألقاب ، إلّا أنه لم يُطْلَق في وصفه تعالى اسم اللّقب والعَلَم لعدم التوقيف . وهذا أحد قولي الخليل بن أحمد ، ويُحكى عن الشافعي أنه قال بهذا القول ، وإليه ذَهَبَ الشيخ الحسين بن الفضل وكثير مِن أهل الحق مِمَّنْ سَلَكَ هذه الطريقة ، قال : لم نَرَ أهلَ اللغة تصرّفوا في اشتقاق هذا الاسم ، وما كانوا يستعملونه في غير الله ، بل قَلَّ ما يوجد في كلامهم استعمال لفظ (الله) قبل الشرع في صفته تعالى فضلاً عن صفة غيره ، فكانوا يكتبون : (باسمك اللّهم) ، وقد قال الله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[1] ؟

---

[1] : سورة مريم .

ولـهذا قـال بعض المـشايخ : كلُّ اسـمٍ مِـنْ أسمـائـه تعـالى يَـصْلُـحُ التَّخَلُّـقُ به إلّا هذا الاسم ، فإنه للـتعلّـق دون الـتخلّـق .

وقال الرازي : اتّـفق العلمـاء الذين تكلّموا في معاني أسمـاء الله تعـالى أنَّ ما سوى هذه اللّفظة مِنْ أسمـاء الله تعـالى فهـي مِـنْ بـاب الـصفات المشتـقة ، أمّـا هذه اللّفظة فقد اختلفوا فيها ، فقال أكثر المحـقّقين : إنهـا غير مشتـقة مِن شيءٍ أصلاً ، بل هو اسمٌ انفرد الحق سبحانه به كأسمــاء الأعلام. وهو قول الشافعي ، وأبي حنيفة ، والحسين بن الفضل البجلي ، والقفـال الشاشي ، وأبي سليمـان الخـطابي ، وأبي يزيد البلخي، والشيخ الغزالي . ومن الأدبـاء أحد قولي الخليـل ، وسيبويـه ، والمـبرّد .

واعلم أنَّ هذا الاسم أعظم أسمـاء الله ﷻ مِنَ التسعة والتسعين ؛ لأنه دالٌّ على الذّات الجامعة لصفات الإلهيـة كلِّها حتى لا يشـذّ منهـا شيء ، وسائر الأسمـاء لا يدل آحادُها إلّا على آحاد المعـاني مِـنْ علـمٍ أو قـدرة أو فعـلٍ أو غـيره . ولأنه أخصّ الأسمـاء ، إذْ لا يُطلقـه أحدٌ على غـيره لا حقيقـة ولا مجازاً ، وسائـر الأسمـاء قد يُـسَمّى بـه غـيره : كالقـادر والعليم والرحيم .... وغيره . فلهذين الـوجهين يُـشبـه أنْ يكـون هـذا الاسم أعـظم هذه الأسمـاء .

<u>((تنبيـه١))</u> : معاني سائـر الأسمـاء يُـتَصوّر أنْ يتّصف العبدُ بشيءٍ منها

حتى ينطلق عليه الاسم : كالرحيم والعليم والحليم والصبور والشكور ... وغيره ، وإنَّ إطلاق الاسم عليه على وجهٍ آخَر يُباين إطلاقه على الله ﷻ . وأمّا معنى هذا الاسم فخاصٌّ خصوصاً لا يُتصوّر فيه مشاركة لا بالمجاز ولا بالحقيقة ؛ ولأجل هذا الخصوص تُوصَف سائر الأسماء بأنها اسمٌ لله ﷻ ، وتُعْرَف بالإضافة إليه فيقال : الصبور والشكور والملك والجبار مِنْ أسماء الله ﷻ ، ولا يقال : الله مِن أسماء الشكور والصبور ؛ لأنَّ ذلك مِنْ حيث هو أَدلّ على كُنْه المعاني الإلهية وأخصّ بها كان أشهر وأظهر، فاسْتُغْنِيَ عن التّعريف بغيره وعُرِّفَ غيره بالإضافة إليه .

((تنبيه٢)) : ينبغي أنْ يكون حظ العبد مِنْ هذا الاسم التألّه، وأَعني به أنْ يكون مُسْتَغْرِقَ القلب والهِمّة بالله ﷻ ، لا يَرى غيرَه ولا يلتفت إلى سواه ، ولا يرجو ولا يخاف إلّا إيّاه . وكيف لا يكون كذلك وقد فهم مِنْ هذا الاسم أنه الموجود الحقيقي الحقّ ، وكل ما سواه فانٍ وهالك وباطل إلّا به ، فيرى أولاً نفسَه أولَّ هالكٍ وباطلٍ ، كما رآه رسول الله ﷺ حيث قال : أصدق بيتٍ قالته العرب قول لبيد :

أَلَا كلُّ شيءٍ ما خَلا الله باطل ... وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

*****

الرحمن الرحيم

(**الرّحمـن**) الـمُنْعِم بجلائـل النِّعَم سبحانـه .

و (**الرّحيم**) الـمُنْعِم بدقائـق النِّعَم .

والرحمن أبلغ مِنَ الرّحيم ؛ لأنَّ زيادة المبنـى تدل على زيادة المـعنى .

فهذان الاسمـان في الرحمة بمعنى: مريد الإحسان أو محسن بالفعـل ، والأمران واقعان ، فهمـا صفة ذات على الأول ، وصفـة فعل على الثاني .

واعلم أخي المسلم أنَّ الكتاب والسّنة قد تنـاولا ذِكْـر (الرّحمـن الـرّحيم) في مواضع كثيرة ، منـها :

قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[١] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾[٣] .

---

١) : سـورة الفـاتحـة .

٢) : سـورة البقـرة .

٣) : سـورة النمـل .

وقد روى عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : " أنا الله وأنا الرحمن ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وشَقَقْتُ لها اسماً مِنْ اسمي ، فمَنْ وَصَلَها وَصَلْتُه ، ومَنْ قَطَعَها بَتَتُّه "[1] .

قال الخطابي : الرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وَسِعَت الخَلْق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم، وعَمَّت الجميع المؤمنَ والكافر. وأمّا الرحيم فخاصٌّ بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[2] . والرّحيم وزنه فعيل بمعنى فاعل ، أي راحِم .

وقال أبو حامد الغزالي : (الرّحمن الرّحيم) اسمان مشتقّان مِنَ الرحمة ، والرحمة تَسْتدعي مرحوماً ، ولا مرحوم إلّا وهو محتاج ، والذي ينقضي بسببه حاجةُ المحتاج مِنْ غير قصدٍ وإرادةٍ وعنايةٍ بالمحتاج لا يُسَمّى رحيماً . والذي يريد قضاء حاجته ولا يقضيها ، فإنْ كان قادراً على قضائها لم يُسَمَّ رحيماً ، إذ لو تَمَّت الإرادة لَوَفّى بها ، وإنْ كان عاجزاً فقد يُسَمّى رحيماً باعتبار ما اعْتَوَرَه مِنَ الرِّقّة ولكنه ناقص ، وإنما الرحمة التّامة إفاضةُ الخير على

---

[1]) : أخرجه الترمذي وصحّحه ، وأبو داود ، وأحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي ، والبخاري في الأدب ، والحميدي ، والبزار في مسنده ، وأبو يعلى ، والطبراني في الأوسط .

[2]) : سورة الأحزاب .

المحتاجين وإرادتُه لهم عنايةً بهم ، والرحمة العامة هي التي تتناول المستحقّ وغير المستحقّ .

ورحمةُ الله عَزَّ وَجَلَّ تامّة وعامة ، أمّا تمامها فمِنْ حيث أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها ، وأمّا عمومها فمِنْ حيث شمل المستحقّ وغير المستحقّ ، وعَمَّ الدنيا والآخرة ، وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنهما ، فهو الرحيم المطلق حقّاً .

وقد أنكر بعض الناس اشتقاق الرحمن لاختصاص الله تعالى به كسائر الأسماء المختصة به؛ ولأنه لو كان مشتقّاً مِنَ الرحمة لاتّصل بذِكْر المرحوم ، فجاز أنْ يقال : الله رحمن بعباده ، كما يُقال : رحيم بعباده . ولأنه لو كان مشتقّاً مِنَ الرحمة لم يُنكره العرب حين سمعوه ، إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠) ﴾[1] . قال ابن العربي : ووجهه أنَّ العرب لم تَعْلَمه حين قالت : ﴿ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ؟!

وذهب الجمهور مِنَ الناس إلى أنه مشتق مِنَ الرحمة ، مبنيٌّ على المبالغة، ومعناه ذو الرحمة لا نظير له فيها ؛ ولذلك لا يُثنّى ولا يُجمع كما يُثنّى الرحيم ويُجمع ، وبناء فعلان في كلامهم بناء المبالغة .

---

(١) : سورة الفرقان .

قال ابن الحصار : فقد دلّ الحديث الصحيح على الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق ، وإنكار العرب له لجهلهم بالله تعالى وبما وجب له . قال : وزعم ابن العربي أنهم إنما جهلوا الصفة دون الموصوف ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ ؟!

وقال القرطبي : الرحمن والرحيم اسمان مشتقّان مِنَ الرحمة ، والرحمة قد تكون ذاتيةً فيه تعالى ، فترجع إلى إرادة فيض الخير عموماً أو خصوصاً ، فيكون الرحمن والرحيم مِنْ صفات الذات . وقد تكون نفس الفيض والإنعام ، فيكونان مِنْ صفات الأفعال .

وإلى الرحمة الفعلية أشار بقوله تعالى: ﴿ وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً ﴾ (١) ، إذ الصفة الذاتية لا تُوهب .

وبقوله : " إنَّ رحمتي سَبَقَتْ غضبي " (٢) ؛ لأنك إذا رَدَدْتَ الرحمةَ إلى إرادة الإنعام ، والغضبَ إلى إرادة الانتقام ، فلا يسبق أحدهما الآخر لأنهما راجعان إلى نفس الإرادة ، وليس في الإرادة تقدّمٌ ولا تأخّر ،

---

(١) : سورة آل عمران ، الآية ٨ .

(٢) : رُوِي مِن حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " إنَّ الله كتب كتاباً قبل أنْ يخلق الخلق : إنَّ رحمتي سبقت غضبي ، فهو مكتوبٌ عنده فوق العرش " .
أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأحمد ، وابن حبان في صحيحه ، وأبو يعلى في مسنده ، والطبراني ... وآخرون .

فلا بد أنْ يكون التقدير : سَبَقَتْ رحمتي غضبي في الوجود والإبداع .
أو يكون السّبق هنا بمعنى الغلبة ، فتكون الرحمة أوسع مِنَ الغضب .

وإذا تقرّر هذا وعَلِمْتَه فاعلم أنَّ وَصْفه نفسَه جلّ وعزّ وتقدّمت أسماؤه بأنه ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ بعد قوله : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [1] ؛ لأنه لَـمّا كان في اتّصافه برب العالمين ترهيبٌ قَرَنَه بالرحمن الرحيم لِما تضمّنه مِنَ الترغيب ؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه ، فيكون أَعْوَن على طاعته وأَمْنَعَ مِنْ معصيته .

وقال بعضهم : إنه لا يجوز أنْ يُجمع بين الرحمن الرحيم إلّا لله ﷻ ، وجائز أنْ يقال : رجل رحمان كما قيل : رجل رحيم .

وأكثر العلماء على أنَّ الرحمن مختصٌّ بالله ﷻ لا يجوز أنْ يُسَمّى به غيره ، أَلَا ترى أنه سبحانه قال : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ ﴾ [2] ؟ فعادل الرحمن بالاسم الذي لا يشركه تعالى فيه غيره . وأيضاً لَـمّا كان معنى الرحمن استغراق الخلق بالرحمة ، لم يكن لتمام معناه وجودٌ في الخلق ، فلم يَجْرِ بحقٍّ على أحدٍ منهم ، وإنما يُوجَد فيهم حَظٌّ

---

(1) : سورة الفاتحة .
(2) : سورة الإسراء ، الآية ١١٠ .

خاص مِن معناه يَجري عليهم به اسم الرحيم لا اسم الرحمن ؛ فلذلك لَحِقَ اسم الرحمن في معنى استغراقه باسم الله في ذات إحاطته .

وقد قيل في اسمه الرحمن : إنه اسم الله الأعظم ، ذَكَرَه ابن العربي .

قال ابن الحصار : والمعتمد في الباب الإجماع مِنَ العلماء على أنه لا يجوز أنْ يوصف بهذا الوصف ولا يَتَسَمّى بهذا الاسم إلّا الله ﷻ ، وقد تجاسر مسيلمة الكذاب فتسمّى برحمن اليمامة ، فذلّ وكفر وألزمه الله نَعْتَ الكذب . وأمّا رحيم فقد يُوصَف العبد بمنظومه إذا اتّصف بمفهومه ، وأحقّ مَنْ وُصِفَ به رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[1] .

وقد وَصَفَ الله تعالى نفسه بأنه أرحم الراحمين ، وذلك يدلّ على المشاركة في هذا الوصف والإذن في إجرائه على العبد .

<u>((فائدة))</u> : الرحمن أخصّ مِنَ الرحيم ؛ ولذلك لا يُسَمّى به غير الله ﷻ . والرّحيم قد يُطلق على غيره ، فهو مِنْ هذا الوجه قريبٌ مِن اسم الله تعالى الجاري مجرى العَلَم وإنْ كان هذا مشتقاً مِنَ الرحمة قَطْعاً ؛ ولذلك جَمَعَ الله ﷻ بينهما فقال : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا

(١) : سورة التوبة .

تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾[1] .

فيلزم مِنْ هذا الوجه ومِن حيث مَنَعْنا الترادف في الأسماء المحصاة أنْ يُفَرّق بين معنى الاسمين ، فبالحريّ أنْ يكون المفهومُ مِنَ الرحمن نوعاً مِنَ الرحمة هي أبعدُ مِنْ مقدورات العباد ، وهي ما يتعلّق بالسعادة الأُخروية . فالرحمن هو العطوف على العباد بالإيجاد أولاً ، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانياً ، والإسعاد في الآخرة ثالثاً ، والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعاً .

((ملاحظة)) : حظُّ العبد مِن اسم الرحمن أنْ يَرحم عبادَ الله الغافلين ، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بالوعظ والنُّصْح ، بطريق اللّطف دون العنف . وأنْ يَنظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإِزْراء ، وأنْ يكون كلُّ معصيةٍ تجري في العالَم كمصيبةٍ له في نفسه، فلا يَأْلو جهداً في إزالتها بِقَدْر وُسْعه؛ رحمةً لذلك العاصي أنْ يتعرّض لسخط الله ويَسْتَحِقّ البُعْد مِن جواره .

وحظُّه مِن اسم الرحيم أنْ لا يَدَعَ فاقةً لِمُحتاجٍ إلّا يَسُدّها بِقَدْر طاقته ، ولا يترك فقيراً في جواره وبلده إلّا ويقوم بتعهّده ودَفْع فقره ، إمّا بماله أو جاهه أو السّعي في حقه بالشفاعة إلى غيره ، فإنْ عجز

---

[1]) : سورة الإسراء ، الآية ١١٠ .

عن جميع ذلك فيُعينه بالدعاء أو إظهار الحزن بسبب حاجته ؛ رِقّةً عليه وعطفاً حتى كأنه مُساهِمٌ له في ضرّه وحاجته .

((تنبيه)) : مِنْ قائلٍ يقول : ما معنى كونه تعالى رحيماً ، وكونه أرحم الراحمين ، والرحيم لا يَرى مُبْتَلَياً ومَضْروراً ومُعَذَّباً ومريضاً وهو يَقدر على إماطة ما بهم إلّا ويُبادر إلى إماطته ، والربُّ ﷻ قادرٌ على كفاية كلِّ بَلِيّةٍ ، ودَفْع كلِّ فقرٍ وغُمّة ، وإماطة كلِّ مرضٍ ، وإزالة كلِّ ضرر ، والدنيا طافحةٌ بالأمراض والمِحَن والبلايا ، وهو قادرٌ على إزالة جميعها وتاركٌ عباده مُمْتَحَنين بالرّزايا والمِحن ؟!

والجواب على ذلك أنَّ الطفل الصغير قد تَرِقُّ له أُمه فتمنعه عن الحجامة ، والأبُ العاقل يَحمله عليها قهراً ، والجاهلُ يظنّ أنَّ الرحيم هي الأم دون الأب ، والعاقل يَعلم أنَّ إيلام الأب إيّاه بالحجامة مِنْ كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته، وأنَّ الأم له عدوٌّ في صورة صديق، وأنَّ الألم القليل إذا كان سبباً للّذة الكثيرة لم يكن شراً بل كان خيراً .

والرحيمُ يريد الخير بالمرحوم لا محالة، وليس في الوجود شرٌّ إلّا وفي ضمنه خير ، لو رُفِعَ ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه ، وحَصَلَ ببطلانه شرٌّ أعظم مِنَ الشر الذي يتضمّنه .

فاليد المتأكّدة قَطْعها شر في الظاهر ، وفي ضمنه الخير الجزيل وهو سلامة البدن ، ولو تُرِكَ قَطْع اليد لحصل هلاكُ البدن ولكان الشر

أعظم ، وقَطْعُ اليد لأجل سلامة البدن شرٌّ في ضمنه خير ، ولكن المراد الأول السّابق إلى نَظَر القاطع السلامة التي هي خيرٌ محض ، ثم لَمّا كان السبيل إليه قَطْع اليد قَصَدَ قَطْعَ اليد لأجله ، فكانت السّلامةُ مطلوبةً لِذاتها أولاً ، والقَطْعُ مطلوباً لغيره ثانياً لا لِذاته ، فهما داخلان تحت الإرادة ، ولكنَّ أحدهما مرادٌ لِذاته ، والآخَر مرادٌ لغيره ، والمراد لِذاته قبل المراد لغيره .

ولأجله قال الله ﷻ : " سَبَقَتْ رحمتي غضبي "(١) .

فغضبه إرادته للشر والشرُّ بإرادته ، ورحمته إرادته للخير والخيرُ بإرادته ، ولكنْ إذا أراد الخيرَ للخير نفسِه ، وأراد الشرَّ لا لِذاته ولكنْ لِما في ضمنه مِنَ الخير ، فالخيرُ مَقْضِيٌّ بالذّات ، والشرُّ مَقْضِيٌّ بالعرض ، وكلٌّ بِقَدر ، وليس في ذلك ما ينافي الرحمة أصلاً .

*****

(١) : رُوِي مِن حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ مِن عدة طرق وبأسانيد مختلفة ، وقد تقدّم معنا ذِكْره ص ١٦ .
وبهذا اللّفظ مختصراً رواه الإمام مسلم ، وأحمد في مسنده ، وأبو يعلى ، والحميدي ، والبيهقي في الشعب .

الملك

(**الـمَـلِـك**) ذو الـمُلْـك .

أو الـمُـتَـصَرِّف في مُلْكـه بالإيجاد والإعدام ونحوهما .

فهو صفـة ذاتٍ على الأول ، وصفـة فِعْلٍ على الثاني (١) .

قال الإمام الغزالي رحمه الله : الـمَلِـك هـو الـذي يَسْتغني في ذاته وصفاته عن كلِّ موجودٍ ، ويحتاج إليه كلُّ موجودٍ ، بل لا يستغني عنه شيءٌ في شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في وجوده ولا في بقائه ، بل كلُّ شيء فوجوده منه أو مِمّا هو منه . فكلُّ شيءٍ سواه هو له مملوك في ذاته وصفاته ، وهو مُسْتَغْنٍ عن كلِّ شيءٍ ، فهذا هو الـمَلِـك مطلقاً .

ومِنْ آداب مَنْ عَرَفَ أنَّ الـمُلك لله أنْ يثق بما يرجوه مِنَ الله ويأمله في جميع ما ينفق فيه ويفعله ويذره ويستعمله ، ويكون بما بيد الله أوثق مِمّا في يده .

(١) : أي صفة نَشَأَ عنها الفِعْل والتأثير .

حُكِـيَ عن شقيق البلخي أنه قال : كان ابتـداء توبتي أني رأيتُ غلامـاً في سَنـة قحطٍ يَمزح زهواً والناسُ تَعْلوهم الكآبـة لِـمُـقاسـاة الجدوبة ! فقلتُ له: يا هذا ، ما هذا المـرح ؟! أمَـا ترى ما فيـه الناس مِنَ المِحَـن ؟! فقال : ما يَحِـقّ لي حزنٌ ولسيدي قريةٌ مملوكة يدّخر منها ما احتاج إليـه . فـقلتُ في نفـسي : إنَّ هذا العبـد لمخلـوق ، ولا يَـسْتَـوْحِش لأنَّ لِـسيده قرية مملوكـة ، فكيـف يَـصِحّ أنْ أَسْتَـوْحش وسـيدي مالـك الملـوك ؟ فانـتبهتُ وتُـبْتُ .

وحُكِـيَ عن بِشْر الحافي أنه قال: رأيتُ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالـب رضي الله عنه في النـوم فقلتُ لـه : عِظْـني يا أمـير المؤمنـين ، فقال لي : مـا أحـسن عطف الأغنيـاء على الفقراء طلبـاً للثـواب ! وأحـسنُ مِـنْ ذلـك تِـيـهُ الفـقـراء على الأغنيـاء ثـقـةً بالله . فقلتُ : زِدْني يا أمير المؤمنـين ، فقال :

قـد كنـتَ ميتـاً فـصِرْتَ حيـاً وعـن قريـب تـصير ميتـا
عـزّ بـدارِ الفَنـاء بيـتٌ فـابْـنِ بـدارِ البقـاء بيتـا

وقـال بعضهم : مِنْ أَمـارات التوحيـدِ والثـقـةِ بالمـعبود كثـرةُ العيـال على بسـاط التوكل .

ومِنْ آداب مَنْ كـان واثـقـاً بـالله تعـالى أنْ لا يَحتـشم مِـنَ الإنــفاق والبـذل في سبيـل الله ؛ تَـحَـقُّـقـاً بأنَّ الـخَلَـفَ منـه تعـالى مُعَجَّـلٌ ، وجميـلُ العُقْبـى مُؤَجَّـل .

حُكِيَ عن حاتم الأصم أنه كان صائماً يوماً ، فلمّا أمسى قُدِّمَ إليه فطوره ، فجاء سائلٌ فدَفَعَ ذلك إليه ، فحُمِلَ إليه في الوقت طبقٌ عليه مِنْ كلِّ لونٍ مِنَ الأطعمة والحلاوة . فأتاه سائلٌ آخر فدَفَعه إليه ، ففُتِحَ له بِصُرَّةٍ فيها دنانير في الوقت ، فلم يتمالك أنْ صاح : الغوث مِنَ الخلف ، الغوث مِنَ الخلف . وكان في جيرانه مَنْ يُسَمّى خلفاً ، فتسارع الناس إليه وقالوا : لِمَ تُؤْذي الشيخَ حتى يَصيح منك ؟! وحَمَلوه إليه فقال : إني لم أَعْنِه ، وإنما عجزتُ عن شكر الله تعالى على ما يُعَجِّل لي مِنَ الخلف ... وذَكَرَ القصة .

<u>((تنبيه: مَنْ مَلَكَ نفسَه مَلَكَ غيره))</u>: العبدُ لا يُتصوّر أنْ يكون مَلِكاً مطلقاً ، فإنه لا يَسْتغني عن كلِّ شيءٍ ، فإنه أبداً فقير إلى الله تعالى وإنِ استغنى عمَّنْ سواه . ولا يُتصوّر أنْ يحتاج إليه كلُّ شيءٍ ، بل يَسْتغني عنه أكثر الموجودات، ولكن لَمّا تُصُوِّرَ أنْ يَستغني عن بعض الأشياء ولا يستغني عنه بعضُ الأشياء كان له شوب مِنَ المَلِك .

فإنَّ المَلِكَ مِنَ العِباد هو الذي لا يَمْلِكه إلّا الله تعالى ، بل يستغني عن كلِّ شيءٍ سوى الله ﷻ ، وهو مع ذلك يَملك مملكته بحيث يُطيعه فيها جنوده ورعاياه . وإنما مملكته الخاصة به قلبه وقالبه وجُنده وشهوته وغضبه وهَواه ، ورَعِيَّته لسانه وعيناه ويداه وسائر أعضائه ، فإذا مَلَكها ولم تَمْلِكه ، وأطاعَتْه ولم يُطِعْها ، فقد نال

درجة الـمَلِـك في عالَـمـه . فإنِ انضمّ إليـه استغنـاؤه عن كلِّ النـاس ، واحتاج النـاسُ كلُّهم إليـه في حياتهم العاجلة والآجلة ، فهـو الـمَلِــك في عالَـم الأرض . وتلك رتبـة الأنبيـاء صـلوات الله علـيهم أجمعـين ، فإنهم استـغنوا في الهدايـة إلى الحيـاة الآخـرة عـن كـلِّ أحـدٍ إلّا عـن الله ﷻ ، واحـتاج إليهم كـلُّ أحــد . ويليـهم في هـذا الـملــك العلمــاءُ الذين هم ورثـة الأنبياء ، وإنمـا مُلْــكهم بِقَــدْر قُـدرتهم عـلى إرشـــاد العباد واستغنـائهم عن الاسترشـاد . وبهذه الصفات يقـرب العبـد مِـنَ المـلائكـة في الصفات ، ويتقـرّب إلى الله تــعالى بـــها . وهـذا الـملــك عَطِـيّـة للعبـد مِنَ الـمَلِـك الحـق الذي لا مَـثْـنَـوِيّـة في مُلْـكـه .

ولقد صَدَقَ بعـضُ العـارفين لَـمّــا قـال لـه بعـض الأمـراء : سَـلْني حاجتـك ، حيـث قـال : أوَ تقـول لي هـذا ولي عبـدان همـا سيّــداك ؟! فقال : ومَنْ هما ؟ قال : الحرص والهـوى ، فقـد غَلَـبْـتُهمــا وغَلَبــاك ، ومَلَـكْـتُهمـا ومَلَـكاك .

وقال بعضهم لبعض الشيوخ : أَوْصِني ، فقال له : كُنْ مَلِـكاً في الـدنيا تكن مَلِـكاً في الآخرة . قال : وكيف أفعل ذلك ؟ فقال : ازْهَدْ في الـدنيا تكن مَلِـكاً في الآخرة . معنـاه اقْطَـعْ حاجتـك وشـهوتك عـن الـدنيا ، فإنَّ الـملـك في الحريـة والاسـتغنـاء .

❁ ❁ ❁ ❁

القدوس

(**القُدّوس**) المطهَّر المنزّه عن سِمات النقص والحدوث ، فهو الذي أَوْجَدَ الحادث سبحانه ، بل هو المبرّأُ عن النقص ، والطاهرُ عن كلِّ عيبٍ ، ومبرّأ عن أنْ يُدركه حِسٌّ ، أو يتصوّره خيال ، أو يُحيط به عقل ، فهو مِن أسماء التنزيه .

وقال بعض علمائنا : القُدّوس هو المنزّه عن كلِّ وَصْفٍ يُدركه حِسٌّ ، أو يتصوّره خيال ، أو يسبق إليه وَهْم ، أو يختلج به ضمير ، أو يقضي به تفكير . ولستُ أقول : منزّه عن العيوب والنقائص ، فإنَّ ذِكْرَ ذلك يكاد يقرب مِنْ ترك الأدب ، فليس مِنَ الأدب أنْ يقول القائل : مَلِكُ البلد ليس بحائك ولا حجّام ، فإنَّ نَفْي الوجود يكاد يُوهِم إمكان الوجود ، وفي ذلك الإيهام نقص . بل أقول : القُدّوس هو المنزّه عن كلِّ وَصْفٍ مِنْ أوصاف الكمال الذي يَظنّه أكثر الخلق كمالاً ؛ لأنَّ الخلقَ أولاً نَظَروا إلى أنفسهم وعَرفوا صفاتهم ، وأدركوا

انقسامها إلى ما هو كمال ولكنه في حَقِّهم ، مِثْل: عِلْمهم ، وقدرتهم ، وسمعهم ، وبصرهم ، وكلامهم ، وإرادتهم ، واختيارهم ... ، ووَضَعوا هذه الألفاظ بإزاء هذه المعاني وقالوا : إنَّ هذه هي أسماء الكمال ، وإلى ما هو نَقْصٌ في حَقِّهم ، مِثْل: جهلهم ، وعجزهم ، وعماهم ، وصممهم ، وخرسهم ... ، فوَضَعوا بإزاء هذه المعاني هذه الألفاظ ، ثم كان غايتهم في الثناء على الله تعالى ووَصْفِه أنْ وَصَفوه بما هو أوصاف كمالهم مِنْ علمٍ وقدرةٍ وسمعٍ وبصرٍ وكلامٍ ... ، وأن نفَوْا عنه ما هو أوصاف نقصهم ، والله ﷻ مُنَزَّهٌ عن أوصاف كمالهم كما أنه منزّه عن أوصاف نقصهم ، بل كلُّ صفة تُتَصوّر للخَلْقِ فهو منزّه ومُقَدّس عنها وعمّا يشبهها ويماثلها ، ولولا ورود الرخصة والإذن بإطلاقها لم يجز إطلاق أكثرها .

ومِنْ آداب مَنْ عَرَفَ هذا الاسم أنْ يُطَهِّر نفسَه عن متابعة الشهوات ، ومالَه عن الحرام والشُّبهات ، ووقتَه عن دنس المخالفات ، وقلبَه عن كدورة الغفلات ، وروحَه عن المضاجعات والمساكنات ، وسِرَّه عن الملاحظات والالتفاتات ، فلا يتذلّل لمخلوقٍ بالنفس التي بها عَبَده ، ولا يُعَظِّم مخلوقاً بالقلب الذي به شَهِدَه ، ولا يبالي بما فَقَدَه بعد ما وَجَدَه ، ولا يرجع قبل الوصول إليه بعد ما قَصَدَه ، فهو عن الأعراض والأدناس متعاون ، وبما يفوته مِنَ الأغراض وصُحْبة

الأجناس مُتَهاون ، به يقول إذا قال ، وبه يَصول إذا صال ، دَلَّتْ نجوم عقله على ثبوت وجوده ، وأضاءت أقمار علومه بتحقّق نَعْتِ شهوده ، وطلعت شموس معارفه فأَذِنَتْ بغنائه وخموده ، تفرّد عند أفعاله عن دعواه ، وتجرّد في عموم أحواله عن متابعة هواه ، وآثر في جميع أوقاته متابعة رضاه .

واعلم أنَّ الحق سبحانه يُطَهِّر نفوسَ العابدين بِحُسْن تأييده عن دنس المخالفات واتّباع الهوى ، ويُطهّر قلوبَ الزاهدين بِيُمْنِ التَّسْديد عن الرغبة في الدنيا واستشعار المنى ، ويُطهّر أسرارَ العارفين بنور توحيده عمّا سوى المولى . فالعابدون متّصفون بطاعة الله ، مُقْبِلون على عبادة الله ، متحرقون باستشعار الخلوص في تقوى الله. والزاهدون مقيمون على الاكتفاء بِوَعْدِ الله ، مُعْرِضون عمّا يوجب التهمة في ضمان الله . والعارفون إنْ قاموا قاموا بالله ، وإن نطقوا نطقوا بالله ، وإنْ سَكَتوا سكتوا بالله ، فكيفما دارَتْ أوقاتُهم وتصرّفت أحوالهم فالغالب على قلوبهم ذِكْر الله ، لاح لِأسرارهم منه عِلْمٌ ، فطاح عن إحساسهم كلُّ وصم .

أذاقنا الله مِمّا أذاقهم شَمّة ، وإنه وَلِيُّ كلِّ نعمة .

* * * * *

السلام

(**السّـلام**) ذو السّـلام مِنْ كـلِّ نَـقْصٍ وآفـةٍ في ذاتـه سبحانــه ، وفي صفاتـه وأفعالـه .

أو هو مُعْطـي السّـلامـة والأَمْـن لِـمَنْ يشـاء .

أو ذو السّـلام على المـؤمنين في الجنـة ؛ لقوله تعـالى : ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨ ﴾[1] .

فهو صفـة ذاتٍ على الأول ، وصفـة فعـل على الثـاني .

وقيـل : السّـلام هو الذي تَسْلَـمُ ذاتـه عـن العَيْـبِ ، وصفاتُـه عـن النـقص ، وأفعالـه عن الشـرّ ، حتى إذا كان كـذلك لم يكـن في الوجـود سـلامة إلّا وكانت معزيـة إليـه صادرةً منـه .

وقال بعض العارفين : السّـلام اسمٌ مِنْ أسمـائه تعـالى ، وَرَدَ بـه نَـصُّ القرآن ، واختلفوا في معنـاه ، فمـنهم مَـنْ قـال : إنَّ معنـاه ذو الـسّلام ،

---

(١) : سـورة يـس .

والسّلام بمعنى السّلامة ، ومعناه يَعود إلى تنزّه الربِّ سبحانه عن الآفات ، وتقدّسه عن سِمات المخلوقات ، وهو بمعنى القُدّوس .

ومِنْ آداب مَنْ عَرَفَ أنه السّلام أنْ يَسْلَمَ منه المؤمنون ، كما ورد في الخبر عن سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه : " المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون مِنْ لسانه ويده "(١) .

حُكِيَ عن بعضهم أنه رأى إنساناً يغتاب رجلاً فقال : هل غَزَوْتَ العامَ الروم ؟ فقال : لا ، فقال : وهل غزوتَ الترك والهند ؟ قال : لا ، قال : وكيف تَسْلَمُ منك الكفار ولم يَسْلم منك أخوك المسلم ؟!

وحَسْبك أخي المسلم في هذا المجال ما جرى مع سيدنا عثمان بن عفان ﷺ عندما عرك أُذن غلامه فأوجعه ، فقال له الغلام : أَوْجَعْتَني يا مولاي ، فقال عثمان : خُذْ أُذني واعركها ، فأبى الغلام ، فألحّ عليه وقال : لَأَنْ تقتصّ مني في الدنيا أحب إليّ أنْ تقتصّ مني في الآخرة . فعرك الغلام أُذنه ، فقال عثمان : زِدْ ، فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ، إنْ كنتَ تخاف مِنَ القصاص يوم القيامة فأنا أخافه أيضاً .

---

(١) : رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وأحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه ، والدارمي في سننه ، والبيهقي ، والحميدي ، والبزار في مسنده ، وأبو نعيم ، والطبراني ... كلهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص . وفي الباب أيضاً عن جابر ، وأنس ، وأبي موسى ، وفضالة بن عبيد .

ولم يكن عثمـان رضي الله عنه بدعـاً في فعلـه ، إنمـا اقتدى بذلك برسول الله ﷺ حين طلب مِنْ سواد أنْ يقتـصّ منـه .... [1] .

((لطيفـة)) : كلُّ عبـدٍ سَـلِمَ عن الغش والحـقد والحسـد وإرادة الـشر قلبُـه ، وسَـلِمَتْ عـن الآثـام والمحظـورات جوارحُـه ، وسَـلِمَتْ عـن الانتـكاس والانعكاس صفاتُـه ، فهو الذي يأتي الله تعالى بقلبٍ سليم .

* * * * *

[1] : قال ابن إسحاق : وحدّثني حبان بن واسع بن حبان عـن أشـياخ مـن قومـه أنَّ رسول الله ﷺ عدّل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قِدْح – هو الـسهم –، فمرّ بسواد بن غزيّـة حليف بني عدي بن النجار وهو مُسْتَـنْصِل مِـنَ الـصف - أي خارج – ، فطعن في بطنـه بالقِدْح وقال : اسْتَوِ يا سواد ، فقال: يا رسـول الله أَوْجَعْتَنـي ، وقد بَعَثَـك الله بالحق والعدل فأَقِدْني . فكَـشَفَ رسـولُ الله ﷺ عن بطنـه وقال : اسْتَـقِدْ ، قـال : فاعتنقـه فقبّـل بطنـه ، فقـال لـه رسـول الله ﷺ : ما حمـلك على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله حضر ما تـرى ، فـأردتُ أنْ يكون آخر العهد بك أنْ يَمـسّ جلدي جلدك . فأثنى عليه النبـي ﷺ خـيراً ودعـا لـه .

المُؤْمِنُ

(**الـمُؤْمِـن**) الـمُصَدِّق لرسله بِخَلْق المعجزات لهم .

أو الـمُعْطي الأَمـان .

أو المـانح السكينـة لِـمَنْ يشـاء .

وقيـل : المـؤمن الذي لا إلـه بالتَّحْقيـق والثبوت غـيره ، فمَـنْ آمـن بـه أَمِـنَ واسـتوفى عهده وأجـره ، ومَنْ لم يؤمن بـه لا ذمـة لـه ولا عهد لـه . وهو الذي ينصر رسلـه ومَنْ دعا إلى الله وعمل صالحـاً ، ويُـؤَمِّــن على دعائـهم ودعوتهم ، ويُـثبّـتهم بالقول الثـابت في الحيـاة الـدنيا وفي الآخرة . وذِكْـره يُورِث الإيمـان وعدم الخوف مِـمّـا سوى الله تعالى .

قـال ابن العربي : البـاري تعالى مؤمـنٌ بخمسة معـانٍ :

الأول : تَصْديقـه لنفسـه بقولـه ، وذلـك حقيقـة ، قـال الله سـبحانــه :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[1] وصَدَقَ الله .

[1] : سـورة آل عمـران ، الآيـة ١٨ .

الثاني : تَصْديقه لرسله بإظهار المعجزة الدّالة على صِدْقهم على أيديهم ، وذلك مجاز لأنه فِعْلٌ نُزِّلَ منزلة القول .

الثالث : تَصْديقه لأوليائه بإظهار الكرامة على أيديهم الدّالة على كرامتهم ، وهو مجاز أيضاً .

الرابع : تَصْديقه بِفِعْلِه لِوَعْده ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ (١) .

الخامس : تَصْديقه لعباده فيما يُخْبِرون به مِنْ حَقٍّ ، كما رُوِيَ في الأخبار أنَّ الله تعالى يقول : " صَدَقَ عبدي " (٢) .

واعلم أخي المؤمن أنَّ الموافقة في الأسماء لا تقتضي المشابهة في الذَّوات ، فيصح أنْ يكون الحقُّ سبحانه مؤمناً والعبدُ يكون مؤمناً ،

---

(١) : سورة الزمر ، الآية ٧٤ .

(٢) : أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وابن حبان في صحيحه والبيهقي وأبو يعلى عن الأغرّ أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة وعلى أبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ قال : " إذا قال العبد : لا إله إلّا الله وحده ، قال : صدق عبدي لا إله إلّا أنا وحدي . وإذا قال : لا إله إلّا الله لا شريك له ، قال : صدق عبدي لا إله إلّا أنا لا شريك لي . وإذا قال : لا إله إلّا الله له الملك وله الحمد ، قال : صدق عبدي لا إله إلّا أنا لي الملك ولي الحمد . وإذا قال : لا إله إلّا الله ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، قال : يقول : صدق عبدي لا إله إلّا أنا لا حول ولا قوة إلّا بي " .

ولا يقتضي مشابهة العبدِ الربّ ، ألَا ترى أنَّ الخلافين يشتركان في الاسم ولا يشتبهان في المعنى ؟

ومِمّا يتعلّق بهذا الباب مِنْ طريق التذكير أنْ يقال : إنَّ الملوك يَأْبون أنْ يجسر أحدٌ مِنْ رَعِيَّتِهم أنْ يَتَسَمّى باسم الملك ، والله سبحانه سَمّى نفسه المؤمن ، وسَمّى العبدَ مؤمناً ، وسَمّى عباده المؤمنين ، وهذا لطفٌ منه سبحانه بهم .

وقيل : ينادي غداً في القيامة منادٍ : إنَّ كلَّ مَنْ هو سَمِيُّ نبيٍّ مِنَ الأنبياء مِنَ المؤمنين فليدخل الجنة ، فيبقى أقوامٌ مِنَ المؤمنين فيقال لهم : مَنْ أنتم ؟ فيقولون : نحن مَنْ لم يوافق اسمُه اسمَ نبيٍّ ، فيقول الله تعالى : أنا المؤمن وأنا سَمَّيتُكم المؤمنين ، فيُدخلهم الجنة .

((تنبيه)) : حظُّ العبد مِنْ هذا الاسم والوَصْفِ أنْ يَأْمَنَ الخلقُ كلُّهم جانبه ، بل يرجو كلُّ خائفٍ الاعتضاد به في دَفْعِ الهلاك عن نفسه في دينه ودنياه ، كما قال رسول الله ﷺ : " مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُؤْذِ جارَه "[1] .

---

[1] : متّفق عليه مِن حديث أبي هريرة ، رواه الأئمة الستة ، وأحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي ، وأبو عوانة في مستخرجه ، وأبو داود الطيالسي ، وأبو نعيم ، وأبو يعلى ، والطبراني ... وآخرون .

===

وأَحَـقُّ العبـاد باسم المـؤمن مَنْ كان سببـاً لِأَمْــنِ العبـد مِـنْ عـذاب الله بالهداية إلى طريق الله ﷻ ، والإرشاد إلى سبيل النجـاة . وهذه حرفـة الأنبيـاء والعلمــاء ؛ ولـذلك قـال رسـول الله ﷺ : " إنَّ الله لم يُـحَــرِّم حُـرْمـةً إلّا وقـد عَلِـمَ أنـه سيَـطَّلِعُهـا مـنكم مُطَّـلِـعٌ ، ألَا وإني آخـذُ بحُجَـزِكم أنْ تَـهافَـتوا في النـار كـتَهافُتِ الفراش أو الذباب "[1] .

نـسألـه تبـارك وتعـالى الأَمــن والإيمــان والأَمــان والـسّكينـة لنـا وللمسلمـين ، إنه سـميعٌ مجيب ومَنْ سَـأَلـه لا يَـخيب .

* * * * *

وفي لفظ آخر عند مسلم وأحمـد والحاكم : " لا يـدخل الجنــة مَـنْ لا يَـأْمَــنُ جـارُه بوائـقـه " .

وفي رواية غيرها للبخاري وأحمد عن أبي شريح أنَّ رسول الله ﷺ قـال: " والله لا يـؤمن ، والله لا يـؤمن ، والله لا يـؤمن . قـالوا : ومـا ذاك يـا رسـول الله ؟ قال : الجار لا يَـأْمن جـارُه بَوائِـقَــه . قـالوا : يـا رسـول الله ومـا بوائـقــه ؟ قـال : شـره " .

[1] : رواه أحمـد في مسنده ، وأبـو داود الطيالـسي ، وأبـو يعـلى ، وابـن أبي شـيبة ، والطبراني في الكبير ، والقضاعي في الشهاب ، كلّهم عن ابن مسعود رضي الله عنه .

المهيمن

(**الـمُـهَـيْـمِـن**) مأخوذٌ مِـنْ هَيْـمَنَ الطائـر إذا نَـشَـرَ جناحيـه عـلى فراخـه ؛ زيادةً في صيانـتهم وحفظـهم .

والله ﷻ المـهيمـن ، أي الرقيـب المبالِـغ في الرقابـة والحفـظ ، فهـو العالِـم الشّـاهد الذي لا يَـغيب عنـه تبـارك وتعالى مثـقال ذرة .

وقد اختلف العلمـاء في تفسير المـهيمن على عشرة أقـوال :

الأول : إنـه بمعنى العـلاء ، فيتـضمّن نعوت التّـعالـي والـرِّفعـة .

الثـاني : الـرّقـيب .

الثـالث : الشّـهيد ، قالـه قتـادة والسّـدي والكسائي .

الرابع : الشريف ، وهو يرجع إلى العـلاء .

الخـامس : الحـافـظ .

السـادس : الأمـين ، قالـه ابن عبـاس .

السـابع : الوالـي ، قالـه عكرمـة .

الثـامن : القـاضي ، قالـه ابن الزبـير .

التـاسع : الشّـاهد ، قالـه مجـاهد .

العاشـر : الـمُصَدِّق ، قالـه الحسـن .

وأكـثر هذه الأقـوال ذَكَـرَها ابن العربـي .

وقال بعضهم : معناه في حـقِّ الله ﷻ أنـه القائـم على خَلْقـه بأعمـالهم وأرزاقهم وآجالهم ، وإنمـا قيامـه عليهم باطّلاعه واستيلائـه وحِفْظـه ، وكلُّ مُشْـرِفٍ على كُنْـه الأمر مُسْتَـوْلٍ عليــه حافــظ لــه فهـو مُهَـيْمِنٌ عليـه . والإشراف يَرجـع إلى العلـم ، والاسـتيلاء إلى كمــال القـدرة ، والحفظ إلى الفعـل . فالجـامع بـين هـذه المعـاني اسـمه المــهيمن ، ولـن يجـتمع ذلك على الإطلاق والكمـال إلّا لله ﷻ ؛ ولذلك قيـل : إنـه مِـنْ أسمـاء الله تعالى في الكتب القديمـة .

واعلم أخي المسلم أنَّ المـهيمن : الـمُطَّـلِع عـلى أفعـال مخـلوقـاتـه الذي لـه حـق السـيطرة عليـهم .

وذِكْـرُه يُورث الخـوفَ مِنَ الله ومراقبتـه ، ومعاملـة الـخَلْـقِ بالحـق .

((تنبيـه)) : ومِن آداب مَنْ تَـحَـقَّـقَ بهذا الاسم أنْ يكـون مُـسْتَحْـيِـياً مِنْ محـلّ اطّـلاعـه عليـه ، مُـحْـتَـشِمـاً مِنْ رؤيتـه .

وهذا المعنـى يُسمّى المراقبـة في لســان أهـل المعاملـة ، ومعنـاه عِلْـم القلب باطّـلاع الـرَّبّ .

* * * * *

العزيز

(**العزيـز**) هو الغالب ، فمرجعـه للقدرة المـتعالية عن المـعارضة .

أو بمعنى القـوي الشـديد .

أو عديـم الـمِثال سبحانـه .

فهو مِنْ أسمـاء التـنزيـه .

قال الإمام القشيري : العزيز اسمٌ مِنْ أسمـائـه تعالى ، وَرَدَ به القـرآن والأخبـار الصحيحـة ، وأجمعت الأُمـة عليـه وتكلّموا في معنـاه :

فقال بعضهم: معنـاه الغالب الذي لا يُغلب ، والقاهر الذي لا يُـقهر، يقال : عـزّ يعُـز - بضم العين في المستـقبل - إذا غلب .

وقيـل : العزيـز الذي لا مِثْل لـه ، يقال : عـزّ الـشيء يعِـز - بكـسر العين في المستـقبل - أي صار عزيـزاً .

وقيل : العزيـز في وَصْفـه تعالى بمعنى القادر القوي ، يقال : عـزّ يعَـز - بفتح العين في المستـقبل - إذا اشـتدّ .

وقيل: العزيـز الممتنع، وهو الذي لا يُوصَل إليـه. فـإذا قيـل لِـمـا يُـتعذّر الوصول إليه مع جوازه عزيـزٌ، فالذي يـستحيل الوصـول إليـه أَوْلـى أنْ يكون عزيـزاً إذْ لا حَـدَّ لـه.

وقيـل: العزيــز في وَصْـفه تعـالى هـو الـمُعِـزّ، والفعيــلُ بمعنـى الـمُفْعِـل في كلام العرب كـثيرٌ. فهذا الوجـه الواحد في وَصْفـه تعـالى مِن صفات الفعل، وما ذكرنـا قبلـه مِن صفات الـذّات.

هذا طرفٌ مِـمّـا قالـه أهل اللغـة وأصحاب الأُصول في معنـى اسـمه العزيز على لسـان أهل الظاهـر.

وأمّـا على طريق أهـل الإشـارة فيجـيء الكلام فيـه على وجـوه:

منها أنَّ معنى العزيز هو الذي لا يدّخر مَنْ خدمـه عن خدمتـه شـيئاً، ولا يُـؤْثِـر مَنْ عَـرَفَـه هواه على رضاه، فيَـقضي حقوقـه فرضاً، ولا يرى أحدٌ لنفسـه عليـه حقاً.

فالعزيـز مَنْ يَمنـع فـيُشكر، ويَـبتلـي فلا يشكو مَنْ يعرفه ولا يَضجر، يُـستلـذّ لِـحكمتـه الهوان، ويُسْـتحلى منـه الحرمـان دون الإحسان.

كان الدقاق رحمـه الله تعالى كثيراً ما يقـول: إنمــا يَـسْتعذب الأوليـاءُ البلوى للمناجـاة مع الـمولـى.

ولهذا قيل: إنمـا يعرفه عزيـزاً مَـنْ أعــزّ أَمْــرَه وطاعتَــه، فأمّـا مَـنِ استـهان بأوامـره فمِنَ المـحال أنْ يكون متحقّـقـاً بعـزّة مولاه.

وفي هذا المعنى قيل لبعضهم : ما علامة أنك تعرفه ؟ فقال : لا أَهمّ بمخالفته إلّا ناداني مِنْ قلبي منادٍ أسْتَحي منه .

وقيل لبعضهم : متى عرفتَه ؟ فقال : ما عصيتُه مذ عرفتُه .

وقيل : العزيز مَنْ ضَلَّتِ العقولُ في بحار عظمته ، وحارَتِ الألبابُ دون إدراك نِعْمته ، وكَلَّت الألسن عن استيفاء مَدْحِ جلاله ووَصْف جماله .

وقال بعضهم : العزيز الذي لا نظير له ، والقوي الذي لا غالب له . وذِكْره يُورث العِزّ ، والاتّكال عليه ، والنصر .

ومِن آداب مَنْ عرف أنه العزيز أنْ لا يعتقد لمخلوقٍ إجلالاً ؛ ولهذا قالوا : المعرفة حَقْر الأقدار سوى قدره ، ومحو الأذكار سوى ذِكْره .

قال ﷺ : " مَنْ تواضع لغنيٍّ لأجل غناه ذَهَبَ ثلثا دينه " [1] .

---

[1] : إسناده ضعيف ، رواه السيوطي في الدرر مرفوعاً عن ابن مسعود .
ورواه البيهقي في الشعب عن ابن مسعود مِن قوله : " مَن خَضَعَ لغنيٍّ ووَضَعَ له نفسه إعظاماً له وطمعاً فيما قبله ، ذَهَبَ ثلثا مروءته وشطر دينه " .
وللطبراني في الصغير مِن حديث أنس مرفوعاً : " مَنْ أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه ، ومَن أصبح يشكو مصيبة نَزَلَتْ به فإنما يشكو الله تعالى ، ومَنْ تَضَعْضَعَ لغنيٍّ لينال مِمّا في يديه أَسْخَطَ الله ﷻ ، ومَن أُعْطِيَ القرآن فدخل النار أبعده الله " .

يقول الدقاق : إنما قال : " ذهب ثلثا دينه " ؛ لأنَّ المرء بثلاثة أشياء : قلبه ، ولسانه ، وبدنه . فإذا تواضع بلسانه وبدنه ذَهَبَ ثلثا دينه ، فلو اعتقد بقلبه ما حصل منه بلسانه وبدنه للغني لأجل غناه مِنَ التواضع لَذَهَبَ دينه كله .

وقيل : إذا عظم الربّ في القلب صغر الخلق في العين .

المقصود أنه لا يصح للعبد التواضع والذلّ للغني اسْتِجْداءً لماله ، ولكنْ يُعامله بِحُسْن الأدب الواجب للمسلم دون أنْ يذلّ نفسه له ، أو يشتغل به عن ربه ، أو يُمَيِّزه على الفقراء الحاضرين معه .

((تنبيه)) : العزيز مِنَ العباد مَنْ يحتاج إليه عباد الله في أَهَمِّ أُمورهم ، وهي الحياة الأُخروية والسعادة الأبدية ، وذلك مِمّا يَقِلّ لا محالة وجوده ويصعب إدراكه .

وهذه رتبة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، ويُشاركهم في العِزِّ مَنْ ينفرد بالقرب مِن درجتهم في عصره : كالخلفاء وورثتهم مِنَ العلماء . وعِزّة كلِّ واحدٍ منهم بقدر عُلُوِّ رتبته عن سهولة النيل والمشاركة ، وبقدر عنايته في إرشاد الخلق .

* * * * *

الجبار

(**الجبّار**) المُصْلِح لأمور عباده ، المُتَكَفِّل بمصالحهم .

أو المُتَعالي عن أنْ يناله كَيْدُ كائد .

فهو مِن أسماء الأفعال على القول الأول ، ومِن أسماء التنزيه على القول الثاني .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى : الجبّار هو الذي يُنفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كلِّ واحدٍ ولا تَنفذ فيه مشيئة أحد ، الذي لا يَخرج أحدٌ مِنْ قبضته ، وتقصر الأيدي دون حمى حضرته .

فالجبّار المطلق هو الله ﷻ ، فإنه يُجبِر كلَّ أحدٍ ولا يُجبره أحدٌ ، ولا مثنوية في حقّه في الطرفين .

قال القشيري : والاسم إذا احتمل معانٍ مِمّا يَصِحّ في وصفه ، فمَنْ دعاه بذلك الاسم فقد أثنى عليه بتلك المعاني . فهو الجبّار على معنى أنه عزيز متكبّر ، مُحْسِن إلى عباده ، لا يَجري في سلطانه شيءٌ يخالف مراده .

((نكتـة)) : وإذا علـم أنَّ الجبّـار بمعنى مُصْلِـح الأمور فَـوَّضَ أموره إليه وتوكّل في جميع أحوالـه عليــه ، إنْ كـان خـيراً عَــلِم أنـه مُـسْديـه ومتحفـه ، وإنْ كان ضراً عَـلِم أنه يُـنَجِّيـه منـه ويكشفـه . لـم يحـتـشم مِن اخـتلال أحوالـه ، وقِلّـة مالـه ، وكـثرة عيالـه ، وضـعف احتيالـه ؛ ثـقـةً بلطفـه وأفضالـه ، واسـتكانـةً إلى جُـوده وكـريم نوالــه وحُـسْنِ أفعالـه .

حُـكِـيَ أنَّ رجلاً كان كـثير العيال وأنـه ضاقَتْ عليه أسباب المعيشة ، فـهَمَّ أنْ يهرب عنهم ، فاسـتقبلـه شخصٌ فقال لـه : هـل تـأجرني عـلى أنْ تسقـي طيراً لي في القفص فـترويـه وتـأخذ مني دينـاراً ؟ فاسترخص الرجل ذلك وأجابه إليـه ، فدلّـه على بئـرٍ وقال : تَسْتَـقي مِن هـذا البئـر وتَـرْوي هذا الطائر . فلم يزل الرجل يسقي الطائر طول نهاره إلى المـساء والطائـرُ لم يُـرْوَ ، فلمّــا أمـسى ضـاق صـدر الرجـل ، فقـال لـه ذلـك الشخص : إني لستُ ببشر وإنمـا أنا مَـلَـك بَعَـثني الله إليك لِـيُـرِيــك ضعفك ، إنك لم تقدر أنْ تَـرْوِيَ طائـراً فكيف تَرزق عيالـك ؟! ارْجِـعْ إليهم وانتـظر الرزقّ مِنَ الله تعالى ، فإنـه هو الرزّاق لا أنت .

وحُـكِـيَ أيضاً عن بعض الصالحين أنه سُئِل عن سبب توبتـه فقـال : إني كنتُ رجلاً دهقـانـاً [1] فاجـتمع علــيّ أشغال ليلــةٍ مِـنَ اللّيـالي ،

---

[1]) : الدّهـقان يُطلـق على رئيس القريـة ومختـارهـا .

كنتُ أحتاج إلى أنْ أسقي زرعاً لي ، وكنتُ حملتُ حنطة إلى الطاحونة فوثب حماري وضَلَّ ، فقلتُ : إنِ اشتغلتُ بطلب الحمار فات سَقْيُ الزرع ، وإنِ اشتغلتُ بالسَّقْيِ ضاع الطحين والحمار ! وكان ذلك ليلة الجمعة وبين قريتي وبين الجامع مسافة بعيدة ، فقلتُ : أَترك هذه الأمور كلَّها وأمضي إلى القصبة [1] لِأُدرك غداً صلاة الجمعة . فمضيتُ وصلّيتُ ، فلمّا انصرفتُ اجْتَزْتُ بالزرع فإذا هو قد سُقِي ، فقلتُ : مَنْ سَقى هذا ؟! فقيل : إنَّ جارك أراد أنْ يسقي زرعه فغلبته عيناه وانفتق السدّ فدَخَلَ الماءُ زرعك . فلمّا وافَيْتُ باب الدار إذا أنا بالحمار على الـمَعْلَف ، فقلتُ : مَنْ رَدَّ هذا الحمار ؟! فقالوا : صالَ عليه الذئب والتجأ إلى البيت . فلمّا دخلتُ الدار إذا أنا بالدقيق موضوع هناك ، فقلتُ : كيف سبب هذا ؟! فقالوا : إنَّ الطحّان طَحَنَ هذا بالغلط ، فلمّا عَلِمَ أنه لك ردّه إلى المنزل . فقلتُ : ما أصدق ما قيل : مَنْ كان لله كان الله له ، ومَنْ أصلح أَمْراً لله أصلح الله أموره ! فتركتُ الدنيا وتبتُ إلى الله تعالى .

*****

(1) : قال في المختار : قصبة السّواد مدينتها .

المتكبر

(**المُتَكَبِّر**) هو مَنْ يرى غيره بالنسبة إليه رؤية مالكٍ لعبيده ، وهو على إطلاقه لا يُتصوّر إلّا لله ﷻ ، فهو إلهٌ وغيره كلُّهم خَلْقٌ له.

وهو مِن أسماء الذّات .

والمتكبر المُتَعالي عن صفات الخلق ، لم يَلِدْ ولم يُولَد ، منفردٌ بالكبرياء ولا يتّصف به غيره ، يُذِلّ مَنْ تكبّر ويقصمه ولا يبالي بأحد ، فالمالك يفعل في مُلكه كيف يشاء .

وذِكْره يُعين على مغالبة الشّهوات وتَرْك المنكرات ، ويَهب الله لِذاكره الذريّة الطيّبة ، حيث تعالى اللهُ أنْ يكون له صاحبة أو ولد ، أو يشتهي شهوة مِنَ الشهوات ، أو يتداخل في شأنه غيره ، فهو واحدٌ لا يحتاج إلى أحد ، أو أنْ يتحكّم فيه أحد ، أو يشاركه في فِعْله ، وله الخلق جميعاً .

قال القشيري : المتكبر اسمٌ مِن أسمائه تعالى وَرَدَ به نصُّ القرآن .

وتكـبّره وكبريـاؤه ورِفْعتـه وعُلاه ومجـده وسـناؤه وعُـلُـوّه وبـهاؤه ...
كلُّ ذلك إخبار عن استحـقاقـه لنعوت الجلال ، وتقدّسـه عن النقـائص والآفـات ، وكلُّ ذلك يعود إلى ذاتـه ووجوده على ما وُصِف .

والتكـبّر في صفـة الخـلق مذموم ؛ لأنَّ الخـلقَ محـلُّ النَّـقْص ، فـإذا تَـكَـبّـرَ تَـكَلَّـفَ أنْ يتّـصف بغـير ما يليـق بِنَـعْـتِـه .

((مَـنْ عَــرَفَ ربَّــه سَلَــكَ طريقــه)) : ومَـنْ عَـرَفَ عُلُـوَّه سـبحانه وكـبريـاءه لازم طريـق التـواضع وسَلَـكَ سبيـل التّـذلّـل .

حُـكِـيَ أنه رُفِـعَ إلى عمر بن عبد العزيـز رحمـه الله : إنَّ ابنـك اتّـخــذ خاتمـاً اشترى له فصّاً بألف درهم ، فكَتَبَ إليـه : أمّـا بعد ، فلقد بلغني أنك اشتريتَ فصّاً بألف درهم ، فبِعْـه وأَشْبِـعْ به ألـف جائع ، واتّـخـذ خاتمـاً مِنْ حديد صيني واكتـب عليــه : " رَحِـمَ الله امْــرَأً عَـرَفَ قَـدْر نفسـه " .

((تنبيــه)) : وإنَّ الله سـبحانه يتفـضّل عـلى عبـاده ، ويتعـزّز عـلى قـومٍ مِنْ خواصّ عباده ، فيجعل عَيش أسرارهـم بتكــبّره أكـثر مِـنْ عَـيْش قلوبهم بتفضّلـه .

سُئِـل يحيى بن معاذ عن المحبـة فقال : هي ما لا يزيد بالبِرِّ ولا ينقص بالجـفاء .

((**ملاحظـة**)) : اعلـم أنَّ مَـنْ أخلـص في ودّه وصَـدَقَ في حُبّـه كـان استـلذاذه بِمَنْعـه أكـثر مِن استـلذاذه بعطائـه ، فـإنَّ كـلَّ أحـدٍ يذكـره وهو بِقُـرْبـه ، وإنمّـا المخلِص في عقده وصِدْقـه مَـنْ لا يفـتر عـن أداء حقِّـه وإنْ كان يَبتليـه ويُعذّبـه .

❊❊❊❊❊

الخالق البارئ المصور

(**الخالـق**) الـمُوجِـد للمخلوقـات مِنْ غـير أَصْـلٍ .

و (**البـارِئُ**) الـموجِـد للمخلوقـات مِـنْ أصـلٍ ، فهـو مـأخوذ مِـنَ الـبُـرْءِ وهو خُلوص الشيء مِن غيره تـقصيّـاً منـه ، كـبرء المـريض مِـنْ مرضـه ، والـمَديـن مِن دَيْـنـه .

أو هو الذي أَحْدَثَ ذاتَ الشيء فظَـهَـرَ على حقيقتـه .

و (**الـمُصَوِّر**) الـمُـبْدِع لصور الأشيـاء ، فهو الذي صَـوَّرَه فكَـساه ، ولكلِّ شيءٍ صورة تُـمَيِّـزه عن غـيره وتُـناسـبه .

وهذه الثلاثـة : (الخالـق البارئ المـصوّر) كلُّهـا ألفـاظٌ مترادفـة عـلى معنـىً واحد ، وهو الإيجـاد مِنَ العدم والإبداع كمـا يشـاء .

وهي مِنْ أسمـاء الأفـعال .

قال تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [١] .

---

(١) : سـورة الانفطـار .

وقال بعضهم : الخالـق الذي أَظهر الموجودات بقدرتـه مِنْ غير مُعين ، وقـدّر كلَّ شيءٍ منها بمقدار معيّـن بإرادتـه ، ولم يَعْيَ بخلق السّمـاوات والأرض ، وهو القادر على أنْ يخلـق أمثـال أمثـالها .

وذاكِـرُه يَـحْسُـنُ خَلْـقـه وخُلُـقـه ، ويَـسْتـنير قلبُـه وقالبـه .

والبـارئ الذي خَلَـق الخلـق لا على مِثـالٍ سَبَـقَ تعلّمـه ، أو سـببٍ يتـقيّـد به ، خَلَـق الأجسام وبَـرَأَ النَّـسَم والروح ، وهو قادرٌ عـلى إيجـاد الأشـياء مِنَ العَـدَم ، وربُّـك يخلـق ما يشـاء ويختـار .

وذِكْـرُه يفيد مَنْ تَـقَطَّـعَتْ بهم الأسباب ، واحْتَجَبَـتْ عـنهم مطالـب الخير مِنْ حاجات الدنيـا والآخرة .

والـمُصَوِّر الـمُبْـدِع للصور والمختـرعات ، وأَنْشـأ خَلْقـه على صـور مختلفـة . وذِكْـره يُـفيد مَنْ قَصُـرَ إدراكهم وانْحَـطَّ فـهمهم .

((تنبيـه١)) : ومِنْ شرط الاعتـقاد أنْ يتحقّـق العبدُ أنه سبحانه خـالق الأعيان والآثـار والجواهر والأعراض ، لا يخرج حادثٌ عـن أنْ يكـون مخلوقـاً لـه ، فيقتـضي هذا تبـرّأ العبـد عن حَوْلـه وقـوّتـه ، ورجوعه إلى الله تعالى بصدق الاستعانــة ودوام الاستكانــة في سكونــه وحركاتـه ، فإنَّ مَنْ صَحَّتْ بالله استعانتـه وَجَبَ مِنَ الله تعالى معونتـه .

ومِن آداب مَنْ عرف أنه الخالـق أنْ يُمعـن النظـر في إتــقان خَلْقــه ؛

لِتلوح لقلبه دلائل حِكْمته في صنعه ، فيعلم أنه خَلَقَ مِن نُطْفةٍ بَشَراً ، رَكَّبَ أعضاءه ورَتَّبَ أجزاءه ، وقسم تلك القطرة فجعل بعضها مخاً، وجعل بعضها عظماً ، وبعضها عروقاً ، وبعضها أعصاباً ، وبعضها شحماً ، وبعضها لحماً ، وبعضها جلداً ، وبعضها شعراً ... ثم رَكَّبَ كلَّ عضو على ترتيبٍ يخالف صاحبه ، وخَصَّ كلَّ جزءٍ بتركيبٍ لا يشبه صاحبه ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

يُحكى أنَّ سُنِّيّاً كان يناظر معتزليّاً في مسألة القَدَر ، فقَطَفَ المعتزلي تفاحةً مِنْ شجرة فقال : أليس أنا فعلتُ هذا ؟ فقال السُّنيّ له : إنْ كنتَ أنت فعلتَه فرُدَّه إلى ما كان عليه ، فأفحم المعتزلي وانقطع .

وإنما لزمه ذلك لأنَّ القدرة التي يَحصل بها الإيجاد لا بد مِنْ أنْ تكون صالحةً للضدَّيْن ، فلو كان تفريق الأجزاء مِن جهته لكان قادراً على وَصْلها .

ومِنْ آداب مَنْ عرف أنه الخالق المنفرد بالإيجاد أنْ لا يجحد الكسب ولا يطوي الشرع ؛ لأنه ليس بأنْ يخلق الحقُّ تعالى شيئاً ما يجب أنْ يكون للعبد حجّة فيما يطالبه به مِنْ مراعاة حقوقه .

يُحكى أنَّ بعض الأكابر قيل له : ما أعجب قول الملائكة حيث تجاسروا على أنْ قالوا لله سبحانه : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

ٱلدِّمَآءَ ﴾[1] ؟! فقال لـه : وما عليهم ؟ هو أنطقهم . فبلـغ قولُــه يحيـى ابن معاذ الرازي فقال : هو أنطقـهم ولكن انـظر كيف أخرسهم .

بَـيَّـنَ رحمـه الله أنَّ وجود الخلـق مِنْ قبـل الحـق سبحانـه ، ثم لا يكون عُـذر للعبـيد في سـقوط اللّـوم عنـهم .

((تنبيـه٢)) : وإذا عرف العبـد أنَّ الله تعالى بَــرَأَه مِـنَ الـتراب ، وأنـه لم يكن شيئاً ولا عينــاً فجَعَلــه شيئـاً وعينـاً ، فبـالحري أنْ لا يعجـب بحالـه ولا يـذل بأفعالـه ، بل يبتـهج بِـصَفْـو حالـه وقـد أشـكل عليـه حُكْم مآلـه . وكيف لا يتواضع مَـنْ يعلـم أنــه في الابتـداء نطفـة ، وفي الانتـهاء جيفـة ، وفي الحـال صريع جوعـه وأَسـير شِبَعـه ؟!

((تنبيـه٣)) : واعلم أنَّ حُسْنَ الـتَّصْويـر وإنْ كان في ظاهر الـخَلْــق ، فإنَّ حقيقـة ذلك أتـمّ في بـاب الـخُلُـق ، فـإنَّ الله تعـالى أَحْـسَنَ خَلْـقَ الأكـثرين وقليـلٌ مَنْ حَسُـنَ خُلُـقـه .

وإنمـا يمتـاز العوام مِنَ البهائـم بِتَسْويـة الـخَلْـق ، ويمتـاز الخـواصّ مِنَ العوام بتصفيـة الـخُلـق .

وكمـا أنَّ الآدمـي يفـارق البهائـم بتركيب القامـة وترتيب الأعضاء ، فالخواص تُبايـن العامّـة بِحُسْن الـخُلـق وخلوص الصفـة .

---

[1]) : سـورة البقـرة ، الآيـة ٣٠ .

ولم يَمُـنَّ الله سبحانه على رسولـه بشيءٍ كمـا مَـنَّ عليه بِحُسْن خُلقـه ، ألَا ترى كيف أثنـى عليـه بقولـه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [1] ؟ والإنسان مَسْـتورٌ بخَلقـه بين أمثـالـه ، مشهورٌ بخُلقـه عن أشكالـه .

فسبحان مَنْ رَكَّبَ مِنْ قطـرةٍ واحـدة نَـسَمة ! وأَوْجَـدَ فيهـا بكمـال حِكْمتـه وشمول قدرتـه صورة ! ثم كمـا لا تُشبـه صورةٌ صورةً لم يُـشبـه خَلْـقٌ خَلْـقاً !

* * * * *

---

(1) : سـورة القـلـم .

الغفار

(**الغَـفّار**) كـثير الغَفْـر وسَـتْر القبـائح عـلى عبـاده بـدون مؤاخـذة فَـضْلاً منـه تعالى .

وهو مِنْ أسمـاء الأفعـال .

قـال أبو حامد الغـزالي : الغـفّار هو الذي أَظْـهَـرَ الجميـل ، وسَـتَـرَ القبـيح . والذنوبُ مِنْ جملـة القبائح التي سَـتَرَها بإسبال السّـتر عليهـا في الدنيـا ، والتّجاوز عن عقوبتـها في العُـقْبـى .

وأول سـترة على العبد أنْ جَعَـلَ مقابح بدنـه التي تَـسْتـقبحها الأعين مسـتورةً في باطنـه ، مغطّـاةً بجمـال ظاهـره . فكـم بـين ظـاهر العبـد وباطنـه في النظافـة والقذارة ؟ وفي القُـبح والجمـال ؟ فانظـر مـا الـذي أَظْـهَـره ، وما الذي سَـتَـرَه ...

وسـتره الثـاني أنْ جعل مستـقـرّ خـواطره المذمومـة وإرادتـه القبيحـة سـرّ قلبـه ؛ حتى لا يطّـلع عـلى سِـرّه واحـدٌ ، ولـو انكـشف للخَلْـق

ما يخطر بباله في مجاري وسواسه ، وما ينطوي عليه ضميره مِنَ الغش والخيانة وسوء الظن بالناس لَمَقَتوه ، بل سَعَوْا في تلف روحه وأهلكوه ، فانظر كيف سَتَرَ عن غيره أسراره وعوراته ...

وستره الثالث مغفرته ذنوبه التي كان يستحقّ الإفضاح بها على ملأ الخلق ، وقد وَعَدَ أنْ يُبدّل سيئاته حسنات ؛ ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته إذا مات على الإيمان .

((تنبيه)) : حظّ العبد مِنْ هذا الاسم أنْ يستر مِنْ غيره ما يجب أنْ يستر منه ، فقد قال النبي ﷺ : " مَنْ سَتَرَ على مؤمنٍ عورةً سَتَرَه الله يوم القيامة " (١) .

* * * * *

(١) : رواه أحمد في مسنده ، والبخاري في تاريخه واللّفظ له ، وعبد الرزاق في مصنفه ، والطبراني في معجمه .

القَهَّارُ

(**القَـهّـار**) الذي قَـهَـرَ الخلائـق بالمـوت .

أو الذي كلُّ مخلوق في قبضتـه ، ومُسَخَّـرٌ لقضائـه ، ومَـقْهورٌ بقدرتـه. وهو مِنْ أسمـاء الأفعـال .

قال أبو حامد الغزالـي : القهّـار هو الذي يقصم ظهـور الجبـابرة مِـنْ أعدائـه فيقهـرهم بالإماتـة والإذلال ، بـل الـذي لا موجـود إلّا وهـو مُسَخَّـرٌ تحت قَـهْره ومقدرتـه ، عاجـزٌ في قبضتـه .

وقال بعضهم: اختلف أهل الحـق في معنى القهّـار هل هو مِنْ صفات الـذّات أو مِن صفات الفعـل ؟ فقال قـوم : إنـه مِـنْ صـفات الـذّات ، وهو بمعنى المبـالغـة مِنَ القاهـر . ومـنهم مَـنْ قـال : إنـه مِـنْ صـفات الفعل ، ومعنـاه الجبّـار الذي يحصل مراده مِـنْ خَلْقـه شـاءوا أو أَبَـوا ، رضـوا أم كـرهوا .

وأمّـا الإشـارة فيـه ، فمَنْ عَـلِم أنـه القهّـار خشي بغتـة مَـكْـرِه ،

وخاف فجـأة قَـهْره ، فيكون وَجِلاً بقلبـه ، منفرداً عن قومـه ، مستديمـاً لخدمة ربـه ، مفارقـاً لخلطائـه وصَحْبـه .

((تنبيـه)) : القهّـار مِنَ العباد مَنْ قَـهَـرَ أعداءه ، وأَعْدى عدوٍّ الإنسان نفسُـه التي بين جنبيـه ، فهي أعـدى لـه مِـنَ الـشيطان الـذي قـد حـذر عداوتـه . ومهمـا قَـهَر شهوات نفسـه فقد قَـهَر الشيطان ، إذ الـشيطانُ يَـسْتـهويـه إلى الهـلاك بواسـطة شهواتــه ، وإحـدى حبائـك الـشيطان النسـاء ، ومَنْ فَـقَدَ شهوة النسـاء لم يُتصوّر أنْ ينعقـل بهـذه الأحبولـة ، فكذلك مَنْ قَـهَر هذه الشهوة تحت مظنـة الدِّين وإشارة العقل .

ومهمـا قَـهَر شهوات النفس فقد قَـهَر النـاس كافــة فلـم يقـدر عليـه أحد ، إذْ غايـة أعدائـه السَّعْي في إهلاك بدنـه ، وذلك إحيـاء لروحـه ، فإنَّ مَنْ مات عن شهواتـه في حياتـه عاش في مـمـاتـه .

((ملاحظـة١)) : واعلم أخي أنَّ الله سبحانه قَــهَر نفـوس العابـدين ، وقَـهَر قلوب العارفين ، وقَـهَر أرواح المحبـين . فنفسُ العابـد مقهـورة بخوف عقوبتـه ، وقلبُ العارف مقهورٌ بِـسَطْوة قُربتـه ، وروحُ المحـبِّ مقهورة بكشف حقيقتـه . فالعابد بـلا نفـسٍ لاسـتيلاء سـلطان أفعالـه عليـه ، والعارف بلا قلبٍ لاستيلاء سـلطان إقبالــه عليــه ، والمحـبُّ بلا روحٍ لاستيلاء كَـشْف جلالـه وجمـالـه عليـه .

((ملاحظة٢)) : واعلم أنَّ الله تعالى قَهَر جميع عباده بالموت الذي ليس لأحدٍ عنه محيد ، لم ينجُ منه نبيٌّ مرسل ولا صَفِيٌّ مفضّل ، ولا ينجو منه مَلَكٌ مقرّب . ضاقَتْ عند ذلك صَوْلة المخلوقين ، وبادَتْ عند سَطْوته قوى الخلائق أجمعين .

ويقال : إنَّ الله تعالى يذيق مَلَك الموت طعم الموت ، فيقول عند الفزع : وعزّتك لو علمتُ أنَّ طعم الموت يكون مِثْل هذا ما قبضتُ روح أحد .

وناهيك مِنْ قَهْره للعباد أنه يقبض أرواح جميع المخلوقين ثم يقول : ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ ؟ فيردّ على نفسه : ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ١٦﴾[1] .

فأين سلطان الجبابرة عند ذلك ؟ وأين ولاية الأكاسرة فيما هنالك ؟ وأين الأنبياء والمرسَلون ؟ وأين الملائكة المقرّبون ؟ وأين السَّفَرة الكاتبون ؟ وأين آدم وذريته ؟ وأين أهل الجحد والإلحاد ؟ وأين أهل التوحيد والزهّاد ؟ زهقت النفوس ، وبَلِيَتِ الأرواح ، وبَقِيَ الذي لم يزل ولا يزال .

وفي القصص أنَّ النمروذ خرج بعسكره ، وكان معسكره أربعة فراسخ في أربعة فراسخ ، فقال لإبراهيم عليه السلام : قُلْ لهذا الربِّ الذي تدعوه

---

(١) : سورة غافر .

حتى يخرج لمحاربتي ، فقال إبراهيم : إلهي تَسمع ما يقول هذا الكلب ؟! فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام : أَرْسِلْ عليه أضعف بعوضة خَلَقْتُها . فعرض جبريل جيش البعوض ، فوَجَدَ بعوضةً عرجاء شلّاء ، فسلّطها الله عليه وقال لها : أَمْهِليه ثلاثة أيام . كلُّ ذلك إبلاءً للعذر وإبقاء للمكر ، فكانت البعوضة تنتقل على وجهه مِنْ جانبٍ إلى جانب فلم يقع عن غيِّه ، فصعدت البعوضة إلى دماغه ، وكانت تأكل دماغَه حتى وضع عند رأسه مرزبّة ، وكان كلُّ مَنْ يدخل عليه يأمره أنْ يضرب بها على دماغه عشر مرات ، وكان يجد في ذلك راحة حتى هلك .

قال الله سبحانه : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[1] .

❁ ❁ ❁ ❁

(1) : سورة الصافات .

الوَهَّابُ

(**الوَهّـاب**) كـثير الـنِّـعَم ، دائـم العطـاء والهِبـات .

وهو مِنْ أسمـاء الأفعال .

قـال الإمـام الغـزالي : الهبـة هـي العَطِـيّـة الخاليـة عـن الأعـواض والأغراض ، فإذا كـثرت العطايـا بهذه الـصفة سُمِّـيَ صـاحبها وهّابـاً وجواداً . ولن يُتـصوّر الجـود والهبـة حقيقـةً إلّا مِـنَ الله تعـالى ، فإنـه الذي يُعطي كلَّ محـتاجٍ ما يحـتاج إليـه ، لا لعِـوَضٍ ولا لغـرض عاجـل ولا آجـل .

وقال القشيري : الوهّـاب الـمُعْطي. والله تعالى جزيل العطـاء ، جميـل الهبـة والحِبـاء ، كـثير اللّطـف والإقبـال ، عظيم الـمَنِّ والنـوال ، يُعطـي قبـل السؤال ، ويَسمع خصائـص الأفضال .

جاء في القصة أنَّ الله تعالى قال في التـوراة : يا موسـى ، إنَّ محمـداً هـو عبدي ورسـولي ، وهو أفضل خلقـي ، فلا يَـخرجـنّ حبُّـه مِنْ قلبـك .

فقال : يا رب ، وما محمد ؟ قال : أحمدُ الـذي أثبـتُّ اسـمَه عـلى عـرشي مِنْ قبل أنْ أَخلق السمـاوات والأرض بألفي عام ، وإنه لنبيّـي وحبيـبي وخيرتي مِنْ خَلْقي، هو أحب إلـيّ مِنْ جميع خلقي ومِنْ جميع ملائكتـي. قال : يا رب ، إنْ كان محمـدٌ أحبَّ إليك مِن جميع خلقـك ، فهل خلقتَ أُمّـةً أكرم عليك مِنْ أمتـي ؟ قـال الله تعـالى : إنَّ فـضل أُمّـة محمـدٍ عـلى سائـر الأمم كفضلـه على سائـر الخلـق . قال : يـا رب ليتنـي رأيـتُهم ؟ قال : إنك لن تراهم ، ولو أردتَ أنْ تـسمع كلامهـم لـسمعتَـه . قـال : رب فإني أُريد أنْ أسمع كلامهم ، قال : يا أُمّــة محمـد ، فأَجَبْـنـا كلُّنـا مِنْ أصلاب آبائنـا وأرحام أمهاتنـا : لبيك اللّهم لبيك لا شريـك لـك . قال الله تعالى : يا أُمّــة محمـد ، إنَّ رحمتــي سَبَــقَتْ غـضبي ، وعفـوي عـقابي ، قد أعطيتُـكم مِن قبـل أنْ تـسألوني ، وقـد أجبتُــكم مِـن قبـل أنْ تدعوني ، وقد غفرتُ لكم مِن قبل أن تعصوني ، مَنْ جاء يوم القيامـة يشهد أنْ لا إله إلّا الله وأنَّ محمداً عبدي ورسولي دَخَـل الجنـة ولو كانت ذنوبـه أكـثر مِن زبـد البحـر [١] .

ومَنْ تحـقّق بأنه الوهّـاب لم يحـتشم مِنَ الفقر ومقاسـاة الضر ، ويَرجع إليـه في كلِّ وقتٍ يُـحْسِـنُ القَصْـدَ .

---

[١] : ذكره النويري في تاريخـه .

يُحكى أنَّ الشبلي سأل بعض أصحاب أبي علي الثقفي : أيّ اسمٍ مِنْ أسمائه يجري على لسانه أكثر ؟ فقال الرجل: اسمه الوهّاب ، فقال الشبلي : لذلك كَثُرَ ماله .

ويُحكى عن بعضهم أنه قال : كنتُ جالساً في جماعةٍ فوَقَفَ علينا سائل وسَأَل شيئاً ، فلم يُعْطِه أحدٌ شيئاً ، فبكى ذلك الرجل بكاءً شديداً ، فرَقّ له قلبي فقلتُ له : تعالَ حتى أُعطيك شيئاً ، فقال : إني لم أَبْكِ لِما تَوَهَّمْتَ ، ولكنْ ذكرتُ ذُلَّ مَنْ يفتقر مِنْ رحمة الله كيف حاله ؟! ومضى. فلمّا كان بعد أيام إذا نحن بإنسان عليه ثياب حسنة ، وَقَفَ علينا وسَلَّمَ وقال : تعرفوني ؟ فقالوا : ولا ننكرك ، فمَنْ أنت ؟ فقال : أنا السائل الذي رَدَدْتُموني في ذلك اليوم ، فرجعتُ إلى ربي فسألتُه النعماء ، فأغناني وأعطاني وأحسن إنعامي ، ومَنِ الذي يحتاج منكم إلى شيءٍ ؟ قلنا : لا يخلو منا واحد إلّا وله شيء ، لك الفضل .

ومَنْ تحقّق أنه الوهّاب لم يرفع حوائجه إلّا إليه ، ولم يتوكّل على سواه .

ولا تعارض مع التوكّل إذا سَأَل بِحُكْم البَسْط والتذلّل ، أو سأل بحكم الخشوع والتذلّل .

حكي عن بعضهم أنه قال : كنتُ في بيت المقدس في المسجد ، فرأيتُ إنساناً ملتفّاً بعباءة قائماً ، فسمعتُه يقول : إنْ أطعمتَني الخبز

والطعام الفلاني والعصيدة وإلّا كسرتُ قناديلك . قال: فقلتُ : إنّا لله ! إمّا مجنون وإمّا وَلِيٌّ مُدَلَّل . قال : وعاد إلى حالته ونام ، وإذا أنا بحَمّال معه ما أشار إليه ، فوضعه بين يديه ، فاستوى الرجل فأَكَلَ منه شيئاً ، وحمل الرجل الباقي ومضى . قال : فقَفَوْتُ أثره وسألتُه عن القصة فقال : إني رجل حَمّال تَشَهّى عليّ صبياني هذا منذ زمان فأصلحتُه اليوم ، فأَغْفَأْتُ إغفاءةً فرأيتُ كأنَّ قائلاً يقول لي : وَلِيٌّ مِنْ أوليائنا في المسجد اشتهى هذا فاحْمِلْه إليه ، ثم احْمِلْ ما فضل إلى صبيانك .

*****

الرزاق

(**الـرزّاق**) خالـق الأرزاق ، وخالـق أسباب الأرزاق ومُـفيضها عـلى عبـاده .

وهو مِنْ أسمـاء الأفعـال .

والرزق رزقـان : ظاهـرٌ وهي الأقوات والأطعمـة ، وذلـك للظـواهر وهي الأبدان . وباطـن وهي المعارف والمـكاشفات ، وذلـك للقلـوب والأسرار. وهذا أشرف الرزقـين فإنَّ ثمرتـه حياة الأبـد ، وثمرة الرزق الظاهر قـوة الجسـد إلى مدة قريبـة الأمـد .

والله ﷻ هو الـمُـتَـوَلّي لِـخَلْـق الرزقـين ، والـمُتَـفَـضِّـل بالإيـصال إلى كِلا الفريقـين ، ولكنـه يبسـط الرزق لِـمَنْ يشـاء ويقـدر .

((تنبيـه١)) : غاية حظ العبد مِنْ هذا الوصف أمران : أحدهما أنْ يعرف حقيقـةَ هذا الوصف وأنه لا يَـستحـقّـه إلّا الله ﷻ ، فـلا ينتظر الـرزق

إلّا منه ، ولا يتوكّل فيه إلّا عليه .

الثاني : أنْ يرزقه عِلْماً هادياً ، ولساناً مرشداً مُعَلِّماً ، ويداً منفقة متصدّقة ، ويكون سبباً لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله وأعماله . وإذا أَحَبَّ الله عبداً أكثر حوائج الخلق إليه ، ومهما كان واسطة بين الله وبين العباد في وصول الأرزاق إليهم فقد نال حظاً مِنْ هذه الصفة ، قال رسول الله ﷺ : " الخازنُ الأمين الذي يُؤَدّي ما أُمِرَ به طيّبة نفسُه أحدُ المُتَصَدِّقِين "(١) .

وأيدي العباد خزائن الله تعالى ، فمَنْ جُعِلَتْ يدُه خزانة أرزاق الأبدان ، ولسانُه خزانة أرزاق القلوب ، فقد أُكْرِمَ بشوب مِنْ هذه الصفة .

قيل لبعضهم : مِنْ أين يأكل فلان ؟ فقال : مُذْ عرفتُ خالقَه ما شَكَكْتُ في رازقه .

وجاء رجلٌ إلى حاتم الأصم فقال : مِنْ أين تأكل ؟ فقال : مِنْ خزائنه، فقال الرجل: يُلقي عليك الخبز مِنَ السّماء ! فقال: لو لم تكن الأرض له لكان يُلقي عليّ الخبز مِنَ السماء . فقال الرجل : أنتم تقولون الكلام ، فقال : إنه لم ينزل مِنَ السماء إلّا الكلام ، فقال : أنا لا أقوى على مجادلتك ، فقال : لأنَّ الباطل لا يقوم مع الحق .

(١) : رواه البخاري واللّفظ له ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وأحمد ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي ، والبزار ... وآخرون .

ودَخَلَ حاتم الأَصمّ على امرأته فقال : إني أريد أنْ أُسافر ، فكم تحتاجين مِنَ النفقة حتى أَضعها لك ؟ فقالت : بقدر ما نخلف مِنَ الحياة ، فقال حاتم : وما يُدريني كم تَعيشين ! فقالت له : كِلْه إلى مَنْ يعلمه . فلمّا خَرَجَ حاتم إلى السفر دَخَلَ النساءُ عليها يُظْهِرْنَ الاهتمام لشأنها وأنه تَرَكَها بلا نفقة ، فقالت تلك المرأة : إنه كان كَيّالاً للرزق ولم يكن رزّاقاً .

وقالت غيرُ هذه المرأة بعد أنْ سافر زوجها ولم يترك لها شيئاً رَدّاً على مَنْ قال لها : كيف تركتِ زوجك بدون أنْ يَجعل لك رزقاً يكفيك ؟! فقالت : عَلِمْتُ زوجي أَكّالاً وربي رزّاقاً ، فذَهَبَ الأَكّال وبقي الرزّاق .

ومَنْ عرف أنه هو الرزّاق رَجَعَ إليه فيما يسنح له مِنْ جليلِ خَطْبٍ ودقيقِ شُغْلٍ ؛ لأنه عَلِمَ أنه لا شريك له في رزقه كما لا شريك له في خَلْقه .

قيل : إنَّ موسى عليه السلام قال يوماً في مناجاته : إنه لَتعرض لي الحاجة الصغيرة أحياناً ، أَفَأَسْأَلها منك أم أَطلبها مِنْ غيرك ؟ فأوحى الله تعالى إليه : لا تَسَلْ غيري وسَلْني ، حتى ملح عجينك وعلف شائك .

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيّ آدمَ حاجةً ... وسَلِ الذي أبوابُه لا تُحجبُ
الله يغضبُ إنْ تركتَ سؤالَه ... وبُنَيّ آدمُ حين يُسأل يَغضبُ

لهذا قال النبي ﷺ لابـن عبـاس : " يـا غـلام ، إني أُعَلِّمـك كلمــات : احفظ الله يَحفظـك ، احفظ الله تجـده تُجـاهك ، إذا سـألتَ فاسـأل الله ، وإذا استعنتَ فاسْتَعِنْ بالله ، واعلم أنَّ الأُمّـة لو اجتمعت على أنْ ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلّا بشيءٍ قد كَـتَبـه الله لك ، ولو اجتمعوا على أنْ يضرّوك بشيءٍ لم يضرّوك إلّا بشيءٍ قد كَـتَبـه الله عليك ، رُفِعَتِ الأقلام وجَــفَّت الصحف " (١) .

ويُحكى عن امرأة يحيى بـن معـاذ أنهـا قالـت ليحيـى : لقـد قـضيتُ العجبَ مِنْ بُنَـيَّتِنـا هذه ، إنها طَلَـبَتْ مني شيئاً تأكله مـع الخبـز فقلـت لها : سَلـي مِنَ الله ، فقالت : أنا أستحي مِنَ الله أنْ أسأل منـه ما آكل .

فشتّـان بين مَنْ هي صبيّـة بَـلَغَ مِنْ حُسْنِ أدبهـا أنْ تـستحي أنْ تـسأل مِنَ الله مباحاً مِنَ الحلال ، وبين مَنْ هو شيخٌ طَـعَنَ في السنِّ لا يستحـي مِنَ الله وهو يراه على محظورٍ عنـه نـهاه ، لكنـه يختـصّ برحمتـه مَنْ يشاء ، ويفعل في بَـرِيّتـه ما يريـد ، قـال سبحانــه : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ (٢) . فمنهم مَنْ يرزقـه لطائـفَ التوحيد وخصائص التوفيق ،

---

(١) : رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وأحمـد في مسنده ، والحـاكم في المـستدرك ، والمقـدسي في المختـارة ، وأبـو يعـلى ، والبيهقـي ، والطـبراني ، وأبو نعيم في الحليـة ... وآخرون .

(٢) : سـورة الرعـد ، الآيـة ٢٦ .

ومنهم مَنْ يَحرمـه ذلك ويربطـه بالخذلان وسـوء الحرمـان ، نعـوذ بـالله مِنْ ذلك .

((تنبيـه٢)) : واعلم أنَّ الله سبحانـه خَـصَّ الأغنيـاء بوجـود الأرزاق ، وخَصَّ الفقراء بشهود الرزّاق .

وأنَّ مَنْ سَـعِدَ بوجود الرزّاق ما ضَـرَّه ما فاتـه مِنْ وجود الأرزاق .

((تنبيـه٣)) : واعلم أنه يرزق الأرواح والسّرائر كمـا يـرزق الأشـباح والظـواهر ، وأرزاقُ القلـوبِ الكـشوفاتُ والمعـاني كمـا أنَّ أرزاقَ الأجسـادِ الغـذاءُ والأحاظـي .

يُحـكى أنَّ رجلاً كان يخدم سهل بن عبـد الله ، فأصـابه الجـوع فقـال : يا أسـتاذ ، القوت ؟ فقال سهل : الله الحي الذي لا يموت . ثـم قـال لـه بعد مدة : يا أستاذ ، لا بد مِنَ القوت ؟ فقال سهل : لا بد مِـنَ الله الحـي الذي لا يموت .

وقيل لبعضهم : أيّ شيءٍ القُوت ؟ فقال : ذِكْـر الحيِّ الذي لا يموت .

والحـقُّ ﷻ يقبض أرزاق الظواهر ويُضَيّـقها على قـومٍ ويبـسطها عـلى آخرين ، كذلك سُنّتـه في أرزاق القلوب يُـرَدِّدهـا بـين قَـبْضٍ وبَـسْطٍ ، وقبـولٍ ورَدٍّ . وإنمـا يُعطـيهم إذا شـاء مـا شـاء كمـا شـاء ، لا بعِلّـةِ استحـقاقٍ ولا بسببِ إيجابٍ .

قيـل : إنَّ موسى عليه السلام قال يوماً في مناجاتـه : إلهي إني جـائع ، فـأوحى الله إليه : إني أَعلم ذلك ، فقال : أَطْعِمْنـي ، فقال سبحانه : إلى أنْ أُريد .

وكمـا أنَّ للظواهر طعامـاً وشرابـاً ، كذلك للسّرائـر طعام وشراب .

قال أهل الإشارة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾[1] : لم يُـشِـرْ إلى طعامٍ معهودٍ ولا إلى شرابٍ مألوف ، وإنمـا أشـار إلى طعـام المعرفـة وشراب المحبـة .

وأنشـدوا :

شَـرِبْتُ الحـبَّ كأسـاً بعـد كأسٍ فـلا نَـفَـدَ الشـرابُ ولا روِيـتُ

وأنشـدوا أيضاً :

سَـقـانـي شـربـةً أَحْيـى فـؤادي فـلا أَسْـلـو إلـى يـوم الـتّـنـاد

❊ ❊ ❊ ❊

(1) : سـورة الشعـراء .

الفَتّاح

(**الفَتّاح**) الحاكم بين العباد .

أو النّاصر لِمَنْ شاء سبحانه مِنْ عباده .

أو مَنْ يفتح خزائن رحمته لعباده .

فهو اسمُ ذاتٍ على الأول ، واسم فِعْلٍ على ما بعده .

قال الغزالي رحمه الله تعالى : الفتّاح هو الذي ينفتح بعنايته كلُّ مغلق ، وبهدايته ينكشف كلُّ مشكل ، فتارة يفتح الممالك لأنبيائه ويُخرجها مِنْ أيدي أعدائه ويقول : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾[1] ، وتارة يرفع الحجاب مِنْ قلوب أوليائه ويفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائه وجمال كبريائه ويقول : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[2] .

(1) : سورة الفتح .
(2) : سورة فاطر ، الآية ٢ .

ومَنْ بيده مفاتيح الغيب ومفاتيح الرزق فبالحري أنْ يكون فـتّاحاً .

وقيـل : الفتّـاح الذي لا يَـفتح أبوابَ الخـير ولا يُوصِـد أبـوابَ الـشر إلّا هو ، ولا يفصل بين الحـق والباطـل إلّا هو ، حُكْمه العَـدْل وقَـوْلـه الفَصْل. وذِكْـرُه يُورِث النصرَ على الأعداء ، ويَهدي إلى الحـق ومعرفتـه.

وإذا عَلِم العبد أنه هو الفتّـاح والقاضي بين عباده تجنّب سـبل الظلـم ، وتنكّب عن جميع الجور ، تحقّــقاً بأنـه يُحاسـب عـلى الـصغير والكبـير ، ويُطالب بالنـقير والقطمـير .

يُحكى عن بعض الصالحين أنه قال لولده يوماً : لي إليك حاجة ، فقال : وما هي ؟ قال : أنْ تقول لي بالمـساء كلَّ ما قلـتَـه بالنهار . فتكلّف الابن ذلك اليوم وحَفِظَ ما قالـه للنـاس وأعاده إلى أبيـه ، فلمّـا أصبح قال لـه أبوه مِثْـل ذلك ، فقال له الابن : عَـذِّبني بمـا شئتَ ولا تُـكَلِّـفنـي هـذا فإني لا أُطيقـه ، فقال الأب : يا بُنـيّ ، إذا كنـتَ لا تُطيـق محاسـبة أبيـك ليومٍ واحدٍ مع هذا اللّطـف ، فكيف تُطيـق محاسـبة عمرك يومَ لا يُسمع مِنَ الجواب إلّا ما كان صادقـاً ؟!

ويقال : إنَّ الله تعـالى يـأمر منادياً يـوم القيامــة ينـادي : إنَّ الله تعـالى يقول : أنا ظالـمٌ إنْ جاوَزَنـي اليومَ ظُـلْـمُ ظالـمٍ .

فإذا عَلِمَ العبدُ أنه مسؤولٌ عن جميـع أفعالــه وأقوالــه اسـتعدّ لـذلك اليوم ، فلا يعمل ما يخـاف عليـه العِـتاب ويخشى لأجلـه العقاب .

واعلم أنه يَـفتح للنفوس بركات التوفيـق ، وللقلوب زوائد التحقيـق . فبتوفيقـه تتـزيّن النفـوسُ بالمجاهـدات ، وبتحقيقـه تتـزيّن القلـوب بالمـشاهدات .

((تنبيـه)) : ومِن آداب مَنْ عَلِـمَ أنـه الفتّـاح أنْ يكون حَسَنَ الانتظـار لوجود لطفـه ، دائـم الـترقّب لحصول فـضلـه ، مُـسْتَديم التطلّـع لنيـل كرمـه ، تاركاً للاستعجال عليـه ، ساكنـاً تحت جريـان الحكم ، عالـمـاً بأنه لا يُـقَدِّم ما حكم بتـأخيره ، ولا يُـؤَخِّر ما حكم بتـقديمـه .

يُحـكى أنَّ رجلاً كان يؤذّن لأمير المؤمنين عليرضي الله عنه في مسجده ، وكانـت تخرج مِنْ دار علـيٍّ جاريـةٌ تَسْتَـقي بالغدوات ، فكان المـؤذّن يقـول لهـا كل يوم : يا فلانـة إني أُحبك ، فشَكَتْ يوماً إلى علـيٍّ وقالت : إنَّ المؤذّن يقول لي كل يوم : إني أحبك ، فقال علـي : قولي لـه : وأنا أيضاً أُحبـك ، فمـاذا بعد هذا ؟ فقالت الجاريـة للمؤذّن ذلك ، فقال المؤذّن : إذاً نـصبر حتى يحكم الله بيننـا . فذكرت ذلك لعلـيٍّ ، فدعا بالمـؤذّن وسـألـه عـن القصة ، فأخـبره بالصِّدْق ، فقال علـيّ : خُـذْ بيـدها واحملهـا إلى بيتـك فقد حَكَـمَ الله بينكمـا .

وقيـل : إنَّ رجلاً باع جاريـة فنـدم ، واسْتَحى أنْ يقـول ذلـك للنـاس وأنْ يعـود إلى المـشتري ، فكَـتَبَ عـلى كَـفِّـه حاجتـه ورفَـعَ يـده إلى

السمـاء ولم يقل بلسانـه شيئاً ، فرأى المـشتري في المنـام : إنَّ قلبَ وَلِـيِّـنا مشغولٌ بالجاريـة ، فـرُدَّها إليــه وأَجْـرك عـليّ . فلمّــا أصـبح الرجـل حَـمَـلَ الجاريـة إلى البـائع ودَقَّ الباب عليـه ، فقال : مَنْ أنت ؟ فقـال : مشـتري الجاريـة مع الجاريـة ، فقال : اصْبِرْ حتى يخرج الـثمن ، فقـال : أَرُدُّها بلا ثمنٍ ، فقد رَضِيتُ بمـا يُعطينـي الله بها مِنَ الأجـر .

((ملاحظـة)) : ينبغـي أنْ يـتعطّش العبـد إلى أنْ يَـصير بحيـث ينفـتح بلسانـه مغاليـق المشكلات الإلهيـة ، وأنْ يتيسّر بمعرفتـه ما يتعـسّر عـلى الخلـق مِنَ الأمور الدينية والدنيوية ؛ ليكون له حظ مِن اسم الفتّـاح .

❋❋❋❋❋

العليم

(**العَليـم**) الذي عَلِـمَ ما كان وما يكون أوّلاً وآخِراً ، ظاهراً وباطنـاً ، في الـمُلْـك والـملكوت والجـبروت ؛ لأنه خَلَـقَ الأشياء كلَّهـا تبـارك وتعالى وهو القائـل : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] .

والعلم صفـةُ كَـشْفٍ للـذّات العَلِـيّـة .

قال الإمام الغزالي : العليم معناه ظاهر ، وكمـالـه أنْ يُحيط بكلِّ شيءٍ عِلْمـاً ، ظـاهره وباطنــه ، دقيقــه وجليلــه ، أوّلــه وآخِـره ، عاقبتــه وفاتحتـه ... وهذا مِنْ حيث كـثرة المعلومات وهي لا نهاية لها ، ثم يكون العلم في ذاتـه مِنْ حيث الوضوح والكَشْف عـلى أَتـمّ مـا يُمكـن فيـه ، بحيث لا يُتـصوّر مشاهدةٌ وكَـشْفٌ أَظْهـر منـه ، ثم لا يكون مُـسْتـفاداً مِنَ المعلومات بل تكون المعلومات مُسْتـفادةً منـه .

وقيـل : العليم الذي وَسِـعَ علمُـه كـلَّ شيءٍ ، ولا يعـزب عـن عِلْمـه

---

(١) : سـورة الـملـك .

مثقال ذرة ، ولا تخفى عليه خافية ، ولا يَعلم مقدار عظمته إلّا هو ، ولا نهاية لكماله ، عالِم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، خَلَقَ العلماءَ والمتعلِّمين ، ويمدّهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، ويكشف لهم ما شاء مِنْ أسرار العلوم .

وذاكِره يفتح الله عليه ويخاف ربه ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ (١) .

وقال الإمام القشيري : عِلْمه سبحانه نَعْتٌ مِنْ نعوته ، ووَصْفٌ مختصٌّ بذاته ، ليس بمكتَسب ولا ضروري ، دَلَّ على ثبوته شهادةُ أفعاله المحكمة .

فإذا ثبت ذلك فمِنْ شأن مَنْ تحقّقه أنْ يكون مكتفياً بفِعْله عند جريان حكمه ، ساكناً عن تدبيره وتقديره ، فارغاً عن اختياره واحتياله .

قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٢) .

ولَـمّا أنْ تعرّض جبريل للخليل عليه السلام وهو في الهواء حين رُمِيَ مِنَ

(١) : سورة فاطر ، الآية ٢٨ .
(٢) : سورة الأنفال .

المنجنيـق قال لـه : هل لك مِنْ حاجـة ؟ فقال : أمّـا إليـك فـلا ، قـال : فسَـلْ ربَّـك ، فـقال : حَسْبـي مِنْ سـؤالي عِلْمُـه بحالـي .

وقيـل : إنَّ رجـلاً قـال لبعض الموفَّقين : أَيَطْـلُـبُ الرجـلُ الـرزقَ ؟ فقال : إنْ عَــلِمَ أيـن هـو فليطلـب . قـال : أَيـسأل الله تعـالى ؟ فقـال : إنْ عَـلِمَ أنه نَسِيَـه فليذكّـره . قـال : فمـا الحيلـة ؟ قال : تَـرْك الحيلـة .

((ملاحظـة)) : ومِنْ آداب مَنْ عَلِـمَ أنَّ الله تعـالى عالِــم الخـفيّــات ، خبـيرٌ لِـمـا في الصدور ، عليمٌ بمـا في الضمـائر والسّرائر مِنَ الخطرات ، لا يخـفى عليه شيءٌ مِنَ الحوادث في جميع الحالات ، فبالحريّ أنْ يستحـي عن موضع اطّلاعـه ، ويرتـدع عن الاغـترار بجميـل سـتره ، ويخـشى بغتـات قَـهْره ومعالجـة مَـكْره ، قال الله تعالى : ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ ﴾ (١) .

وفي بعض الكتب المنزلـة: " إنْ لم تعلموا أني أَراكم فالخـلل إيمـانكم ، وإنْ عَلِمتـم أني أَراكم فلِمَ جَعَلْـتُموني أَهْـون النّـاظرين إليكم ؟! " .

((تنبيـه١)) : للعبـد حـظٌّ مِنْ وَصْـف العليـم لا يكاد يخـفى ، ولكـن يُـفارق عِلْمُـه عِلْـمَ الله تعالى في الخـواص الثـلاث :

---

(١) : سـورة النسـاء ، الآيـة ١٠٨ .

إحداها : المعلومات في كثرتها، فإنَّ معلومات العبد وإنِ اتّسعت فهي محصورة في قلبه ، فأنّى يناسب ما لا نهاية له ؟

والثانية : أنَّ كَشْفه وإنِ اتّضح فلا يبلغ الغاية التي لا يمكن وراءها ، بل تكون مشاهدته للأشياء كأنه يَراها مِنْ وراء ستر رقيق. ولا تنكرن درجات الكَشْف فإنَّ البصيرة الباطنة كالبصر الظاهر ، وفرقٌ بين ما يتّضح في وقت الأسفار وبين ما يتّضح ضحوة النهار .

والثالثة: أنَّ عِلْمَ الله سبحانه وتعالى بالأشياء غيرُ مستفادٍ مِنَ الأشياء، بل الأشياء مستفادة منه ، وعِلْمُ العبد بالأشياء تابعٌ للأشياء وحاصلٌ بها .

وشُرِّفَ العبدُ بسبب العِلْم مِنْ حيث إنه مِنْ صفات الله عز وجل ، ولكن العلم الأشرف ما مَعْلومه أشرف ، وأشرفُ المعلومات هو الله تعالى .

فكذلك كانت معرفة الله تعالى أفضل المعارف ، بل معرفة سائر الأشياء أيضاً إنما تُشَرّف لأنها معرفةٌ لأفعال الله عز وجل ، أو معرفة للطريق الذي يُقَرِّب العبدَ مِنَ الله عز وجل ، أو الأمر الذي يَسهل به الوصول إلى معرفة الله تعالى والقرب منه ، وكلُّ معرفةٍ خارجة عن ذلك فليس فيها كثير شرف .

((تنبيه٢)) : ومِنْ آدابه أنْ لا يُعارِض مخلوقاً فيما يحتاج إليه مِنْ مطالبه اكتفاءً بعِلْمه ، فإنه إنْ ساكن بقلبه مخلوقاً عُوتِبَ في الوقت إنْ كان له عند الله قدر .

يُحكى عن إبراهيم الخوّاص أنه قال : كنت في البادية وكنت قد تهتُ ، فسمعتُ نباح كلبٍ مِنْ بعيد فأَصْغَيْتُ إليه ، وأخذتُ نحو ذلك الصوت وقلتُ في نفسي : أمشي نحو نباحه لِأُوافي العمارة ، فإنه لا يكون إلّا في عمارة . فلم ألبث أنْ صَفَعني شخصٌ مِنْ ورائي ولم أره ، فوقع عليّ البكاء وقلتُ : إلهي هذا جزاء مَنْ توكّل عليك ! فهتف بي هاتف : ما دُمْتَ في خفارتنا كنتَ عزيزاً ، وإنما صُفِعْتَ لأنك دَخَلْتَ في خفارة كلبٍ ، وهذا رأسُ مَنْ صَفَعك . فنظرتُ فإذا برأسٍ مقطوع بين يدي .

ويُحكى أيضاً عن الخوّاص أنه قال : كنتُ جائعاً في الطريق فوافَيْتُ الرّيّ ، فخطر ببالي أنَّ لي بها معارف فإذا دَخَلْتُها أضافوني وأطعموني . قال : فلمّا دخلتُ البلد رأيتُ منكراً احْتَجْتُ أنْ آمر فيه بالمعروف ، فأَمرتُ بالمعروف فأخذوني وضربوني ، فقلتُ في نفسي : مِنْ أين أصابني هذا الضرب على جوعي ؟! فنوديتُ في سِرّي : إنما أصابك ذلك لأنك سَكَنْتَ إلى معارفك بقلبك وقلتَ : إنهم يطعموني إذا دخلتُ البلد .

ويُحكى عن بعضهم أنه قال : كنتُ جائعاً فقلت لبعض معارفي : إني جائع ، فلم يُفتح لي مِنْ قِبَله بشيءٍ ، فمضيتُ فوجدتُ درهماً ملقىً على الطريق فرفعتُه ، فإذا فيه مكتوب : أمَا كان الله عالِماً بجوعك حتى قلتَ لِضعيفٍ : إني جائع ؟!

ويُحكى عن أبي سعيد الخراز أنه قال : خرجتُ وقتاً في البادية وكنت جائعاً ، فدخلتُ الكوفة وكان لي بها صديق يقال له : الحواري ، وكان يُضيفني إذا دخلت الكوفة ، فأتيتُ حانوته فوجدته غائباً ، فدخلت مسجداً بقرب حانوته أنتظر رجوعه ، وقلتُ : [بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وسلامٌ علينا وعلى عباد الله الصالحين المتوكِّلين] ، وقعدت مستنداً إلى أسطوانة أنتظر الحواري . قال : فدَخَلَ داخلٌ فقال : [الحمد لله رب العالمين ، وسبحان مَنْ أَخْلى الأرضَ مِنَ المتوكّلين ، وسلامٌ علينا وعلى جميع الكذّابين ، يا أبا سعيد يا مُدَّعي التوكّل ، التوكّل في الصحاري والبراري ، ليس التوكّل الجلوس على البواري تنتظر الحواري]. قال : فالتفتُّ فلم أجد أحداً .

وهكذا سُنّة الله مع خواصّ عباده ، لا يُسامحهم في خطرة ، ولا يتجاوز عنهم في لحظة ، يُطالبهم بالكبير والصغير، ويضايقهم بالنقير والقطمير. وأمّا الذين خست رتبتهم وقَلَّت قيمتُهم ، فيذرهم بإمهاله يغترّون ، وفي غفلاتهم ينهمكون ، حتى إذا أَخَذهم بغتةً أهلكهم مرة ، نعوذ بالله مِنْ ذلك .

* * * * *

القابض الباسط

(**القابض**) مُضَيِّقُ الرزق على مَنْ يشاء مِن عباده .

أو الذي يَقبض الأرواح مِنَ الأشباح لموتها .

أو هو الذي يقبض القلوب أحياناً .

أو هو قابضٌ للقلوب بإضلالها .

و (**الباسط**) مُوَسِّع الرزق على مَنْ يشاء .

أو هو ناشر الأرواح في الأشباح لحياتها .

أو هو باسطٌ للقلوب بهدايتها ورُشْدها .

والقابض والباسط هما مِن صفات الأفعال .

وقيل : معناهما : قابض الأرواح عن الأشباح عند الممات ، وباسط الأرواح في الأجساد عند الحياة .

وقيل : معناهما أنه يَقبض الصدقات مِنَ الأغنياء يعني يَقْبلها ، ويبسط الأرزاق للفقراء يعني يُعطيها ويَهبها .

وقيل : يَقبض القلوب أي يُضَيِّقها ويُوحِشها ، ويبسط القلوب أي يبهجها ويؤنسها .

وقيل : يقبض الرزق أي يُضَيِّقه ، ويبسطه أي يُوَسِّعه .

وقيل : القابض الذي مَلَك زمام كلّ شيءٍ ، يقبض ويبسط كيف يشاء. يَقبض العقلَ فلا يَفهم ، والقلبَ فلا يغنم ، والصدر فلا يفرح ، والرزق فلا يمنح ، والروح فلا تفرح ، والنفس فلا تمرح . ولا يفرّ مِنْ حكمه وقضائه خَلْقٌ مِنْ خَلْقِه ، حكيمٌ في فِعْله وتقديره ، وأَعْرَفُ بعبيده . وهو ذِكْرٌ نافع للخائفين مِنَ الأعداء ؛ ليقبض الله أيدي أعدائهم فلا تصل إليهم بأذى ، والأَوْلى ذِكْره مع اسمه تعالى الباسط .

والباسط الذي يبسط الرزق لِمَنْ يشاء مِن عباده ، وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار . ومَنْ ذَكَرَه يؤتيه الله بَسْطةً في الرزق والعِلْم والعدل في الحكم ، وفي كلِّ شيءٍ فيه نَفْعه في الدنيا والآخرة .

<u>((تنبيه))</u> : واعلم أنَّ القبض والبسط على اصطلاح أهل المعرفة في تخاطبهم نَعْتان يتعاقبان على القلوب ، فإذا غَلَبَ على قلبِ عبدٍ الخوفُ كان بِعَيْن القبض، وإذا غَلَبَ على قلبه الرجاءُ صار مِنْ أهل البسط .

يُحكى عن الجنيد أنه قال : الخوف يقبضني والرجاء يبسطني ، والحق يجمعني والحقيقة تغرقني ، وهو في ذلك كلِّه مُوحِشي غير مؤنسي بحضوري ذَوْق طَعْمِ وجودي ، فليته غيّبني عني وأفناني مني .

ويحكى عن بعضهم أنه قال: كنتُ مع الخوّاص في سفرٍ فنزلنا تحت شجرة ، فجاء أسدٌ فرَبَضَ بِقُربنا ، ففزعتُ فزعاً شديداً وعَلَوْتُ الشجرة ، وقعدتُ على غصنٍ إلى الصباح مِنْ خوفِ الأسد ، وقام الخوّاص ولم يحفل به . فلمّا كان الليلة الثانية نزلنا في مسجدٍ فنام الخوّاص ، فوقع على وجهه بقّة فضَجَّ ، فقلتُ : إنَّ هذا عجباً ! لم تحتشم البارحة مِنَ الأسد وفزعتَ الليلة مِنَ البقّة ! فقال : إنَّ البارحة كنتُ مأخوذاً عني والليلة أنا مردود عليّ ؛ فلهذا جزعتُ .

ويحكى عن الشبلي أنه قال : مَنْ عَرَفَ الله حَمَلَ السّماوات والأَرضين على شعرةٍ مِنْ جفن عينيه ، ومَنْ لم يعرف الله لو تعلّق به جناح بعوضة لضجّ .

فحُمِلَ هذا منه على حالتي القبض والبسط .

والقبض والبسط حالان يُهَذِّب بهما الله الذّاكرين ، ويَفتح بهما عليهم أبواب العلم والحكمة ، فإذا هَجَمَ القبضُ على أحدهم فإنه يهجم على صدره مِن أبواب الجلال وحكمة الكبير المتعال ، وتكثر الخواطر في إيضاح مستقبل المخاطر ، فيشتدّ خوف العبد مِنَ الله تعالى ويتذوّق حكمةً لا يتذوّقها إلّا مِنْ هذا الباب ، وهو عند ذلك القبض يَرى أضلاعه لا تُطيق صدره ، يكاد يتمزّق مِنَ الضِّيق ، فإذا اشتدّ عليه الحال لَطَفَ الله به عند ذلك المقدار الذي يُطيقه ، فينعرج صدره

بالبسط ، إذْ تَهجم عليه خواطر الحق بإيقاظه للنِّعَمِ التي أَعدّها الله لأحبابه ، ويتعلّم عن صاحب الإكرام وُعودَ الإنعام ، ويغرقه في بحارٍ مِنَ البسط لا يَسعها إلّا صدره ، ولو فُتِحَتْ للخليقة لَسَرَّتها ورَنَّحتها ، فإذا هَجَمَ عليه حال الدّلال أخافه الله مِنْ مَكْره حتى يصل إلى الاعتدال ، وتهجم عليه بعد ذلك أحوالُ القبض ... وهكذا دواليك تتناوب عليه أحوال القبض والبسط وهو يترقّى مِن انتقال إلى انتقال ، ومِنْ قَبْضٍ إلى قبض ، ومِن بَسْطٍ إلى بسط ...

فهذه تربية الله لأحبابه مِنَ المختارين مِن عباده .

وكان الدقّاق رحمه الله يقول : القبضُ حقُّ الحقِّ منك ، والبسط حظُّ العبد منه ، ولَأَنْ تكون بحقه منك أتمّ مِنْ أنْ تكون بحظك منه .

وينبغي أنْ يتجنّب الضجر في وقتِ نهضه ، ويتجنّب تَرْك الأدب في حال بَسْطه .

وفي بعض الحكايات أنَّ بعضهم قال : فُتِحَ عليّ مِنْ باب البسط فزللتُ زلّةً فحُجِبْتُ عن مكاني .

سُئِل بعض المشايخ عن تلك الزلّة : كيف كانت ؟ فقال: انبساط مع الحق بغير إذن ، ومِنْ هذا خشي الأكابر والسّادة .

* * * *

الخافض الرافع

(**الخـافـض**) مَنْ يخـفض القـسط ويرفعـه .

أو مَنْ يخفض الكـفار والفجّـار بالخـزي والـذّل والصَّغـار وعـذاب النـار .

و (**الـرّافـع**) مَنْ يرفـع الأبـرار بالإجـلال في دار السّـلام .

قـال الإمام الغـزالي : الخافـض الرافـع هـو الـذي يخفـض الكفـار بالإشـقاء ، ويَرفـع المؤمنـين بالإسـعاد . يَرفـع أوليـاءه بالتـقريب ، ويخـفض أعداءه بالإبعـاد . ومَـنْ رفـع مـشاهدتَـه عـن المحسوسـات والمتخيّـلات ، وإرادتَــه عـن ذميم الـشهوات ، فقـد رَفَعــه إلى أُفــق الملائكة المقـرّبين . ومَنْ قصر مـشاهدتـه عـلى المحسوسات ، وهِـمَّتــه على مـا يـشارك فيـه البهـائم مِـنَ الـشهوات ، فقـد خَفَـضَـه إلى أسـفل السّافلـين ، ولا يفعل ذلك إلّا الله تعالى فهو الخافـض الرافـع .

وقال بعضهم: الخافـض الذي يُـنزل العُتـاة والمتكـبّرين وأهلَ الظلـم

منازل الذل والهوان . وذِكْره يُورِث خشية الله تعالى ، والنصر على الأعداء ، وخَفْض الجناح للمؤمنين .

والرافع الذي يهب الدرجات العُلا لِمَنْ يشاء مِنْ عباده ، وينصر أحبّاءه ويَرفع أقدارهم على غيرهم . ومَنْ ذَكَرَه يترفّع عن الأمور الموجِبة للنَّقْص في درجات الآخرة ، ويزداد في التواضع لله ومحبته .

واعلم أنهما اسمان مِنْ أسمائه تعالى وَرَدَ بهما الخبر ، وهما مِنْ صفات فِعْله، يَرفع مَنْ يشاء بإنعامه، ويخفض مَنْ يشاء بانتقامه.

وعلى هذا يُحمل تصريفه لعباده في حالتي عِزِّهم وذُلِّهم ، وغِناهم وفقرهم .

وكذا رَفْعُ الحقِّ وحِزْبه ، وخَفْض الباطل وصَحْبه .

ورَفْع الدِّين وشعاره ، وخَفْض الكفر وآثاره .

ورَفْع التوحيد ودليله ، وخَفْض الإلحاد وسبيله .

ورَفْع الإسلام وأنواره ، وخفض الأصنام ومَنْ رَضِيَ تعظيمها وإحقارُه .

ورَفْع القلوب بتقريبه ، وخَفْض النفوس بحُكْم تعذيبه .

ورَفْع أوليائه بحِفْظ عهده وحُسْن ودِّه وجميل رِفْده وصِدْق وعده ، وخَفْض الأعداء بِصَدِّه ورَدِّه وطَرْده وبُعْده .

ورَفْع مَنِ اتّبَعَ رضاه ، وخَفْض مَنِ اتّبع هواه .

قيـل : مَنْ رَضِي بدون قَـدْره رَفَـعَـه الله فوق غايتـه .

وفي بعض الحكايات : إنَّ رجلاً رُئِـيَ واقفـاً في الهـواء فقيـل لـه : بِـمَ بَلَـغْتَ هذه المنـزلـة ؟ فقال : أنـا رجـلٌ جَعَلْـتُ هـواي تحـت قـدمي ، فسَخَّـرَ الله لي الهـواء .

وليس المرفوع قَـدْراً ، والـمُعْلى شأنـاً وأَمْـراً ، والـمُسْتَحِـقُّ مجداً وفخراً ، مَنْ وَضَعَ الطين على الطـين وتكـبّر عـلى المـساكين ، وافـتخـر على أشكالـه بكثرة مالـه واسـتقامة أحوالـه ، وإنمـا الـمُشَـرَّف شأنـاً والـمُعْلـى رتبـةً ومكاناً مَـنْ رَفَعــه الله بتوفيقــه ، وأَيــَّده بتـصديقـه ، وهداه إلى طريقـه ، صفا مع الله قلبـه ، وخَلا له وجهـه ولُـبُّـه ، وصـعد إلى السمـاء أَنينـه ، وصَدَقَ إلى الله شوقـه وحنينـه .

((تنبيـه)) : حظ العبد مِـنْ ذلـك أنْ يرفـع الحــقَّ ويخــفض الباطـل ، وذلـك بـأنْ ينـصر الـمُحِــقَّ ويزجـر الـمُبْطِــل ، فيعـادي أعـداء الله ليخـفضهم ، ويُوالـي أوليـاء الله ليرفـعهم .

ولذلك قـال الله تعـالى لـبعض أوليائـه : " أمّـا زهـدك في الـدنيا فقـد استعجلتَ به راحـة نفسك ، وأمّـا ذِكْـرك إيّـاي فقد تَشَـرَّفْتَ بي ، فهل والَـيْـتَ فـيّ وَلِـيّـاً ؟ وهل عادَيـْتَ فـيّ عـدوّاً ؟

فافـهم أخي المسلم تَـغْـنَم ...

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

المُعِزّ المُذِلّ

(**المُعِزّ**) مُعِزُّ المؤمنين ، والمُعِزُّ لِمَنْ شاء إعزازَه بتوفيقه للفعل المليح .

و (**المُذِلّ**) مُذِلُّ الكافرين ، والمُذِلُّ لِمَنْ شاء إذلاله بِهَدْيِه للقبيح .

وهما مِنْ صفات الأفعال ، فهو سبحانه وتعالى المُعِزُّ لِمَنْ شاء إعزازه ، والمُذِلّ لِمَنْ شاء إذلاله .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : المُعِزُّ المُذِل هو الذي يؤتي المُلْكَ مَنْ يشاء ويَسلبه مِمَّنْ يشاء .

والمُلْك الحقيقي في الخلاص مِنْ ذُلِّ الحاجة ، وقَهْر الشهوة ، ووَصْمة الجهل . فمَنْ رَفَعَ الحجاب عن قلبه حتى شاهد جمال حضرته ، ورَزَقَه القناعة حتى استغنى بها عن خَلْقه ، وأَمَدَّه بالقوة والتأييد حتى اسْتَولى بها على صفات نفسه ، فقد أَعَزَّه وآتاه المُلْك

عاجلاً ، وسيُعِزّه في الآخرة بالتقريب ويناديه : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ (١) .

ومَنْ مَدَّ عَينه إلى الخلق حتى احتاج إليهم ، وسلّط عليه الحرص حتى لم يقنع بالكفاية ، واستدرجه بمَكْرِه حتى اغترّ بنفسه وبقي في ظلمة الجهل ، فقد أَذلّه وسَلَبه المُلْك .

وذلك صُنْع الله ﷻ كما يشاء حيث يشاء ، فهو المُعِزّ المُذِلّ ، يُعِزُّ مَنْ يشاء ويُذِلّ مَنْ يشاء .

وكلُّ عبدٍ استُعمل في تيسير أسباب العِزّ على يده ولسانه فهو ذو حظ مِن هذا الوصف .

وقال الإمام القشيري : هما اسمان مِن أسمائه تعالى وصفات فِعْله ، فإعزازه للعبد يكون في الدنيا والآخرة . فأمّا في الدنيا فيكون بالمال والحال ، فالمال لتجمّل الظواهر ، والحال لتزيّن السّرائر . والمال يتحصّل الاستغناء به مِنَ الأمثال والأشكال ، والحال يتحصّل الافتقار بها إلى مَنْ لم يزل ولا يزال . فالإعزاز بالمال فيما بين الخلق ، والإعزاز بالحال على باب الحق .

---

(١) : سورة الفجر .

وقال بعضهم : الـمُعِزّ الذي يـهب العِـزَّ وموجباتـه لِـمَنْ شـاء مِـنْ خَلْقِـه ، لأهل الـدنيا بالجـاه والمـال ، ولأهـل الآخـرة بـالعلم وصـالح الأعمـال . وذاكره يكرمه الله في الدنيا والآخرة ، ويكون محبوبـاً مهيبـاً .

والـمُذِلّ الذي يُـهين المتكـبّرين وقد أَعَدَّ لهم جهنم ، ويُـذِلّ النفـوس الطاغيـة بالجوع والفقر والمرض والـضعف والمعـاصي ، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾[1] .

وذِكْـره يورث الخـوف مِنَ الله تعالى ، والتواضع ، وقَـهْر الـنفس عـلى معرفـة الحـق الكامخ .

((تنبيــه)) : إذا أراد الله إعـزاز عبـدٍ قـرّبــه مِـن بـساطـه ، وأَهَّـلَـه لمنـاجاتـه . وإذا أراد الله إذلال عبـد رَبَطَـه بشهواتـه ، وحال بينـه وبـين قربـه ومخاطبتـه .

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يـا داود حَـذِّرْ وأنـذر أصـحابك أَكْـلَ الشهوات ، فإنَّ القلوب المعلّقـة بشهوات الدنيـا عقولها عني محجوبـة .

((ملاحظـة١)) : واعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى يُعِـزّ الزاهـدين بعـزوب نفوسـهم عن الدنيـا ، ويُعـزّ العابدين بسلامـة نفوسهم عن الرغائب والـمُنــى ،

---

(١) : سـورة الحـج .

ويعزّ أصحاب العبادات بسلامتهم عن اتّباع الهوى ، ويعزّ المريدين بزهادتهم في صحبة الوَرى وانقطاعهم إلى باب المولى ، ويعزّ العارفين بتأهيلهم لمقامات النجوى ، ويعزّ المحبين بالكشف واللّقاء والغنى عن كل ما هو غير وسِوى ، ويعزّ الموحّدين بشهود جلالِ مَنْ له البقاء والبهاء .

((ملاحظة٢)) : واعلم أنَّ إعزاز الحق لعباده يكون بصحة القناعة ، فإنَّ الذل كلَّه في الطمع .

قيل : إنَّ العُقاب يطير في الهواء في تصاعده ، فلا يرتقي طرف إلى مطاره ، ولا تسمو همة إلى الوصول إليه ، فيرى قطعة لحمٍ معلّقة على شبكةٍ ، فيُدليه الطمع مِنْ مطاره فتعلق الشبكة بجناحه ، فيصيده صبي ثم يلعب به .

ولولا الأطماع الكاذبة لَما استعبد الأحرار بكل شيء لا خطر له ، فإيّاكم والطمع فإنه يذل الأحرار .

((ملاحظة٣)) : ليس العزيز مَنْ تطاول على أشكاله بماله ورياشه (١) وانتظام أسباب معاشه ، ويتطاول على أبناء جنسه ،

---

١) : يُقال في الحال والحالة الجميلة .

ويعجب بسلامة نفسه وينسى ما كان يُقاسي في أَمْسه ، إنما العزيز مَنْ له ذرةٌ مِن روح أُنسه ، وجنبٌ عن صحبة نفسه وأبناء جنسه وشهود قدسه .

قال العارفون : ما أَعزّ الله عبداً بمِثْل ما يدلّه على ذُلِّ نفسه ، وما أذلّ الله عبداً بمِثْل ما يردّه إلى توهّم عِزّه .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

السَّمِيعُ

(**السَّميـع**) الذي يَسمع كلَّ شيءٍ مِنَ الأصوات وغيرها بدون حاسـة ، فيسمع دبيب النملـة السوداء على الصخرة الـملساء في الليلـة الظلمـاء .

قال أبو حامد الغزالي : السّميع هو الذي لا يعزب عن إدراكه مـسموعٌ وإنْ خفـي ، فـيَسمع السِّـرَّ والنجوى ، بل هو أدقّ مِنْ ذلـك وأخفـى ، ويُدرك دبيب النملـة السوداء على الصخرة الصمّـاء في الليلـة الظلمـاء . يَسمع حَـمْدَ الحامـدين فـيُجازيـهم، ودعـاءَ الدّاعـين فيستجيب لهـم ، ويَسمع بغير أصمخـة وآذان كمـا يفعـل بغـير جارحـةٍ ويـتكلّم بغـير لسـان . وسَـمْعُـه منـزّهٌ عن أنْ يتطـرّق إليـه الحدثـان .

ومهمـا نَـزَّهْتَ السّميع عن تَغَـيُّـرٍ يَعْـتريـه عند حدوث المسموعات ، وقدّستَـه عن أنْ يَسمع بأُذن أو بآلـةٍ وأداة ، عَلِمْـتَ أنَّ الـسّمع في حقـه عبارة عن صفةٍ ينكشف بها كمـال صفات المسموعات . ومَنْ لم يُدقّـق

نظره فيه وقع بالضرورة في محض التشبيه ، فخُذْ منه حذرك ، ودَقِّقْ فيه نظرك .

وبتعريف آخر : السّميع المُدْرِك للموجودات ، العَليمُ بحركاتها وسَكَناتها فلا تصدر إلّا عن تدبيره ، ويَسمع أصواتها الحادثة بِسَمْعه القديم المنزّه عن مشابهة الحادث ، فلا تختلف عليه دعوات خَلْقه ، ولا يشتغل بشيءٍ عن شيءٍ سبحانه .

((تنبيه)) : للعبد مِنْ حيث الحِسّ حظٌّ في السّمع لكنه قاصر ، فإنه لا يُدْرِك جميع المسموعات بل ما قَرُبَ مِنَ الأصوات ، ثم إنَّ إدراكه بجارحةٍ وأداة معرّضة للآفات ، فإنْ خَفِيَ الصوت قصر عن الإدراك ، وإنْ بَعُدَ لم يُدرك ، وإنْ عَظُمَ الصوت ربما بطل السّمع واضمحل .

وإنما حظه الديني منه أمران : أحدهما أنْ يَعلم أنَّ الله ﷻ سميع فيحفظ لسانَه . والثاني أنْ يعلم أنه لم يخلق له السّمع إلّا ليسمع كلام الله ﷻ وكتابه الذي أَنزله ، فيستفيد به الهداية إلى طريق الله ﷻ ، فلا يستعمل سمعه إلّا فيه .

*****

البَصِيرُ

(**البصيـر**) الذي يُبصر كلَّ شيءٍ ولو صوتاً بدون حاسّـة .

فالسّميع والبصير صفتـان ينكـشف بهمـا كـلُّ شيءٍ انكـشافاً تامـاً كصفـة العِلْم له سبحانه ، فيعلم ما يكـون في الأرض ومـا في الـسمـاء ، وما في أعمـاق البحار ﷻ ، وما في ذَرّات العوالـم كلها .

ويقال : البصير هو الذي يُشاهِد ويَـرى حتى لا يعزب عنـه مـا تحت الـثرى . وإبصاره أيضاً منـزّه عن أنْ يكون بحدقـة وأجفـان ، ومقـدّس عن أنْ يرجع إلى انطباع الصور والألوان في ذاتـه ، كمـا ينطبع في حدقـة الإنسان ، فإنَّ ذلك مِنَ التغـيّر والتـأثر المقتضي للحدثـان .

وإذا نُـزِّه عن ذلك كان البصر في حـقه عبارة عن الصفة التي ينكـشف بها كمـال نعوت الـمبصَرات ، وذلك أَوْضح وأَجْلـى مِـمّـا يفهـم مِـنْ إدراك البصر القاصر على ظواهر المرئـيات .

وقـال بعـضهـم : البـصير المـدرِك للموجـودات ، العلـيم بحركاتهـا

وسَكَناتها فلا تصدر إلّا عن تدبيره ، ويُبصر حركاتها الحادثة وكليّاتها وجزئياتها ببصره القديم المنزّه عن مشابهة الحادث ، ولا تُواري منه سماءٌ سماءً ، ولا أرضٌ أرضاً ، ولا شيءٌ شيئاً .

وذاكره يكون مِنْ أهل مراقبة الحق ، ويصفو باطنه حتى ينظر بنور الله ويكون مِنْ أهل الكشف .

((ملاحظة)) : حظ العبد مِنْ حيث الحِسّ مِنْ وَصْفِ البصر ظاهرٌ ولكنه ضعيف قاصر ، إذ لا يمتد إلى ما بَعُد ولا يتغلغل إلى باطن ما قَرُبَ ، بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن والسرائر .

وإنما حظه الديني منه أمران : أحدهما أنْ يعلم أنه خلق له البصر لينظر إلى الآيات وإلى عجائب الملكوت والسّماوات ، فلا يكون نظره إلّا عبرة .

قيل لعيسى ﵇ : هل أحد مِنَ الخلق مثلك ؟ فقال : مَنْ كان نَظَره عبرة ، وصَمْته فكرة ، وكلامه ذِكْراً فهو مثلي .

والثاني أنْ يعلم أنه بمرأىً مِنَ الله ﷻ وبِمَسْمَعٍ ، فلا يستهين بنظره إليه واطّلاعه عليه . ومَنْ أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله ﷻ .

والمراقبة إحدى ثمرات الإيمان بهذه الصفة ، فمَنْ قارَفَ معصيةً

وهو يعلم أنَّ الله عَجَلّ يراه فما أَجْسَره وما أخسره ! ومَنْ ظَنَّ أنَّ الله تعالى لا يراه فما أكفره !

وتلخيص ما مر معنا مِنْ ذِكْر (السّميع البصير) أنَّ سمعه وبصره صفتان له زائدتان على عِلْمه بخلاف مَنْ خالف فيه مِنَ القدرية .

وهما إدراكان له ، فلا يخرج مسموعٌ عن سَمْعه ولا موجودٌ عن بصره ، وحَدُّ ما يحدّون أنْ يسمع ويرى على الحقيقة فهو الموجود .

وليس مِنْ شرط سمعه وبصره حلولٌ في عضو واختصاصٌ منه بجزء ؛ لأنه سبحانه أَحَدِيُّ الذات فَرْدي الحقيقة ، غير منقسم في ذاته ولا مُتَألِّف بشيءٍ مِنْ أمثاله .

وسَمْعه وبصره لا يتعلّقان بمعدومٍ ؛ لاستحالة أنْ يكون المعدوم مُدْرَكاً .

وأنه لا يُحجب شيءٌ عن بصره وسمعه ، يَسمع السِّر والنجوى ، ويُبصر ما هو تحت أطباق الثرى .

وكلُّ مَنْ عرف مِن عباده أنه هو السّميع البصير فمِنْ آدابه دوام المراقبة ، ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة .

قيل : إنَّ رجلاً مِنَ الملوك كان له عبد وكان يُقْبِل عليه أكثر مِمّا يُقْبل على أمثاله ، ولم يكن أحسن منهم صورة ولا أكثر قيمة ،

فتعجّبوا منه . وكان قد ركب الأمير يوماً في صحراء ومعه ندماؤه وغلمانه ، فنظر إلى جبلٍ مِن بعيد وعليه قطعة ثلج ، فنظر الملك نظرةً واحدة وأطرق ، فركض هذا الغلام دابته مِنْ غير أنْ ينظر الأمير إليه أو أشار بشيء عليه ، ولم يعلم الناس لِما يركض ، فما لبثوا إلّا يسيراً حتى جاء الغلام ومعه شيء مِن ذلك الثلج ، فسُئِلَ : بِمَ عرفتَ أنه أراد الثلج ؟! فقال: لأنه نظر إليه ، ونَظَرُ الملوك إلى شيءٍ لا يكون إلّا على أصل . فقال الأمير : إنما أُقْبِل على هذا أكثر مِن إقبالي على غيره بهذا الذي رأيتم؛ لأنَّ الكل مشتغلون بأنفسهم وهذا مشتغل بمراعاة أحوالي .

وإنَّ مِنْ علامات مَنْ يعلم أنه السّميع البصير أنْ يكون مُسْتَحِياً مِن اطّلاعه عليه وسَمْعِه لِما يقول .

رُوِيَ عن الصديق رضي الله عنه أنه قال : " إني لأغتسل في الليلة الظلماء فأَحْني صُلْبي حياءً مِن ربي " .

ويقال : " إنْ عَصَيْتَ مولاك فاعْصِ في موضعٍ لا يراك " .

ومِن ألطاف الله سبحانه بعباده الذين يَحفظون له سَمْعَهم وبصرهم أنْ يَكْفِيَهم مؤنة أنفسهم ويَصونهم في أحوالهم ، فتكون أسماعهم مَصونةً عن سماع كلِّ لَغْوٍ ، وأبصارَهم محفوظةً عن شهود كل كبيرة ولهو .

رُوِيَ في الخبر أنَّ الله تعالى يقول : " وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مِمّا افترضتُ عليه ، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحبه ، فإذا أحببتُه كنتُ سَمْعَه الذي يَسمع به ، وبصره الذي يُبصر به .... الحديث "(١) .

وهذا هو محل الحفظ ووَصْف التخصيص في العناية .

وهذا هو صفة الجمع الذي أشار إليه القوم : أنْ لا يكون العبد لنفسه بنفسه ، بل يكون لربه بربه .

وإذا عَلِم أنَّ مولاه يَسمع ما يقول ويرى ما يختلف به مِنَ الأحوال ، فإنه يكتفي بِسَمْعه وبصره عن انتقامه وانتصاره ، فإنَّ نصرة الحق سبحانه أتمّ له مِن نصرته لنفسه .

قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾(٢) ، ثم انظر بماذا سَلاه وكيف خفّف عنه تحمّل أثقال بَلْواهم بما شَغَله به ، فأمَره به حيث قال : ﴿ فَسَبِّحْ

---

(١) : رواه البخاري من حديث أبي هريرة ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي ، وأبو نعيم في الحلية .
وفي الباب عن عائشة ، وميمونة ، وأنس بن مالك ﷺ .

(٢) : سورة الحجر .

﴿ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩ ﴾[1]، أي اتّصف أنت بمدحنا وثنائنا إذا تأذّيْتَ بسماع السّوء فيك، فاسْتَرْوِح بروح ثنائك علينا .

ثم إنه سبحانه لَمّا قالوا له عليه الصلاة والسلام إنه مجنون، تولّى نَفْيَ ذلك عنه وردّ عليهم فقال تعالى : ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ ﴾[2]، فنفى ذلك عنه لَمّا أقسم عليه تحقيقاً لتنزيهه وتطهيراً لنعمته ﷺ، ثم عاب قائله بعشر خصال مِنَ الذمّ حيث قال : ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ ﴾[3].

فإنَّ ردَّ الحق سبحانه الذي رَدَّ به عنه عليه الصلاة والسلام أتمّ مِنْ رَدّه ذلك لنفسه .

*****

---

[1] : سورة الحجر .

[2] : سورة القلم .

[3] : سورة القلم .

الحَكَم

(الحَكَم) الحاكم الذي لا مَرَدَّ لقضائه ولا مُعَقِّب لِحُكْمِه .

فمرجعه للقول الفاصل بين الحق والباطل ، وبين البرّ والفاجر ، المجازي كلَّ نفسٍ بما عَمِلَتْ .

قال الغزالي رحمه الله تعالى : هو الحاكم المُحَكِّم ، والقاضي المنتقم الذي لا رادّ لحكمه ، ولا مُعَقِّب لقضائه .

ومِن حُكْمه في حقِّ العباد : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] ، و ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾[2] .

ومعنى حُكْمه للبَرِّ والفاجر بالسعادة والشقاوة ، أنه جَعَلَ البِرَّ

---

(١) : سورة النجم .

(٢) : سورة الانفطار .

والفجور سبباً يسوق صاحبهما إلى السعادة والشقاوة ، كما جَعَلَ الأدوية والسّموم أسباباً تَسوق متناوليها إلى الشقاء والهلاك .

وقال القشيري : الحَكَم هو الحاكم ، وحُكْمه خَبَره عن الشيء على وَصْفٍ ، فيكون ذلك مِن صفات ذاته .

ويكون حُكْمه أيضاً بين عباده بشيءٍ ، وهو أنْ يخلق ذلك الشيء على الوجه الذي يريد ، يقال : حَكَمَ لفلانٍ بالنعمة أي أنعم عليه ، وحَكَمَ على فلان بالمصيبة إذا خَلَقَ الله له البلاء ، فيكون هذا مِنْ صفات الفعل .

واعلم أنَّ الله تعالى حَكَمَ في الأزل لعباده بما شاء ، فمنهم شقي وسعيد ، وقريب وبعيد ، فمَنْ حَكَمَ له بالشقاوة لا يَسعد أبداً ، ومَنْ حَكَمَ له بالسّعادة لا يشقى أبداً .

قيل : إنَّ بعض الأكابر كان قاعداً فمرّ به تابوت يهودي أَوْصى بأنْ يُدفن في بيت المقدس ، فقال ذلك الشيخ : أَيُكابِرون الأزل ؟! أما عَلِمَ هؤلاء أنهم لو دَفَنوا هذا في فراديس العُلا لجَاءت لَظى بأنكالها وحَمَلَتْه إلى نفسها ؟

وكان الدقاق رحمه الله كثيراً ما يُنشد :

ما حيلتي تفعل الأقدار ما أُمِرَتْ   والناسُ ما بين ذي غيٍّ وذي رُشْدِ

وقال القرطبي : لم يرد في القرآن بهذه الصيغة وَصْفاً لله تعـالى ، ولكنـه وَرَدَ مُضْمَنـاً في قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ (١) ؟! وقـال : ﴿ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (٢) . وجـاء في حديث أبي هريرة ، وأجـمعت عليه الأُمّـة .

ويجـوز إجراؤه على المخلوق وَصْفاً منكراً كمـا ورد في القرآن : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ (٣) .

ولا يجوز اسمـاً مُعَـرّفـاً ولا كُنيـة ، ففي حديث شريح عن أبيـه هـانئ " أنه لَـمّـا وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومـه سَمِعهم يكنّونـه بأبي الحكم ، فدعـاه رسول الله ﷺ فقال : إنَّ الله هو الـحَكَم وإليـه الـحُكْم ، فلِـمَ تُـكنّى بأبي الحكم ؟ فقال : إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحَكَمْتُ بينهم فرضي كلا الفريقـان . فقال رسول الله ﷺ : ما أحسن هـذا ! فمـا لك مِنَ الولـد ؟ قال : لي شريح ومسلم وعبد الله ، قال : فمَنْ أكبرهم ؟ قلت : شريح ، قال : فأنت أبو شريح " (٤) .

---

١) : سـورة الأنعـام ، الآيـة ١١٤ .

٢) : سـورة الأعـراف .

٣) : سـورة النسـاء ، الآيـة ٣٥ .

٤) : إسـناده جيـد ورجاله ثـقات ، أخرجه أبـو داود ، والنـسائي ، والبخـاري في الأدب ، والحـاكم ، والبيهقـي ، والطبراني في الكبير ، والضحاك ، وابن سـعد في طبقاتـه ، وأبو نعيم في الحليـة ، والخطيب في تاريخـه .

والـحَكَـم مَنْ لـه الـحُكْـم ، وهـو تنفيـذ القـضايا وإمـضاء الأوامـر والنـواهي ، وذلك بالحقيقـة هو الله تعالى .

فهذا الاسم يَرجع تـارة إلى معنـى الإرادة ، وتـارة إلى معنـى الكـلام ، وتارة إلى الفعـل .

فأمّـا رجوعه إلى الإرادة فإنَّ الله تعـالى حكـم في الأزل بمـا اقتـضته إرادتـه ، ونفـذ القضاء في اللوح المحـفوظ ، يجـري القلم فيـه على وفاق حُكْمِ الله ، ثم جَرَتِ الأقدار في الوجود بالخير والـشر والعُـرف والنكـر على وفـاق القـضاء والـحُكْـم .

وإذا كان راجـعاً إلى معنـى الكـلام فيكون معنـاه الـمُبَـيِّـن لعبـاده في كتابـه ما يُطالبهم بـه مِن أحكامـه ، كمـا يُـقال لِـمَنْ يُبـيّـن للنـاس الأحكام وينهج لهم معاني الحلال والحرام حَكَـمٌ . وعلى هذا فلا يكـون في الوجود حَكَـمٌ إلّا كتابـه ، فعنده يوقَـف إذ هو الحكم العدل .

وإذا كان راجعاً إلى الفعـل فيكون معناه الـحَكَم الذي ينـفذ أحكامـه في عباده بإشقائـه إيّـاهم ، وإِسْعاده وتقريبـه إيّـاهم ، وإيعاده على وفـق مراده ، كمـا قـال : ﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [1] .

ذَكَـرَ هذه الأوجـه الثلاثـة الأقـليشي رحمـه الله تعالى .

---

[1] : سـورة الرحمـن .

قال ابن الحصار : وقد تضمّن هذا الاسم جميع الصفات العُلا والأسماء الحسنى ، إذ لا يكون حَكَماً إلّا سميعٌ بصيرٌ عالِمٌ خبيرٌ ... إلى غير ذلك ، فهو سبحانه الحَكَم بين العباد في الدنيا والآخرة ، في الظاهر والباطن ، وفيما شَرَعَ مِن شرعه ، وأَمْضى مِن حُكْمِه وقضاياه على خَلْقه قولاً وفعلاً ، وليس ذلك لغير الله تعالى ؛ ولذلك قال وقوله الحق : ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [1] ، وقال : ﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [2] ، فلم يزل حكيماً قبل أنْ يَحكم ، ولا ينبغي ذلك لغيره .

فيجب على كلِّ مكلّف أنْ يعلم أنْ لا حَكَم إلّا الله تعالى وحده ، وأنَّ كلَّ أفعاله أحكام وقضايا ، وكلَّ أقواله حِكَم ووصايا .

ويجب عليه أنْ يَعلم أنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام هم معادن الحكمة وأهل الحُكْم ، ولم يُفوّض الله تعالى الحُكْم إلّا لهم . وكلُّ مَنْ سواهم يجب عليهم الاقتداء بهم ، وأنْ لا يَحكموا إلّا بما أَنزل الله . وتَعَبَّد الله كافة المؤمنين بِنَصْبِ الحكام وإقامة الأحكام ، ولا خلاف في ذلك في الجملة .

---

(١) : سورة القصص .

(٢) : سورة هود .

ثم يجب على كل مسلم إذا دُعِـيَ إلى الـحُكْم عليه أنْ يُجيب إلى ذلك ، وينـقاد لِـحُكْـم الله تعالى عليـه إذا تَوَجَّـه عليـه وإلّا كان ظالمـاً .

قـــال الله تعـــالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[١] .

ويجب على الحكام أنْ لا يتـعدّوا حُكْم الله الـذي شرعـه لهـم ونَـصَبـه فَصْلاً بين عباده ، وأنْ يحكم الحاكم بالحق وإنْ كان على نفسه كمـا قال : ﴿ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾[٢] .

وأحكام القضـاة والحـكام مبسوطـة في كتب الفقـه وشرح الحديث .

((ملاحظـة)) : وإذا كان معنى الحكمة ترتيب الأسباب وتوجيهها إلى المسبِّبات كـان حَكَمـاً مطلقـاً ؛ لأنـه مُـسَبِّب كـل الأسـباب جملتها وتفصيلها .

ومِنَ الـحكـم ينـشعب القـضاء والقــدر ، فـتدبـيرُه أَصْـل وَضْـعِ الأسباب ليتوجّـه إلى المسبِّبـات : حُكْمُـه . ونَـصْبُـه الأسـباب الكليـة

---

١) : سـورة النـور .

٢) : سـورة النسـاء ، الآيـة ١٣٥ .

الأصليـة الثابتـة المستـقـرّة التي لا تزول ولا تحول كالأرض والسمـاوات السبع والكواكب والأفلاك ، وحركاتها المـتناسبـة الدائمة التي لا تـتغـيّر ولا تنعـدم إلى أنْ يبلـغ الكتـاب أجلــه : قـضاؤُه ، كمــا قــال تعــالى : ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ (١) . وتوجيـهُ هذه الأسباب بحركاتهـا المـتناسبــة المحـدودة المقـدَّرة المحـسوسـة إلى المسبِّبات الحادثـة منها لحظـةً بعد لحظـة : قَـدَرُه .

فالــحُكْمُ هـو التـدبير الأَوّل الكـلي والأَمْـر الأَوّلي الـذي هـو كلمـح البصر ، والقضاءُ هو الوضع الكلي للأسـباب الكليـة الدائمـة ، والقَـدَر هو توجيـه الأسباب الكليـة بحركتـها المـقدّرة المحسوبـة إلى مـسبّباتـها المعدودة المحدودة بقدر معلومٍ لا يزيـد ولا يـنقص ؛ ولـذلك لا يخـرج عن قضائـه وقَـدَره شيء .

نعم ، العباد في مشاهدة الـحَكَم على درجات : فمِنْ ناظـرٍ إلى الخاتـمة أنه بمـاذا يـختم لـه ؟ ومِن ناظـرٍ إلى السّابـقة أنـه بمــاذا قـضى لـه في الأزل ؟ وهو أعلى لأنَّ الخاتـمة تَـبَعُ الـسابـقة . ومِـن تـاركٍ للمــاضي والمستـقبل هو ابن وقـتـه ، فهو ناظِـرٌ إليـه راضٍ بمواقـع قَـدَر الله ﷻ وما يظهر منـه ، وهو أعـلى مِـمّــا قبلـه . ومِـن تـاركٍ للحـال والمـاضي

(١) : سـورة فصلـت ، الآيـة ١٢ .

والمستقبل ، مُسْتَغْرِق القلب بالحَكَمِ ، ملازم في الشهود ، وهذه هي الدرجة العليا .

((تنبيه)) : واعلم أنَّ الناس على أربعة أقسام :

١ - أصحاب السّوابق : فتكون فكرتهم أبداً فيما سبق لهم مِنَ الله سبحانه ، يَعلمون أنَّ الحُكْم الأزلي لا يتغيّر باكتساب العبد .

يقول الدقاق : سمعتُ بعضهم يقول : كان الواسطي رحمه الله يَصيح ليلةً إلى الصباح ، فلمّا أصبح قيل له : ما أصابك ؟ فقال : سمعتُ البارحة رجلاً يقول : أيا راهبي نجران ما فَعَلَتْ هند ؟ فقلتُ في نفسي : ما الذي سبق لك مِنَ الله تعالى في الأزل ؟!

٢ - وطائفة ثانية هم أصحاب العواقب : يتفكّرون فيما يختم به أمرهم ، فإنَّ الأمور بخواتيمها والعاقبة مستورة .

ولهذا قيل: " لا يغرّنكم صفاء الأوقات فإنَّ تحتها غوامض الآفات ".

وقيل : " ظلال الأَسِنّة تلوح مِن خلال المنّة " .

فكم مِنْ ربيعٍ تتورّد أشجاره ، وتَظهر ثماره وأزهاره ، ووَطَّنَ عليه أهلُه قلوبَهم ، فلم يلبثوا أنْ أصابته جائحة سماوية فطاح واضمحل ؟ قال الله سبحانه : ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ (١) .

---

(١) : سورة يونس ، الآية ٢٤ .

وكم مِنْ مريدٍ لاحَتْ عليه أنوار الإرادة ، وظَهَرَتْ عليه آثار السعادة ، وانتشر صِيته في الآفاق ، وعقدت عليه الخناق بالأطباق ، وظنوا أنه مِن جملة أوليائه وأهل صفائه ، فأُبدل بالوحشة صفاؤه ، وبالغيبة ضياؤه ؟!

وأنشدوا :

أَحْسَنْتَ ظنَّك بالأيام إذا حسنت ولم تَخَفْ سوءَ ما يأتي به القَدَرُ
وسالَمَتْكَ الليالي فاغتررتَ بها وعند صفو اللّيالي يَحدث الكَدَرُ

٣- والطائفة الثالثة هم أصحاب الوقت : لا يشتغلون بالفِكْر في السّوابق والعواقب ، بل يشتغلون بمراعاة الوقت وأداءِ ما كُلِّفوا مِنْ أحكام الوقت ، فيكون الغالب عليهم هذا وقد قيل: العارف ابن وقته.

٤- وأمّا الطائفة الرابعة فالغالب عليهم ذِكْر الحق سبحانه : فهم مأخوذون بشهود الحق على مراعاة الأوقات ، لا يتفرّغون إلى مراعاة وقتٍ وزمان ، ولا يتطلّعون لشهود حِينٍ وأَوان . وربما يَزيد المعنى ويغلب على صاحب هذا النَّعْت حتى يصير فانياً عن كلِّ إحساس ، وحتى يَفنى عن فنائه .

قال الله سبحانه : ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ ﴾ (١) .

(١) : سورة الكهف ، الآية ١٨ .

واعلم أنَّ هذه الألفاظ تُـوهم ظواهرهـا ، وإنمـا يقـف عـلى معانيهـا ومرمى القول فيها مَـنْ جَـمَعَ بـين حقائـق الأُصـول وبـين شيءٍ مِـنْ علوم هذه الطائـفة ، وتحـقّق ولـو بـشطيـة مِـنْ معانيـها ، وإلّا وقـع في الاعتراض على السّـادة نـعوذ بالله مِن تلك العقوبـة .

*****

العَدْلُ

(**العَـدْل**) مصدرٌ وُصِفَ بـه للمبالغـة ، أي العـادل المبـالغ في العـدل سبحانـه .

وهو مِن صفات الأفـعال .

قال الإمام الغزالي : العدل معنـاه العادل ، وهو الذي يَصدر منـه فعـل العدل المـضاد للجور والظلـم .

ولن يَعرف العادل مَنْ لم يعرف عدلـه ، ولا يعرف عدلَـه مَنْ لم يعـرف فِعْلـه ، فمَنْ أراد أنْ يفهم هذا الوصف فينبغي أنْ يُحـيط عِلْمـاً بأفعـال الله تعالى مِنْ ملكوت السمـاوات إلى منـتهى الثـرى ، حتى إذا لم يَـرَ في خَلْـق الرحمن مِن تـفاوت ، ثم رَجَعَ فمـا رأى مِن فطور ، ثم رجع مـرة أخرى فانقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسـير ، قد بَـهَـرَه جمال الحضرة الربوبيـة ، وحَـيَّـره اعتدالهـا وانتـظامها ، فعند ذلك يعبـق بفهمـه شيء مِن معاني عدلـه تعالى .

وقد خَلَقَ أقسام الموجودات جسمانيّها وروحانيّها ، كاملها وناقصها ، وأعطى كلَّ شيءٍ خَلَقه وهو بذلك جواد ، ورَتّبها في مواضعها اللائقة بها وهو بذلك عدل . فمِنَ الأجسام العظام في العالَم الأرضُ والماء والهواء والسماوات والكواكب ، وقد خَلَقها ورتّبها فوَضَعَ الأرضَ في أسفل السافلين ، وجعل الماء فوقها ، والهواء فوق الماء ، والسماوات فوق الهواء ، ولو عكس هذا الترتيب لبطل النظام .

ولعلّ شرح وجه استحقاق هذا الترتيب في العدل والنظام مِمّا يصعب على أكثر الأفهام ، فلننزل إلى درجة العوام ونقول :

لينظر الإنسان إلى بدنه فإنه مركّب مِنْ أعضاء مختلفة كما أنَّ العالَم مركّب مِنْ أجسام مختلفة ، فأوّل اختلافه أنه ركّبه مِنَ العظم واللّحم والجلد ، وجَعَلَ العظم عماداً مستبطناً ، واللّحم صواناً له مكتنفاً إيّاه ، والجلد صواناً للّحم ، فلو عَكَسَ هذا الترتيب وأَظهر ما أبطن لبطل النظام .

وإنْ خَفِيَ عليك هذا فقد خَلَقَ للإنسان أعضاء مختلفة مِثْل اليد والرجل والعين والأنف والأُذن ، فهو بِخَلْقِ هذه الأعضاء جوادٌ ، وبِوَضْعِها مواضعها الخاصة عَدْلٌ ؛ لأنه وَضَعَ العين في أَوْلى المواضع بها مِنَ البدن، إذ لو خَلَقها على القفا أو على الرجل أو على اليد أو على

قمـة الرأس لم يَـخْفَ ما يتطـرّق إليه مِنَ النقصان والتعـرّض للآفـات . وكذلك عَلَّـقَ اليدين مِنَ المنكبـين ، ولـو علّقهمـا مِـنَ الـرأس أو مِـنَ الـحَقْـو أو مِنَ الركبتـين لم يَـخْفَ ما يتولّـد منه مِـنَ الخلـل . وكـذلك وَضَعَ جميع الحواس في الرأس فإنهـا جواسـيس ؛ لتكـون مُـشْرِفـةً عـلى جميـع البدن ، فلو وضعها في الرجل اختـلّ نظامها قطـعاً ...

وشرح ذلك في كلِّ عضو يطول ، وبالجملة فينبغي أنْ تعلم أنه لم يُـخلق شيءٌ في موضعٍ إلّا لأنه متعيّـن له ، ولو تيامن عنـه أو تيـاسر أو تـسفّـل أو تعلّـى لكان ناقصاً ، أو باطـلاً ، أو قبيحـاً ، أو خارجاً عن المتـنـاسب كريـهاً في المنـظر . وكمـا أنَّ الأنف خُلِـقَ على وسط الوجه ، ولو خُلِـقَ على الجبهـة أو على الخـد لتطـرّق نقـصان إلى فوائــده ، وربمـا يقـوى فهمك على إدراك حكمتـه .

فاعلم أنَّ الشمس أيضاً ما خَلَقها إلّا بالحق ، وما وَضَعَها إلّا مَوْضِـعَها المـستحقّ لهـا لحـصول مقاصـده منهـا ، إلّا أنـك ربمـا تَعجـز عـن دَرْكِ الحكمـة فيــه ؛ لأنـك قليـل التفكّـر في ملكـوت الـسمـاوات والأرض وعجائـبها ، ولو نظرتَ فيها لرأيتَ مِنْ عجائبها ما تَسْتَحْـقِـر فيـه عجائب بدنك ، وكيف لا وخَلْـقُ الـسمـاوات والأرض أكـبر مِـنْ خَلْـقِ النـاس ؟

وليتك وَفَّيْتَ بمعرفة عجائب نفسك ، وتفرّغت للتأمل فيها وفيما يكتنفها مِنَ الأجسام ، فتكون مِمَّنْ قال الله ﷻ فيهم : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[1] .

ومِنْ أين لك أنْ تكون مِمَّنْ قال فيهم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2] ، وأَنّى تُفتح أبواب السماء لِمَنْ استغرقه هَمُّ الدنيا واسْتَعبده الحرص والهوى ؟!

فهذا هو الرمز إلى تفهيم مبدأ الطريق إلى معرفة هذا الاسم الواحد ، وشرحه يفتقر إلى مجلدات ، وكذلك شرح معنى كلِّ اسمٍ مِنَ الأَسامي، فإنَّ الأسامي المشتقّة مِنَ الأفعال لا تُفهم إلّا بعد فَهْمِ الأفعال ، وكلُّ ما في الوجود مِن أفعال الله تعالى ، ومَنْ لم يُحِطْ عِلْماً بتفاصيلها ولا بجملتها فلا يكون معه منها إلّا محض التفسير واللّغة ، ولا مطمع في العِلْم بتفصيلها فإنه لا نهاية له ، وأمّا الجملة فللعبد طريقٌ إلى معرفتها ، وبقدر اتّساع معرفته فيها يكون حظه مِنْ معرفة الأسماء . وذلك يستغرق العلوم كلها ، وإنما غاية مِثْل هذا الكتاب الإيماء إلى مفاتحها ومعاقد جملها فقط .

---

(1) : سورة فصلت ، الآية ٥٣ .

(2) : سورة الأنعام ، الآية ٧٥ .

وقال الإمام القشيري : وأمّا الوصف له بأنه العدل فيكون مِنْ صفات الذّات على أنَّ لـه أنْ يفعل في مُلْكه ما يريد ، فيشير إلى استحقاقه لصفات العُلوّ ؛ لأنَّ حقيقة العدل أنْ يكون فِعْلاً حَسَناً صواباً ، وإنما يكون حسناً صواباً إذا كان لِفاعله أنْ يفعله ، فهو عادل وأفعاله عَدْل ، وله أنْ يفعل بحقِّ ملكه ما يريد في خَلْقه .

وقال القرطبي : هو في صفة الله تعالى يكون وَصْفاً ذاتياً له بمعنى سَلْب الجور عنه ، فيرجع إلى حُكْمه الأزلي في عباده ، ويكون الإقساط فِعْله الصادر عن هذا الحكم العدل كما يأتي في وصفه المقسط (١) .

وقد يجوز في موضوع اللّسان أنْ يكون العدل بمعنى ذي العدل ، فيكون مِنْ صفات الأفعال .

فالله سبحانه العدل المطلق الذي قولُه حقٌّ ، وفِعْله حق ، وقضاؤه الفَصْل ، وحُكْمه العَدْل ، يقبض ويبسط ، ويُعطي ويَمنع ، ويُعزّ ويذل ، ويَرفع ويخفض ، ويُقدّم ويؤخّر ، ويَضرّ وينفع ، ويَعْصم ويفتن ، ويُغْني ويَفْقر ، ويُصِحُّ ويُسْقِم ، ويُعافي ويَبتلي ، ويفعل ما يريد بِحُكْم الملك وحكم الوحدانية . فلو عَذَّبَ الخلق أجمعين مِنْ نبيٍّ مرسَل ومَلَكٍ مقرّب وعبدٍ صالح كتعذيبه للكفار والعصاة لَكان

---

(١) : انظر ص ٣١٠ - ٣١٣ .

ذلك عدلاً منه ، كما لو نَعَّمَ الجميع في جنانه لَكان ذلك فضلاً منه . وإذ نَوَّعهم نوعين وفرّقهم فريقين : فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير ، فتلك حكمة بالغة ، فعذابه للجميع عدل ، ورحمته للجميع فضل ، وتفريقه حكمة .

وعن هذا قال بعض العلماء : نعوذ بالله مِنْ عدله ، ونسأل الله مِن فضله ، ونرغب إليه في أفضل وَجْهَيْ حكمته .

فهذا الاسم يتضمّن الحكم والحكمة وكلّ ما تعلق بهما مِنَ الصفات .

يُثيب مَنْ يشاء بِفَضْلِهْ ولو يَشَأْ عاقَبَه بِعَدْلِهْ

فيجب على كلِّ مكلّف أنْ يَعلم أنْ لا عدل على الإطلاق إلّا الله وحده ، وأنَّ كلَّ عدل وعدالته فمِنَ الله سبحانه ، وأنَّ كل حُكْمٍ ليس منه فهو جور وباطل .

ثم يجب عليه بعد ذلك أنْ يستسلم لقضائه ، وأنْ يَعْدِل في أقواله وأفعاله وأحكامه .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (١) .

وقال رسول الله ﷺ : " إنَّ الـمُقْسِطين يوم القيامة على منابر مِن نورٍ

(١) : سورة النساء ، الآية ١٣٥ .

عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يَعْدِلون في أنفسهم وأهليهم وما وَلُوا "[1] .

((ملاحظة)) : حظ العبد ديناً مِنَ الإيمان بأنَّ الله ﷻ عَدْل أنْ لا يعترض عليه في تدبيره وحُكْمه وسائر أفعاله ، وافق مراده أو لم يوافق ؛ لأنَّ كلَّ ذلك عدل وهو كما ينبغي وعلى ما ينبغي ، ولو لم يفعل ما فَعَله لحصل منه أمر آخر هو أعظم ضرراً مِمّا حصل ، كما أنَّ المريض لو لم يحتجم لتضرّر ضرراً يزيد على ألم الحِجامة .

وبهذا يكون الله تعالى عدلاً ، والإيمان به يقطع الإنكار والاعتراض ظاهراً وباطناً .

وتمامه أنْ لا يسبّ الدهر ، ولا ينسب الأشياء إلى الفلك ، ولا يعترض عليه كما جرت به العادة ، بل يعلم أنَّ كلَّ ذلك بأسبابٍ مسخّرة ، وأنها رُتِّبَتْ ووُجِّهَتْ إلى المسبِّبات أحسن ترتيب وتوجيه ، بأقصى وجوه العدل واللّطف .

* * * * *

---

[1] : حديث صحيح أخرجه مسلم ، والنسائي ، وأحمد ، والحاكم ، والحميدي ، وابن أبي شيبة ، والخطيب في تاريخه .

اللَّطِيفُ

(**اللَّـطيـف**) هو اللّـطيف بأوليائـه الخبير بـهم .

أو هو العالِـم بخفـيّـات الأمور ودقـائـقها .

وقال بعضهم: اللّطيف الذي يَعلم بواطن الأمور وخفيّـاتها ، ويُـصَوِّر الشيءَ في قالب ضِدِّه بِحُكْم تدبـيره ولُطْـف تَصْويره ، فيجعل النِّـقْمـة نعمـةً ، ويُـبْـهِم الأمـرَ على خَلْـقه رحمـةً بهـم ؛ ليـزدادوا خوفـاً ورجـاءً وحبـاً في الله ورجوعاً إليـه ، فلا يُـؤْمَـن مَـكْـرُه ولا يُـجْحَـد فـضلُـه ، إنَّ ربي لطيفٌ لِـمـا يـشاء ، إنـه هو العليـم الحكيـم .

وذاكره يكون ملطوفـاً به في القَدَر ، ملحوظاً بالعنايـة ، كثير الأرزاق .

ومَنْ داوم على ذِكْـره تـنكـشف له بواطـن الأمور .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله : وإنمـا يَستحـقّ هذا الاسـم مَـنْ يَعلـم دقائـق المصالح وغوامـضها ، ومـا دقّ منهـا ومـا لطـف ، ثـم يـسلم في إيصالها إلى الـمستصلح سبيل الرفـق دون العنـف . فإذ اجتمع الرفق في

الفعل واللّطف في الإدراك تَمَّ معنى اللّطف، ولا يُتصوّر كمال ذلك في العِلْم والفِعْل إلّا لله ﷻ . فأمّا إحاطته بالدقائق والخفايا فلا يمكن تفصيل ذلك ، بل الخفيُّ مكشوفٌ في عِلْمه كالجليّ مِن غير فرقٍ . وأمّا رِفْقه في الأفعال ولطفه فيها فلا يدخل أيضاً تحت الحصر ، إذ لا يعرف اللّطف في الفعل إلّا مَنْ عَرَفَ أفعالَه وعرف دقائق الرفق فيها ، وبقدر اتّساع المعرفة فيها تتّسع المعرفة لمعنى اسم اللّطيف ، وشرح ذلك يستدعي تطويلاً ثم لا يتصوّر أنْ يَفِيَ بِعُشْر عُشَيْره مجلدات كثيرة ، وإنما يمكن التنبيه على بعض جملته .

فمِنْ لطفه خَلْقُه الجنين في بطن أمه في ظلمات ثلاث وحفظه فيها ، وتغذيته بواسطة السّرة إلى أنْ ينفصل فيستقلّ بالتناول بالفم ، ثم إلهامه إيّاه عند الانفصال التقام الثدي وامتصاصه ولو في ظلام الليل مِنْ غير تعليمٍ ومشاهدة ، بل تتفقأ البيضة عن الفرخ وقد ألهمه التقاط الحب في الحال . ثم تأخير خَلْق السِّنِّ مِن أول الخلقة إلى وقت الحاجة ؛ للاستغناء في الاغتذاء باللّبن عن السّن ، ثم إنبات السن بعد ذلك عند الحاجة إلى طَحْن الطعام ، ثم تقسيم الأسنان إلى عريضة للطحن ، وإلى أنياب للكسر ، وإلى ثنايا حادة الأطراف للقطع ، ثم استعمال اللسان الذي الغرض الأظهر منه النطق في درّ الطعام إلى المطحن كالمجرفة ...

ولو ذكر لطفه في تيسير لقمة يتناولها العبد مِن غير كلفة يتجشّمها ، وقد تعاون على إصلاحها خَلْقٌ لا يُحصى عددهم مِنْ مصلح الأرض ، وزارعها وساقيها وحاصدها ومنقّيها وطاحنها وعاجنها وخابزها ... إلى غير ذلك ، لَكان لا يستوفي شرحه .

وعلى الجملة فهو مِن حيث دَبَّرَ الأمور حَكَمٌ ، ومِن حيث أَوْجَدَها جوادٌ ، ومِن حيث رتّبها مُصَوِّر ، ومِن حيث وَضَعَ كلَّ شيء مَوْضِعه عَدْلٌ ، ومِن حيث لم يترك فيها دقائق وجوه الرفق لطيفٌ .

ولن يعرف حقيقة هذه الأسماء مَنْ لم يعرف حقيقة هذه الأفعال .

ومِن لطفه بعباده أنه يَسَّر لهم الوصول إلى سعادة الأبد بِسَعْيٍ خفيف في مدة قصيرة وهي العمر ، فإنه لا نسبة لها بالإضافة إلى الأبد .

ومِن لطفه إخراج اللّبن الصافي مِنْ بين الفرث والدم ، وإخراج الجواهر النفيسة مِنَ الأحجار الصلبة ، وإخراج العسل مِنَ النحل ، والإبريسم مِنَ الدود ، والدرّ مِنَ الصدف .

وأعجب مِنْ ذلك خَلْقه مِنَ النطفة القذرة مستودعاً لمعرفته ، وحاملاً لأمانته ، ومشاهِداً لملكوت سماواته ، وهذا أيضاً لا يمكن إحصاؤه .

وقال القشيري : اللّطيف هو العليم بدقائق الأمور ومشكلاتها ، وهذا في وَصْفه واجب. واللّطيف المُحْسِن الموصِل للمنافع برفقٍ ، وهذا في نَعْته مستحق ، وهذا مِن صفات فعله .

وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ [1] يحتمل المعنيين جميعاً ، أنْ يكون عالِماً بهم وبمواضع حوائجهم يرزق مَن يشاء كما يشاء ، ولطيفاً بهم يُحسن إليهم ويتفضّل عليهم ويرفق بهم .

وإذا حملت قوله : ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ على صفات الذّات ، وأنه بمعنى العالِم بخفايا أمورهم ، فالآية تُشير إلى تخويفٍ ما ؛ لأنه العليم بخفيّات الالتفاتات ودقائق اللّحظات ، قال الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [2] . فيوجب قبض العبد ، ويذكره لوصف الإطلاع .

وإنَّ كثيراً مِنَ الناس يتوهّمون أنَّ لهم طاعات يستحقّون عليها درجات وكرامات ، فإذا حصل ذلك ظهرت الآفات .

قال الله تعالى : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [4] .

قال علماؤنا : لكم مِنَ الآفات في الطاعات ما يَمنعكم عن ارتكاب المخالفات ، وإنَّ المفلس حقّاً مَنْ ظنّ أنه مُوسِر ثم بان

---

(١) : سورة الشورى ، الآية ١٩ .
(٢) : سورة غافر .
(٣) : سورة الزمر .
(٤) : سورة الكهف .

لـه إفلاسـه عنـد تصفّح ديوانـه .

وقد قيـل : مِنْ لطفـه سبحانه وتعالى بعباده أنه أعطـاهم فوق الكفايـة ، وكلّـفهم دون الطاقـة .

قال الله سبحانه : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (١) ، والإسـباغ ما يَـفْضل عن قـدر الحاجـة .

وقال في صفـة التكليـف : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٢) .

وقال عز وجل : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : " بُعِثْتُ بالحنيفيـة السَّمْحـة " (٤) .

وقـال صلى الله عليه وسلم : " يَـسِّروا ولا تُـعَـسِّروا ، وبَـشِّروا ولا تُـنَـفِّروا " (٥) .

وأنه تعالى لَـمّـا أَوْجَبَ على العبـد في اليـوم واللّيلـة خمس صـلوات ، لم يُـكلّفـه أنْ يؤدّيـها دفعـة واحدة ، بل جَعَلَها عليـه منجّمـة .

---

(١) : سـورة لقـمـان ، الآيـة ٢٠ .

(٢) : سـورة الحـج ، الآيـة ٧٨ .

(٣) : سـورة الأعـراف ، الآيـة ١٥٧ .

(٤) : طرف مِن حديث أخرجه أحمد والطبراني عن أبي أمامـة ، ورواه ابن سـعد في طبقاته مرسلاً والخطيب في تاريخـه عن جابر بن عبد الله من وجه آخر .

(٥) : حديث صحيح رُوِيَ عن عددٍ مِنَ الصحابة ، خرّجه الشيخان ، وأبـو داود ، والنـسائي ، وأحمـد ، وأبـو عوانـة في مـستخرجه ، والطيالـسي في مـسنده ، والبزار ، وأبو يعلى ، وأبو نعيم في الحليـة ، والطبراني في الكبير .

فصلاة يومك لم يقبضها منك دفعة واحدة ، وأعطاك مِنَ الرزق ما يكفيك لسنين كثيرة وأنت تشكو وتَتّهم !

ومِن لطفه بعباده أنْ يوصل إليهم ما يحتاجون إليه مِنْ غير تجشم كلفة ، فإنَّ الرجل إذا أكل لقمةً فلو فكّر فيها لَعَلِمَ كم عين سهرت في تلك الليلة حتى صلحت لتناوله ، مِنْ عاملٍ أَصْلَحَ الأرض لزراعتها ثم لإلقاء البذر فيها ثم لِسَقْيِها ثم لحصادها ثم لتنقيتها ثم لطحنها ثم لخبزها ... وهكذا كل شيء يرتفق به مِنْ ملبوس ومشروب ومطعوم ، فلو احتاج إلى ممارسة تلك الأشياء لَلَحِقَه مِنَ المشقّة ما لا طاقة له به .

ومِن لطفه بعباده توفيق الطاعات ، وتَسْهيل العبادات ، وتَيْسير الموافقات ، إذ لولا ذلك لكان للمخالفات مُرْتَكِباً ، وفي الزلّات منهمكاً .

ثم مِن لطفه بالعباد حِفْظ التوحيد في القلوب ، وصيانة العقائد عن الارتياب ، وسلامة القلوب عن الاضطراب .

قال الله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾ (١) .

---

(١) : سورة إبراهيم ، الآية ٢٧ .

فإنَّ بقاءَ المعرفة بين وحشة الزلّة أَعْجَبُ مِنْ إخراج اللبن مِنْ بين الفرث والدم ، ولكن جَرَتْ سُنّته ﷻ بحفظ كلِّ لطيفة بين كل كثيفة ، بل أَجْرى سُنّته بإخفاء الودائع في مواضع مجهولة . وكما أنه جعل الحجر الصلد معدن الذهب والفضة وكثير مِنَ الجواهر ، كذلك جعل القلوب معادن العقائد الصافية والمعارف الصحيحة . وكما جعل الغار للمصطفى وللصدّيق مأوى ، والجبَّ ليوسف مثوى ، والصَّدف للدُّر درجاً ، والنحل للعسل مكاناً ، والدود للإبريسم محلاًّ ، كذلك جَعَل قلبَ العبد لمحبته ومعرفته مستقراً .

حُكِيَ عن ذي النون المصري أنه قال : رأيتُ رجلاً شهد له قلبي بالولاية وتقذّرته نفسي ، فبقيت بين قلبي ونفسي ، فنظر إليّ وقال : يا ذا النون ، الدُّر وراء الصدف .

ومِن لطفه بالعباد أنه يوفّقهم لذِكْره ، والرجوع إليه ومناجاته ، ورَفْع الحوائج بحضرته ، ودوام المناجاة معه متى شاؤوا ، مع كثيرِ ما يتعاطونه مِن مخالفة أمره ، فسبحانه ما أحلمه على العاصين وأكرمه للمؤمنين !

وقال القرطبي: اللّطف مِنَ الله تعالى التوفيق والعصمة واتّصال الخير، فيوصل إليهم إحسانه وألطافه مِن حيث لا يعلمون ولا يحتسبون .

وعنه العبارة في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ

مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [١] .

وقوله : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [٢] .

وقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [٣] .

والله تعالى هو الذي انفرد بالإحاطة وتربية الجميع ، فهو العالِم بِخَفِيِّ مصالحهم وتدريج أحوالهم ، وتنزيل كلِّ دقيقٍ وجليلٍ منها ابتداء وجزاء على موافقة حُكْمه ، وعلى هذا يكون اسماً ذاتياً له سبحانه .

وقال أحد العلماء : اللّطيف الذي أحاط عِلْمُه بالسّرائر والخفايا ، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة . اللّطيف بعباده المؤمنين ، المُوصِل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه مِنْ طرقٍ لا يشعرون بها ، فهو بمعنى الخبير وبمعنى الرّؤوف .

وقيل : للعلماء في معنى اللّطيف عبارات كثيرة ، جماعها اثنان وعشرون قولاً :

---

(١) : سورة الطلاق ، الآية ٢-٣ .

(٢) : سورة الشرح .

(٣) : سورة يوسف ، الآية ١١٠ .

١- روي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾[1] : أي حَـفِـيٌّ بـهـم .

٢- وقـال عكرمـة : بـارٌّ بـهـم .

٣- وقـال السـدّي : رفيـق بـهـم .

٤- وقـال مقاتـل : لطيـف بالـبَـرِّ والفاجـر حيث لـم يقتـلهـم جوعـاً بمعـاصيـهم .

٥- وقـال القرظـي : لطيـف بـهم في العرض والمحاسـبة .

٦- وقـال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين : يلطــف بــهم في الـرزق مِنْ وجهين : أحدهما أنه جَعَـلَ رزقـك مِنَ الطـيّـبات ، والثـاني أنـه لم يدفعـه إليك مرةً واحدة فـتبذّره .

٧- وقـال الجنـيد : لَطَـفَ بأوليائـه حتى عرفوه ، ولـو لَطَـفَ بأعدائــه لَـمـا جحـدوه .

٨- وقـال محمد بن علي الكـتاني : اللّطيف بمَنْ لَـجَـأَ إليـه مِـنْ عبـاده ، إذا يَـئِسَ مِـنَ الخلــق توكّـل عليـه ورجـع إليـه ، فحينـئذ يَـقْبلــه ويُـقْبِـل عليـه .

وقد جاء في حديثٍ عن النبي ﷺ : " إنَّ الله ﷻ يطّـلع على أهل القبـور

---

[1]: سـورة الشـورى ، الآيـة ١٩ .

الدّوارس فيقول : امَّحَتْ آثارهم واضْمَحَلَّتْ صُوَرهم ، وبَقِيَ عليهم العذاب وأنا اللّطيف ، وأنا أرحم الراحمين ، خَفِّفوا عنهم العذاب . فيُخَفَّف عنهم "(١) .

٩- وقيل: اللّطيف الذي ينشر مِنْ عباده المناقب ، ويَستر عليهم المثالب .

وعلى هذا قال النبي ﷺ : " يا مَنْ أظهر الجميل وسَتَرَ القبيح "(٢) .

١٠- وقيل : هو الذي يَقْبَل القليل ويبذل الجزيل .

١١- وقيل: هو الذي لا يُقاصّ أحداً في الدنيا مِنْ رزقه(٣) ، ولا ييأس أحدٌ في الآخرة مِن رحمته .

١٢- وقيل : هو الذي لا يُخاف إلّا عدله ، ولا يُرجى إلّا فضله .

١٣- وقيل : هو الذي يَبذل لعبده النعمة فوق الهِمّة ، ويُكلّفه مِنَ الطاعة دون الطاقة .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾(٤) .

---

١) : حديث ضعيف أورده القرطبي في تفسيره ولم نقف على تخريجه في كتب الحديث .

٢) : طرفٌ مِن حديث أخرجه الحاكم وصحّحه ، والبيهقي في الدعوات ، والرافعي في التدوين ، والذهبي ، والعقيلي في الضعفاء .

٣) : يعني : لا يُنقص رزقَ أحدٍ مقابل المعاصي التي تقع منه .

٤) : سورة إبراهيم الآية ٣٤ ، وسورة النحل الآية ١٨ .

وقـال : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[1] .

١٤- وقيـل : هو الذي يُعـين على الخدمـة ، ويكـثر المدحـة .

١٥- وقيـل : هو الذي لا يُعاجـل مَنْ عصاه ، ولا يُـخَـيِّب مَنْ رَجـاه .

١٦- وقيـل : هو الذي لا يَـرُدّ سائلـه ، ولا يؤنـس آمِلـه .

١٧- وقيـل : هو الذي يعفـو عمَّنْ يـهفو .

١٨- وقيـل : هو الذي يَرحم مَنْ لا يرحم نفسـه .

١٩- وقيـل : هو الـمُيَسِّـر لكل عسـير ، الجابـر لكل كسـير .

٢٠- وقيـل : هو الذي أَوْقَـدَ في أسرار العارفين مِنَ المـشاهدة سراجـاً ، وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجـاً ، وأنــزل لهـم مِـن سـحائب سِـرِّه مـاءً ثجاجـاً .

٢١- وقيـل : اللّطيـف الذي لا يُنـال بِوَهْـمٍ .

٢٢- وقيل : الذي يختصّ بدقائــق الأفعـال ، كخَلْـقِ الجنـين في بطـن أُمـه ، وإخراجـه اللّبـن مِنَ الضرع مِنْ بـين فَـرْثٍ ودم .

فيجب عـلى كـلِّ مكلّـف أنْ يعلـم أنَّ الله سـبحانه هـو اللّطيـف عـلى الكمـال ، وأنَّ كلَّ لُطْـفٍ إنمـا هو مِن عنـد ربـه .

---

[1] : سـورة النسـاء .

وكــم لله مِــنْ لُطْــفٍ خَفِــيٍّ يــدقّ خَفـاه عــن فَهْـمِ الـذكيِّ
وكم يُـسْرٍ أتـى مِـن بعـد عُـسْرٍ وفَـرَّجَ كُربـة القلـب الـشجيِّ
إذا ضاقَتْ بـك الأحـوال يومـاً فـثِــقْ بالواحـدِ الفَـرْدِ العَلِــيِّ
توسّــل بالنبــيِّ فكــلُّ عبــدٍ يُغـــاث إذا توسّـــل بـالنبـــيِّ

((تنبيــه)) : حـظ العبـد مِـن هـذا الوصـف الرفـق بعبـاد الله ﷻ ، والتـلطّـف بـهم في الدعوة إلى الله تعالى والهداية إلى سعادة الآخـرة مِـنْ غـير إزراء وعنـف ، ومِن غـير تعصّب وخِصـام .

وأحسن وجوه اللّطـف فيه الجذب إلى قبول الحق بالـشمـائل والـسيرة الـمرضيـة والأعمـال الصالحـة ، فإنهـا أَوْقَـع وألطـف مِـنَ الألفـاظ الـمـزيّـنـة .

* * * *

الخبير

(الخبير) العليم ببواطن الأشياء .

فاللّطيف والخبير مِنْ صفات الكشف ، أو اللّطيف هو العالِم بالخفِيّات المُتَعالي عن أنْ يُمَسّ ، فهو مِن صفات التنزيه .

والخبير الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة ، فلا يجري في الملك والملكوت شيء ، ولا تتحرّك ذرة ، ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلّا ويكون عنده خبرها .

وهو بمعنى العليم ، ولكن العلم إذا أُضيف إلى الخفايا الباطنة سُمِّيَ خبرة ، ويُسَمّى صاحبها خبيراً ، ويكون العليم والخبير مِن صفات ذاته .

فإذا عَلِم العبد أنه خبير بأحواله ، فبالحريّ أنْ يكون مُتَصاوناً بأقواله وأفعاله، واثقاً بجميل اختباره سبحانه ، مُتَحَقِّقاً بأنَّ ما قُسِمَ له لا يفوته ، والذي لم يُحكم له به لا يدركه . وإنما تنحصر الأحوال

على مَنْ كان غائباً عن شهود التقدير ، فيضيف بعض الحادثات إلى الخَلْق ويَرى البعض مِنَ الحقِّ ، فأمّا مَنْ رأى الأشياء كلَّها مِنَ الحقِّ سبحانه فإنه تهون عليه الأمور مِنْ وَجْه وتَصْعُبُ مِنْ وَجْهٍ ؛ لأنه يعلم أنه يعدّ أنفاسه ويَعلم ظاهره وحواسّه .

حُكِيَ عن بعضهم أنه قال : قصدتُ الخوّاص في بعض أوقاتٍ أصابتني فيها فاقة ومجاعة ، وكان معي جماعة أصابهم مِنَ المجاعة ما أصابني ، فقلتُ في نفسي : أُباسط الشيخ في أحوالي وأحوال هؤلاء الفقراء . قال : فلمّا وقع بصر الخوّاص عليّ قال لي : الحاجة التي جئتَني فيها الله عالِمٌ بها أم لا ؟ فقلتُ : بل هو عليم بها ، قال : إذاً فادفعها إليه . قال : فسكتُّ ثم انصرفت ، فلمّا وافيتُ المنزل فُتِحَ علينا بأرزاق كَفَتْنا ذلك اليوم .

وإذا عَلِمَ العبدُ أنه سبحانه مُطّلع على سِرِّه عليمٌ بِأَمْره ، يكتفي مِنْ سؤاله بِرَفْع هِمَّته إليه ، وإحضار الحاجة بقلبه لربه مِنْ غيرَ أنْ ينطق بلسانه أو يُعْرِب ببيانه .

حُكِيَ أنَّ رجلاً جاء إلى أبي يزيد البسطامي وقال : أيها الشيخ ، إنَّ الناس قد احتاجوا إلى المطر ، فادْعُ الله يرزقهم ذلك . قال أبو يزيد : أغلام أصلح الميزاب؟ فلم يفرغ الغلام مِنْ إصلاح الميزاب حتى جاء ولم يتكلّم بشيء .

وحُكِـيَ أنَّ رجلاً وُلِـدَ لـه مولـود ببغـداد باللّيـل ولم يكـن لـه شيء ، فخرج إلى معروف الكرخي وكان في مسجده ، فذَكَـرَ لـه حالـه فقـال : اقـعد هناك ، فإذا بخادمٍ معه صرّة فقـال : أنـا قهرمـان مِـنْ دار الخليفـة بَعَـثَـني بهذه الدنـانير إليك لتصرفها في أَمْـرِ مَنْ تريـد ، فقـال : ادْفَعْهـا إلى ذلك الرجل ، فقـال : إنـــها ثلاثمـائـــة دينـــار ؟! كأنـه اسْتَـكْـثَـرَ دَفْـعَـها إلى رجلٍ واحد ، فقال له معروف : كذا أردنـا أنْ تـكون .

وإذا عَلِمَ أنه خبير بأحواله عَلِمَ أنَّ الله أحصى ما عملـه ، وإنْ كـان قـد نَسِيَـه فيحصل له مِن تذكّـر عِلْمه مِنَ الخجل ما يجشمه ، وربمـا تذهب روحـه فيـه فيتـلفـه .

حُكِـيَ أنَّ رجلاً فَـكَّـرَ في نفسه وقال : كـم عمـري ؟ ثـم عَـدَّ ذلـك . قال : كم تكون شهوراً ؟ فعـدّ ذلك ، ثم عَــدَّ الأيـام فقـال : كـم يومـاً يكون ؟ فبلغ ألوفـاً ، فقال : لو لم أَعْصِ في كلِّ يـومٍ إلّا معـصية واحـدة لَـكان ذلك كذا وكذا ألف زلّـة ، فكيف وفي كل يـوم اجترحـتُ زلّاتٍ كـثيرة ؟ فخنـقته العَـبْرة وزهقت نفسـه فمـات رحمـه الله تعالى .

* * * * *

الحليم

(**الحليم**) الذي لا يستفزّه غضب ولا يَحمله على استعجالِ عقوبةٍ ، فمرجعه أنْ ننزّه الله تعالى عن العجلة .

وحِلْمه تبارك وتعالى منه تتفجّر ما بالناس مِنْ حكمة ، ومِنْ حِلْم وتُؤَدة .

قال أبو حامد الغزالي : الحليم هو الذي يشاهِد معصيةَ العصاة ويَرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزّه غضبٌ ، ولا يعتريه غيظ ، ولا يَحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلةٌ وطيش . كما قال تعالى : ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ ﴾ [1] .

وقال بعضهم : الحليم الذي لا يَعْجل بالانتقام وينتظر توبة عبده ، ويُمهل الظالم فإذا أَخَذَه لم يفلته ، ويؤخّر ثوابه الجزيل للدار

---

(1) : سورة النحل ، الآية ٦١ .

الآخرة . كلُّ ذلك اقتضته حكمته البالغة .

وذاكره يكون حَسَنَ الخُلُقِ ، قَوِيَّ الجاه ، حكيماً في أفعاله .

وقال القشيري : اختلف الناس في معناه فقال بعضهم : الحلم تأخير العقوبة عن المستحقّين ، فهو حليم على معنى أنه يؤخّر العقوبة عن المستحقّين ، ويكون هذا مِنْ صفات أفعاله يُوصَف به فيما لا يزال .

وقال بعض أهل الحق : حِلْمه إرادته لتأخير العقوبة ، فهو مِنْ صفات ذاته ، لم يزل حليماً ولا يزال .

والله تعالى يريد تأخير العقوبة عن بعض المستحقّين ثم قد يُعذّبهم وقد يتجاوز عنهم ، وأنه تعالى يجعل العقوبة لبعضهم والأمر فيه على ما سبق عليه الحكم وتعلّقت به الإرادة والعلم ، وأنه تعالى إذا أَخّر العقوبة عن المستحقّين فبفضلٍ منه سبحانه يخصّهم به .

حُكِي أنَّ إبراهيم الخليل عليه السلام لَـمّا رأى ملكوت السماوات والأرض رأى عاصياً يعمل معصيةً فقال : اللّهم أَهْلِكْه ، فأَهْلَكَه الله . فرأى إنساناً آخر يعصي فقال : اللّهم أَهْلِكه ، فأهلكه الله . فرأى ثالثاً يعصي فقال : اللّهم أهلكه ، فأهلكه الله . فرأى رابعاً يعصي فقال مِثْل ذلك ، فأوحى الله إليه : كُفَّ يا إبراهيم ، فلو أهلكنا كلَّ عاصٍ رأيناه لم نُبْقِ منهم أحداً ، ولكنّا بحِلْمنا لا نُعذّبهم ، فإمّا أنْ يتوبوا وإمّا أنْ يُصِرّوا فلا يفوتنا شيء .

وقد يكون مِنْ معلوم الله تعالى مِن أحـوال بعـض العـصاة أنـه يتـوب ويَـحْسُنُ حالـه ، فيحلم عنـه في الوقت لأنه يعلم أنـه يـصير مِـن جملـة أوليائـه في مآلـه .

يُحكى عن مالك بن دينار أنه قال : كان لي جار مُسْرِفٌ على نفسه وكان يتعاطى الفواحش ، وتبرّم به الجيران فأتوني شاكين بـه منظلمـين منـه ، فأحضرناه وقلنا له : إنَّ هـؤلاء الجـيران يَـشْكونك ، فـسبيلك أن تخـرج مِنَ المحلّـة . فقال : أنا في منزلي لا أخـرج ، فقلنـا : تبيـع دارك ، فقـال : لا أبيـع ملكـي ولا يمكـنكم أنْ تخرجـوني منـه ، فقلـتُ : نَـشْكوك إلى السلطان ، فقال : إنَّ السلطان يعرفني وأنا مِن أعوانـه ، فقلـت : نـدعو الله عليك ، فقال : الله أرحم بي منكم . فغاظنـي ذلـك ، فلمّـا أمـسيتُ قمتُ وصلّيتُ ، فلمّـا فرغـتُ مِـنَ الـصلاة دَعَـوْتُ عليـه ، فهتـف بي هاتـف : لا تَـدْعُ عليـه فإنَّ الفتـى مِن أوليـاء الله . قال : فلمّـا أصبحتُ جئت بـاب داره ودقـقتــه عليـه ، فلمّــا خـرج ورآني ظـنَّ أني جئـتُ لِأُخرجـه مِنَ المحلّـة ، فقال كالمعـتذر ، فقلت : ما جئتُ لـذلك ولكـن رأيتُ كذا وكذا . قال : ودمع عليه البكاء وقال : إني تبـتُ بعـد مـا كـان هذا . قال : وخرج مِنَ البلد ولم أره بعد ذلك . قال : فاتّـفق أني خرجتُ إلى الحج ، فرأيت في المسجد الحرام حلقـة ، فتـقدّمتُ إليها فرأيت ذلـك الشاب عليـلاً مطاوعاً ، قال : فلم ألبث حتى قالوا : قضى الشاب .

وإنما يلذّ حِلْمه لرجاء عفوه ؛ لأنه إذا سَتَرَ في الحال بفضله فالمأمول منه أنْ يعفو في المآل بلطفه .

وفي بعض الحكايات أنَّ بعضهم رُئِيَ في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أعطاني كتابي بيميني ، فمررتُ بزلّة اسْتَحْيَيْتُ أنْ أقرأها فقال : لا بد مِن قراءتها ، فقلت : إلهي لا تفضحني ، فقال : حين عَمِلْتَها ولم تَسْتَحِ لم أفضحك ، أَفأفضحك وأنت تستحي ؟!

ومِن حِلْمه أنه لا يَستفزّه عصيان العاصين ، ولا يحمله على سرعة الانتقام تهتّك الخاطئين ، فيحلم حتى يظنّ الجاهل أنه ليس يَعلم ، ويستر حتى يتوهّم الغمر (١) أنه ليس يبصر .

((تنبيه)) : حظ العبد مِنْ وصف الحليم ظاهر ، فالحلم مِنْ محاسن خصال العباد ، وذلك مُسْتَغْنٍ عن الشرح والإطناب .

* * * * *

(١) : هو الذي لم يجرب الأمور .

العظيم

(**العظيم**) بالغ أقصى مراتب العظمة سبحانه ، فلا يتصوّره عقل ولا تُحيط بكنهه بصيرة .

ومرجعه التنزيه والتّعالي عن إحاطة العقول بكنه ذاته جلّ شأنه .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله : واعلم أنَّ اسم العظيم في أول الوضع إنما أُطلق على الأجسام ، يقال: هذا جسم عظيم ، وهذا الجسم أعظم مِنْ ذلك الجسم إذا كان امتداد مساحته في الطول والعرض والعمق أكثر منه . ثم هو ينقسم إلى عظيمٍ يملأ العين ويأخذ منها مأخذاً ، وإلى ما لا يتصوّر أنْ يحيط البصر بجميع أطرافه كالأرض والسماء . فإنَّ الفيل عظيم ولكن البصر قد يحيط بأطرافه ، فهو عظيم بالإضافة إلى ما دونه ، وأمّا الأرض فلا يتصوّر أنْ يحيط البصر بأطرافها وكذا السماء ، فذلك هو العظيم المطلق في مدرك البصر .

فافهم أنَّ في مدركات البصائر أيضاً تفاوتاً : فمنها ما تحيط العقول بكنه حقيقته ، ومنها ما تقصر العقول عنه . وما تقصر العقول عنه ينقسم إلى ما يتصوّر أنْ يحيط به بعض العقول وإنْ قصر عنه أكثرها ، وإلى ما لا يتصوّر أنْ يحيط العقل أصلاً بكنه حقيقته ، وذلك هو العظيم المطلق الذي جاوز جميع حدود العقل حتى لا تُتصوّر الإحاطة بكنهه ، وذلك هو الله تعالى .

وقال بعضهم : العظيم الذي ليس لعظمته بداية ، ولا لِكُنْه جلاله نهاية ، ولا يتصوّره عقل ، ولا يَسْتَمِدّ العظمةَ مِمّا سواه ، واجب الوجود لذاته ، قال تعالى : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ (١) .

وذاكِره يَرى نفسه حقيراً فلا يقرب مِنَ الله العلي العظيم إلّا بالتخلّق بما يرضاه ، فيعلو شأنه ويستقيم أمره .

وقال القشيري : معناه عند أهل الحق يرجع إلى استحقاقه لصفات العُلُوّ والمجد ورفعة القَدْر، فهو عظيم القدر رفيع النَّعْت جليل الوصف .

واعلم أنَّ العظيم في اللّغة لا يكون إلّا بأحد أمرين: إمّا بعِظَم الذّات

---

(١) : سورة البقرة .

في الجـرم ويعود ذلك إلى كـثرة الأجـزاء ، وإمّـا بعِظَـم القـدر .

فأمّـا عِظَم الأجزاء في وصفه تعالى فمحالٌ ، فوَجَبَ أنْ يكـون بمعنـى استحـقاق عُلـوّ الوصـف وأوصـاف التّـعالي : كاستحـقاق القِـدَم ، ووجوب الوحدانيـة ، والانفراد بالقدرة على الإيجـاد ، وشـمول العلـم لجميع المعلومات ، وتعلّـق القدرة بجميـع المقـدورات ، ونفـوذ الإرادة في المتـناولات ، وإدراك السمع والبصر لجميع المـسموعات والمرئيـات ، واستغنائـه عن الأنصار والأعوان ، وتقدّسـه عـن الأقطـار والأزمـان ، وتنـزّه ذاتـه عن قبول الحدثـان . فسبحانـه مِنْ عزيـزٍ لا تـصدره عـن ، ولا تلاصقـه إلى ، ولا تحـدّه كيف ، ولا يقابل بكم ، ولا يخبر عن نفـسه بمـا ، ولا يستخبر عن حقيقتـه بـأين ، ولا يرتـقي وَهْـمٌ إلى تـصويره ، ولا يطمع فَـهْم في تـقديره ، ولا يلحـقه كُـنْـه ، ولا يمـاثلـه شَبَـه !

يُحكى أنَّ بعض المشايخ سُئِـلَ عن عظمة الله ﷻ فقال : ما تقول فـيمَنْ له عبـدٌ واحد يُسمّى جبريل له ستمـائة جناح ، لو نَـشَـرَ منهـا جنـاحين لَسَتَـر الخافـقين ؟

وهذا وإنْ كـان صـحيحاً فـإنَّ مَـنْ عَـرَفَ أنَّ مقدوراتـه لا نهايـة لهـا عَلِـمَ أنه لـو أراد أنْ يخلـق في لحظـةٍ ألـف ألـف عالَـمٍ لم يكـن ذلـك عليه بأشدّ مِنْ خَلْـق بقّـة ، ولا خَلْـق البقّـة عليـه أهـون مِـن خَلْـق ألف عالَـم؛ لأنه ﷻ منـزّه عن لحوق المشقّـة ونيـل الراحة ؛ لأنَّ الراحـة

والمشقّة مِنْ نعوت المخلوقات ، ويتعالى عن ذلك خالق الأرضين والسماوات .

وقد جاء في بعض الأخبار أنَّ مَلَكاً مِنَ الملائكة قال : يا رب إني أريد أنْ أرى العرش ، فخَلَقَ الله له ثلاثين ألف جناح ، وطار ثلاثين ألف سنة ، فقال الله سبحانه : هل بلغتَ إلى أعلى العرش ؟ فقال : يا رب لم أقطع بعد قائمةً مِن قوائم العرش ! فاستأذن أنْ يعود إلى مكانه فأَذِنَ له .

وقيل : إنَّ سليمان عليه السلام سأل مِنَ الله تعالى أنْ يأذن له أنْ يُضيف يوماً جميع الحيوانات ، فأَذِنَ الله له فيه ، فأخذ سليمان في جَمْعِ الطعام مدة طويلة ، فأرسل الله سبحانه حوتاً مِنَ البحر فأَكَلَ جميع ما أعدّه سليمان ، حتى أتى على جميع ما أعدّه في طول تلك المدة ثم استزاد منه ، فقال سليمان : لم يبقَ لي شيءٌ ، وقال له : أنت تأكل كلَّ يومٍ مِثْل هذا ؟! فقال : رزقي كل يوم ثلاثة أضعاف هذا ، ولكنَّ الله تعالى لم يطعمني اليوم إلّا ما أطعمتني أنت ، فليتك لم تُضِفني ، فإني بقيتُ اليوم جائعاً حيث كنتُ ضيفك .

ثم أعظم مِمّا جرى ذِكْره مِنْ مخلوقاته تعالى هِمّة العارفين التي تتّضع وتتلاشى فيها جملة المقدورات فضلاً عن المخلوقات ، سبحانه ما أعظم شأنه !

((تنبيـه)) : العظـيم مِـنَ العبـاد الأنبيـاء والعلمـاء الـذين إذا عَـرَفَ العاقـل شيئـاً مِـنْ صـفاتهم امتـلأ بالهيبـة صـدره ، وصـار مـستوفيـاً بالهيبـة قلبـه حتى لا يبقى فيـه متّسع .

فالنبيُّ عظيم في حق أُمتـه ، والشيخ في حق مريـده ، والأستاذ في حـق تلميذه ، إذ يقـصر عقلـه عـن الإحاطـة بِكُنـه صفاتـه ، فـإنْ سـاواه أو جاوزه لم يكن عظيمـاً بالإضافـة إليـه .

وكلُّ عظيمٍ يفرض لغير الله ﷻ فهو ناقص وليس بعظيم مطلـق ؛ لأنـه إنمـا يظهر بالإضافـة إلى شيءٍ دون شيء سِـوى عظمـة الله تعـالى ، فإنـه العظيم المطلـق لا بطريق الإضافـة .

* * * * *

الغفور

(**الغفور**) كثير الغفران .

فهو مِن صفات الأفعال .

نَطَق به التنزيل فقال : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ ﴾[١] .

وقال : ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[٢] .

وجاء في عداد الأسماء في حديث الترمذي الغفور والغفّار ، ولم يأت فيه ولا في غيره الغافر ، وأجمعت عليه الأُمة .

يروى عن أبي بكر الصديق ﵁ أنه قال لرسول الله ﷺ : " عَلِّمْني دعاءً أدعو به في صلاتي . قال : قل : (اللّهم إني ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلّا أنت ، فاغفر لي مغفرة مِن عندك وارحمني

---

[١]) : سورة الكهف ، الآية ٥٨ .

[٢]) : سورة الحجر .

إنك أنت الغفور الرحيم) "[1] .

قال أبو حامد الغزالي : الغفور بمعنى الغـفّار ، ولكنـه يُـنْـبِـئ عن نوعِ مبالغةٍ لا يُـنْبِـئ عنها الغـفّار ، فإنَّ الغـفّار مبالغـة في المغفـرة بالإضـافة إلى مغفرةٍ متـكررة مرة بعد أخرى . فالفعّـال ينبــئ عـن كثـرة الفعـل ، والفعول ينبـئ عن جَوْدتـه وكمـاله وشمولـه .

فهو غفور بمعنى أنه تـام المغـفرة والغفران ، كاملها حتى يبلـغ أقـصى درجات المغـفرة ، والكلام عليـه قد سـبق[2] .

وقيـل : معنى الغفور الذي يغفر الذنوب العظام ، ولا يقفل بابـه عـن التائـبين ثم يُـبدّل سيئـاتهم حسنات ، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾[3] .

وذاكِـره يَـرى حلاوة التوبـة وحُسْن المغـفرة .

وقال الزَّجّاجي : وغفور مِنْ أبنيـة المبالغـة ؛ لأنـه يفعـل ذلـك بعبـاده مرة بعد أخرى إلى ما لا يحصى . وليست مِنْ أوصاف المبالغة في الـذّات ، وإنمـا هي مِن أوصاف المبالغـة في الفعل ؛ لأنه لا يقع السّتر إلّا بمستور يُسـتر ويغطـى .

---

[1]) : رواه البخـاري ، ومسلم ، والترمـذي ، والنسائي ، وابـن ماجـة ، وأحمـد ، وابن حبان في صحيحـه ، والبيهقي ، وأبو يعلى في مسنده ، وعبـد بـن حميـد ، والطـبراني في الدعـاء .

[2]) : انظـر ص ٥٣- ٥٤ .

[3]) : سـورة فـاطـر .

وقال الحليمي : الغفور هو الذي يَكثر منه السّتر على المذنبين مِنْ عباده ، ويزيد غفره على مؤاخذته .

قال بعض العلماء : والفرق بين العفو والغفران أنَّ الغفران سترٌ لا يقع معه عقاب ، والعفو إنما يكون بعد وجود عذاب وعتاب .

وقد غلط مخالِفو أهل الحق في مسألة المغفرة مِن وجهين : أحدهما أنهم قالوا : غفران الكافر والفاسق مِنْ غير إيمانٍ وتوبةٍ تُوجَد منهم في الحكمة غير جائز ، والثاني أنَّ قولهم : إنَ غفران التائب مِنَ الذنب في الحكمة واجب .

وقال أهل الحق : غفران الزلّة مِنَ الله جائز لِمَنْ شاء إذا شاء كما شاء ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ (١) .

وإنَّ الله يغفر الذنوب جميعاً ، ويستر الذنوب ، ويكشف الكروب ، ويكفّر الخطوب ... كلُّ ذلك يفعله فضلاً وإنعاماً ولطفاً وإكراماً .

يروى عن أنس بن مالك ﵁ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالى : " يا ابن آدم ، إنك ما دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أُبالي . يا ابن آدم ، لو بَلَغَتْ ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتَني غفرتُ لك ولا أُبالي . يا ابن آدم ، إنك

(١) : سورة النساء ، الآية ٤٨ والآية ١١٦ .

لو أتيتَني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتَني لا تشرك بي شيئاً لأتيتُك بقرابها مغفرة "(١) .

وفي خبر مسند أنَّ رجلاً يؤمر به إلى النار ، فإذا بَلَغَ ثلث الطريق التفت ، وإذ بلغ ثلثي الطريق التفت ، فيقول الله تعالى : رُدّوه ، ثم يسأله ويقول : لِمَ التفتَّ ؟ فيقول : لَمّا بلغتُ ثلث الطريق تذكّرتُ قولك : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾(٢) ، فقلت : لعلّك تغفر لي . فلمّا بلغتُ نصف الطريق تذكّرتُ قولك: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٣) ؟ فلمّا بلغتُ ثلثي الطريق تذكّرتُ قولك : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾(٤) ، فازددتُ طمعاً . فيقول الله تعالى: ادخل الجنة فقد وَجَبَتْ لك "(٥) .

*****

(١) : رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه ، والبزار في مسنده ، والطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في الحلية ، والمقدسي في المختارة . وخرّجه مسلم وابن ماجة وأحمد والحاكم من وجه آخر عن أبي ذر الغفاري .

(٢) : سورة الكهف ، الآية ٥٨ .

(٣) : سورة آل عمران ، الآية ١٣٥ .

(٤) : سورة الزمر .

(٥) : خبر ضعيف أخرجه البيهقي في الشعب مختصراً .

الشكور

(**الشّكور**) الذي يُعطي الجزيل على العمل القليل .

فهو مِنْ صفات الأفعال .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثيرَ الدرجات ، ويعطي بالعمل في أيامٍ معدودة نعيماً في الآخرة غير محدود . ومَنْ جازى الحسنة بأضعافها يقال : إنه شَكَرَ تلك الحسنة ، ومَنْ أثنى على المحسن أيضاً يقال : إنه شَكَر .

فإنْ نظرتَ إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلّا الله ﷻ ؛ لأن زياداته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة ، فإنَّ نعيم الجنة لا آخر له ، والله ﷻ يقول : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] .

---

(١) : سورة الحاقة .

وإنْ نظرتَ إلى معنى الثناءِ فثناءُ كل مُثْنٍ على غيره ، والربُّ عَزَّ وَجَلَّ إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه ؛ لأنَّ أعمالهم مِن خَلْقه ، فإنْ كان الذي أعطى فأثنى شكوراً ، فالذي أعطى وأثنى على المعطي أحقّ بأنْ يكون شكوراً . وثناء الله على عباده كقوله : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ [1] ، وكقوله : ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [2] ... وما يجري مجراه ، فكلُّ ذلك عطيّة منه .

وقال بعضهم : الشكور الذي يَقْبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، ويجازي عن القليل مِنَ العمل الصالح بالكثير مِنَ العطاء وحُسْن الثواب ، ويزيد الشاكرين مِن واسع عطائه .

وذاكره يرى الخير العاجل والنعمة السابغة ، ويشفى مِن سقمه .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [3] .

وقال : ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠ ﴾ [4] .

---

(1) : سورة الأحزاب ، الآية ٣٥ .
(2) : سورة ص ، الآية ٣٠ والآية ٤٤ .
(3) : سورة إبراهيم ، الآية ٧ .
(4) : سورة فاطر .

قال الإمام القشيري : وتكلّم الناس في معنى الشكر ، فقال أهل الحق : حقيقة الشكر الاعتراف بنعمة المُنْعِم على سبيل الخضوع ؛ لأنَّ الرجل قد يعترف بنعمة غيره على سبيل الاستهزاء به ، فلا يقال : إنه شَكَره ؛ ولهذا قالوا : إنَّ حقيقة الشكر الاعتراف بنعمة المُنْعِم على طريق الخضوع .

قالوا : والله سبحانه سمّى نفسه شكوراً على معنى أنه يجازي العبد على الشكر ، فسمّى جزاء الشكر شكراً كما سمّى جزاء السيئة سيئة في قوله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[1] .

ويصح أنْ يقال - وهو الذي أختاره وأرتضيه - أنَّ حقيقة الشكر الثناء على المُحْسِن بذِكْر إحسانه ، ثم العبد يثني على الرب بذِكْر إحسانه الذي هو نعمته ، فيكون ثناؤه عليه شُكْره له .

فعلى هذا التأويل معنى اسمه الشكور المبالغة في الوصف له بالثناء على عبده ، ومدحه له بذِكْر إحسانه وطاعته .

وقيل : إنَّ الشكور في وصفه بمعنى أنه يعطي الثواب الكثير على اليسير مِنَ الطاعة ، والله تعالى يجازي العبد على اليسير مِنَ الطاعات بالكثير من الدرجات ، قال الله تعالى : ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ

(1) : سورة الشورى ، الآية ٤٠ .

﴿فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾[1] .

والله سبحانه أنعم على العباد بجميع ملاذ الدنيا وكرائمها ثم عَدَّ ذلك قليلاً فقال : ﴿قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[2] ، ويقبل اليسير مِنْ طاعة العباد ويثني عليهم بالكثير ، قال تعالى : ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[3] ، وترى كم كان عمرهم حتى عَدّ ذِكْرهم كثيراً ؟!

وفي بعض الحكايات أنَّ رجلاً رُئِيَ في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أقامني بين يديه وقال : لِمَ خِفْتَني كل ذلك الخوف ؟ أمَا عَلِمْتَ أني كريم ؟

وحُكِيَ أنَّ رجلاً رُئِيَ في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : حاسبني فخَفَّتْ كفّة حسناتي ، فوَقَعَتْ فيها صرة فثقلت ، فقلتُ : ما هذا ؟ فقال : كفّ ترابٍ ألقيتَها في قبر مسلم ، فرجح بذلك المقدار ميزانك .

وحُكِيَ أنَّ رجلاً مِنَ الصالحين كان يصلي الصلوات بالجماعة في المسجد ، فضعف عن الحركة فكان يأمر بأنْ يُحمل إلى المسجد ، فمات

---

(1) : سورة الحاقة .

(2) : سورة النساء ، الآية ٧٧ .

(3) : سورة الأحزاب ، الآية ٣٥ .

فرئـي في المنـام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وقال : شـيخ ، لِـمَ تَـعَـنَّـيْتَ كلَّ ذلك العنـا ؟

((**لطيفــة**)) : ومِـن آداب مَـنْ عَــلِـمَ أنـه شـكورٌ فلْـيُجِــدّ في شُـكْره ولا يفـتر ، ويواظب على حمـده ولا يُـقَصِّـر .

والشكر على أقسـام : فشكـرٌ بالبدن وهـو أنْ لا تـستعمل جوارحـك إلّا في طاعتـه ، وشكر بالقلب وهو أن لا تستغلّـه بغير ذِكْـره ومعرفتـه ، وشكر باللسان وهو أن لا تـستعملـه في غـير ثـنائــه ومدحـه ، وشـكر بالمـال وهو أن لا تنفقـه في غير رضاه ومحبتـه .

وقيـل : الشكر هو أنْ لا تستـعين بـنِعَمـه على معاصيـه .

ومِن أمارات الشكر وجود الزيادة في النعمـة ، قـال الله تعـالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[١] ؛ ولهذا قيل : الشكر قـرع بـاب الاسـتزادة مِنَ النعمـة .

وقال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[٢] .

قال بعضهم : هم الأكثرون وإنْ قـلّوا ، ومواضع الأنس حيث حَلّوا .

وقال بعضهم : قليـلٌ مِن عبادي مَنْ شـهد النعمـة مني .

---

[١] : سـورة إبـراهيـم ، الآيـة ٧ .

[٢] : سـورة سـبـأ .

ومن حقيقة الشكر الغيبـة عن شهود النعمـة لشهود الـمُنْعِم .

((تنبيـه)) : العبد يُتـصوّر أنْ يكون شاكراً في حق عبد آخر مرة بالثنـاء عليه بإحسانـه إليـه ، وأخـرى بمجازاتــه بأكــثر مِـمّــا صـنعه إليـه ، وذلك مِنَ الخصال الحميدة .

قال رسول الله ﷺ : " مَنْ لـم يشكر النـاس لـم يشكر الله "[1] .

وأمّـا شكره لله ﷻ فـلا يكـون إلّا بنـوعٍ مِـنَ المجـاز والتوسّـع ، فإنـه إنْ أثـنى فـثناؤه قاصر لأنه لا يحـصي ثنـاءً عليـه ، وإنْ أطـاع فطاعتـه نعمة أخرى مِنَ الله عليـه ، بـل عـين شـكره نعمـة أخـرى وراء النعمـة المشكورة .

وإنمـا أحسن وجوه الشكر لـنعم الله ﷻ أنْ لا يـستعملها في معاصـيه بل في طاعتـه ، وذلك أيضاً بتوفيـق الله وتيـسيره في كَـوْن العبـد شـاكراً لربـه .

وأبلغ الشكر أنْ يعـترف الـمرء بعجـزه عن الشكـر .

* * * * *

---

(١) : رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وأحمد في مسنده ، وأبـو يعـلى ، وعبد بن حميد ، والبيهقي في الشعب ، والطبراني في الأوسط .

العلي

(**العَـلِـيُّ**) البالغ في عُلُـوِّ الرتبـة بلا نهايـة ، فمـا مِـنْ شيءٍ إلّا وهـو منحـط عنـه جلاله .

وهو مِنَ الأسمـاء الإضافيـة .

وقيل: العلـي الذي تـتطلّع إليـه جميع الأبصار ، وله الـمَـثَـل الأعلى ، ولا يصل إليـه الأذى ، ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [١] .

وذاكِـره تعلـو هِـمّتـه ، ويخـاف ربـه .

قال الإمام القشيري : وليس عُلُـوُّه عُلُـوَّ جهـةٍ ولا اختصاصاً ببقعـة ،

---

[١] : سـورة غـافـر .

ولا هو كبير بعظم جثة وكِبَر بُنْية ، بل العلي وَصْفه وهو استحقاقه لنعوت الجلال .

وقال الغزالي : العلي هو الذي لا رتبة فوق رتبته ، وجميع المراتب منحطة عنه ؛ وذلك لأنَّ العلي مشتق مِنَ العلو ، والعلو مأخوذ مِنَ العلو المقابل للسفل، وذلك إمّا في درجات محسوسة كالدرج والمراقي وجميع الأجسام الموضوعة بعضها فوق بعض ، وإمّا في الرتب المعقولة للموجودات المرتبة نوعاً مِنَ الترتيب العقلي . فكلُّ ما له الفوقية في المكان فله العلو المكاني ، وكلُّ ما له الفوقية في الرتبة فله العلو في الرتبة .

والتدريجات العقلية مفهومة كالتدريجات الحسية ، ومثال الدرجات العقلية هو التفاوت الذي بين السبب والـمُسَبِّب ، والعِلّة والمعلول ، والفاعل والقابل ، والكامل والناقص . فإذا قَدَّرْتَ شيئاً فهو سببٌ لشيء ثان ، وذلك الثاني سببٌ لثالث ، والثالث لرابع ... إلى عشر درجات مثلاً ، فالعاشر واقعٌ في الرتبة الأخيرة فهو الأسفل الأدنى ، والأول واقعٌ في الدرجة الأولى مِنَ السببيّة فهو الأعلى ، ويكون الأول فوق الثاني فوقية بالمعنى لا بالمكان ، والعلو عبارة عن الفوقية .

إذا فهمت معنى التدريج العقلي فاعلم أنَّ الموجودات لا يمكن قسمتها

إلى درجات متفاوتـة في العقل إلّا ويكون الحق ﷻ في الدرجة العليا مِـنْ درجات أقسامها حتى لا يتصوّر أن يكـون فوقـه درجـة ، وذلـك هـو العلـي المطلـق ، وكلُّ ما سواه فيكـون عَلِـيّـاً بالإضـافة إلى مـا دونـه ، ويكون دَنِـيّاً أو سافـلاً بالإضافـة إلى ما فوقـه .

والعبد لا يتـصوّر أنْ يكون عَلِـيّـاً مطلـقاً ، إذْ لا ينال درجةً إلّا يكـون في الوجود ما هو فوقها ، وهو درجات الأنبيـاء والمـلائكة .

نعم ، يُـتصوّر أنْ ينـال درجةً لا يكون في جـنس الإنـس مَـنْ يفوقـه ، وهي درجة نبينا محمد ﷺ ، ولكنـه قـاصر بالإضـافة إلى العلـو المطلـق ؛ لأنه علـو بالإضافة إلى بعض الموجودات ، والآخر أنـه علـو بالإضـافة إلى الوجود لا بطريق الوجوب ، بل يقارنـه إمكان وجود إنسان فوقـه .

فالعلــي المطلــق هــو الــذي لــه الفوقيــة لا بالإضافــة ، وبحـسب الوجوب لا بحسب الوجود الذي يقارنـه إمكان نقيضـه .

❁❁❁❁❁

الكبير

(**الكبير**) في كل شيء ؛ لأنه أزلي وغني على الإطلاق .

أو الكبير عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول .

وهو مِنْ أسماء التنزيه .

قال الغزالي رحمه الله تعالى: الكبير هو ذو الكبرياء ، والكبرياء عبارة عن كمال الذات ، وأعني بكمال الذات كمالَ الوجود ، وكمالُ الوجود يرجع إلى شيئين : أحدهما دوامه أزلاً وأبداً ، فكلُّ موجودٍ مقطوع بعدمٍ سابق أو لاحق فهو ناقص ؛ ولذلك يقال للإنسان إذا طالت مدة وجوده : إنه كبير ، أي كبير السن طويل مدة البقاء ، ولا يقال : عظيم السن ، فالكبير يُستعمل فيما لا يستعمل فيه العظيم ، فإنْ كان ما طال مدة وجوده مع كونه محدود مدة البقاء كبيراً ، فالدائم الأزلي الأبدي الذي يستحيل عليه العدم أَوْلى أنْ يكون كبيراً .

والثاني أنَّ وجوده هو الوجود الذي يَصدر عنه وجودُ كلِّ موجودٍ ،

فإنْ كان الذي تمّ وجوده في نفسه كاملاً وكبيراً ، فالذي فَضُلَ منه الوجود لجميع الموجودات أَوْلى أنْ يكون كاملاً وكبيراً .

وقال بعضهم : الكبير الذي لا يَسَعه مكانٌ ولا يحويه زمان ، الكبير المتعال، يقف لديه العظماء والمتكبرون صاغرين ، فالحكم لله العلي الكبير . وذاكِره ينال الهيبة والقبول ، وصفاء الباطن ، ويقضى دينه .

قال القشيري : ومِن علوه وكبريائه أنه لا يصير بتكبير العباد له كبيراً ، أو بإجلالهم له جليلاً ، بل مَنْ وفّقه لإجلاله فبتوفيقه أَجَلَّه ، ومَنْ أيّده لتكبيره وتعظيمه فقد رَفَعَ محله . لا يلحقه نقصٌ فينجبر ذلك بتعظيم المخلوقين ، ولا ينزل بساحته وَهن فينتفي ذلك بتوحيد عباده العابدين ، فهو العزيز الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم ، ولا يتوجّه عليه سَنة ولا يوم .

ومِنْ حق مَنْ عرف عظمته أنْ يذلّ لحقه ويتواضع بين خلقه ، فإنَّ مَنْ تذلّل لله في نفسه رَفَعَ الله قدره مِنْ أبناء جنسه .

قال بعض العارفين : حقيقة الإجلال أنْ ترى الكل دونه بعين الإقلال ، فكما لا تثبت لنفسك قدراً ، فكذلك لا ترى للمخلوقين مع قدرته بالإضافة إلى علوه خطراً .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الحفيظ

(**الحفيـظ**) الذي يحـفظ الأشـياء مِـنَ الـزوال والاخــتلال مـا شــاء ذلك سبحانـه ، ويحـفظ كذلك على العباد أعمـالهم حتى يجـزيهم عليهـا بفضله يوم القيامـة .

فهو مِنْ صفات الأفـعال .

وقيل : الحفيظ الذي لا تأخذه سِنـة ولا نوم ، ولا يـؤُده حفظ خَلْقـه ، ولولاه لاضطربت الأكـوان ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾[1] ، ولا يُـنجّـي مِـنَ المهالـك في ظلمـات الـبر والبحر إلّا هو .

وذاكره يحفظـه الله مِنَ المـكروه والمـفسد .

قال القشيري : الحفيظ اسم مِنْ أسمـائه تبارك وتعالى وَرَدَ بـه الخـبر ،

---

(١) : سـورة فـاطـر ، الآيـة ٤١ .

وهو فعيـل مبالغـة مِنَ الفاعل ، وهو الحافظ لعباده في جميـع الأحـوال ، والحافظ للسمـاوات والأرضـين .

قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [2] .

فهو رافع السمـاوات بلا عمد ، وحافـظها بعد رفعهـا بـلا استـعانـةٍ بأحد ولا اعتـضاد بمدد ، بل هو الوتر الفرد الصمد .

وإنَّ الله تعالى حافظ دينـه ، قـال الله تعـالى : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [3] . أنزل التوراة على موسى فوكل حفظها إلى أمتـه ، قال الله تعالى : ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [4] ، فحرّفـوا وبـدّلوا . وأنزل الله تعالى الفرقان على محمد ﷺ ، وضَمِنَ حِفْظَـه عـلى أُمتـه بقولـه تعالى : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ . فـلا جـرم عَـصَمَ الله الأُمّـة عن تبـديل الكتـاب ، حتـى لـو أخطـأ مخطـئ في حركـةٍ مِـنْ حركات حروف القرآن أو سكون لَـنادى ألف ألـف صـبي بتخطئتـه

---

[1] : سـورة البقـرة ، الآيـة ٢٥٥ .

[2] : سـورة فـاطـر ، الآيـة ٤١ .

[3] : سـورة الحجـر .

[4] : سـورة المـائـدة ، الآيـة ٤٤ .

فضلاً عن القُـرّاء . فـشتّـان بـين أُمّـةٍ اسـتحفظهم الله كتابـه فحرّفـوا وبدّلوا ، وبين أُمّـة حَـفِظَ عليهم الكـتاب فبقوا مع الحق ووصلوا ...

ومِـنْ حفظـه سـبحانه لأوليائـه صيانـة عقائـدهم في التوحيـد عـن اكتـفائهم بالتـقليد ، وتحقيق العرفـان في أسرارهم بجميل التأيـيد .

وليس كل الحفظ أنْ يحفظ عبداً بين المِـلاء عن البـلاء ، وإنمـا الحفـظ أنْ يحفظ قلبـاً عن خلوص المعرفة بين الأهواء حتى لا يَـزِلّ عن الطريقة المـثلى ، ولا يحـيد إلى البِـدَع والهـوى . قـال الله تعـالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[1] .

وإنَّ الله تعـالى قـيّض الملائكـة ووكّلهـم بحفـظ بني آدم مِـنَ الـبلاء والآفات ، حتى إذا قعـدوا وقـاموا أو انتبهـوا ونـاموا تقلّبـوا في حفظـه وحراستـه ، وتصرّفوا عـلى حكـم رعايتــه ، قـال الله تعـالى : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾[2] .

فهو الذي يحـفظ نفـسَـك ، ومالـك ، ودينـك ، وحالـك ، ووقتـك ، وعيالك ... ، إذْ لو رَفَـعَ كلَّ رعايتـه عن أسبابك لـهلـكتَ .

وقال الخطابي : الحفيـظ هـو الحـافظ ، فعيـل بمعنـى فاعـل كالقديـر

---

[1] : سـورة إبـراهيـم ، الآيـة ٢٧ .
[2] : سـورة الأنبيـاء ، الآيـة ٤٢ .

والعليم ، يحفظ السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما لتبقى مدة بقائها فلا تزول ولا تدثر ، قال الله جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾[1] .

وقال : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ ﴾[2] ، أي حفظناها حفظاً .

وهو الذي يحفظ عباده مِنَ المهالك والمعاطب ، ويَقيهم مصارع السوء ، قال الله العظيم : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ ﴾[3] ، أي بأمره .

ويحفظ على الخلق أعمالهم ، ويُحصي عليهم أحوالهم ، ويَعلم نبأهم وما تُكِنّ صدورهم ، فلا يغيب عنه غائبة ، ولا تخفى عليه خافية .

ويحفظ أولياءه فيعصمهم عن مواقعة الذنوب ، ويحرسهم مِنْ مكائد الشيطان لِيَسْلموا مِنْ شَرِّه وفِتْنَتِه .

فيجب على كل مكلّف أنْ يعلم أنَّ الله سبحانه هو الحافظ لجميع الممكنات والحفيظ .

وأعظم الحفظ حفظ القلوب ، وحراسة الدِّين عن الكفر والنفاق وأنواع الفتن ، وفنون الأهواء والبِدَع ؛ حتى لا يَزِلّ عن الطريقة

---

[1]) : سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .

[2]) : سورة الصافات .

[3]) : سورة الرعد ، الآية ١١ .

الـمثلـى ، لا الحفظ مِنْ بلايا الأمـراض والأوصـاب ، والبلايـا النازلـة بالمـال والولد ، فإنَّ هذا يؤدي إلى الجنـة والأول يؤدي إلى النـار .

ولقد أحسن القائـل :

في كل بلوى تُصيب العبد عافيـة ... إلّا البلاء الذي يـودي إلى النـارِ
ذاك البلاء الـذي مـا فيـه عافيـة ... مِـنَ الـبلاء ولا سـتر مِـنَ العـارِ

ويجب عليه كذلك حفظ حدوده ، وحفظ ما وَجَبَ عليه مِن حقوقـه . فيدخل في ذلك معرفة الإيمـان والإسلام وسائر ما يتعـيّن عليه عِلْمـه .

ويجب عليه حفظ ما استحفظه الله إيّـاه بِحُسْن الرعاية له والقيام عليه.

وفي حديث ابن عباس أنَّ النبي ﷺ قال : " يا بني ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجـده تجـاهك "[1] .

ويقال : " مَنْ حَـفِظَ لله جوارحـه حفظ الله عليه قلبـه ، ومَنْ حفـظ لله حـقَّه حفظ الله عليه حظّـه " .

حُـكِيَ أنَّ لصاً دخل حجرة رابعة العدوية وكان النوم أَخَـذَها ، فأخـذ اللص مِلاءتها فخفي عليه باب الحجرة ، فوضع الملاءة فأبـصر البـاب ، فرفع المـلاءة ثانيـة فخفي عليه الباب ، فلـم يـزل يفعـل ذلـك مـرات ،

---

(1) : رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وأحمد في مسنده ، والحـاكم في المستدرك بلفظ : " تجده أمامك " ، وأبو يعلى ، وعبـد بـن حميـد ، والبيهقـي ، والطبراني ، والمـقدسي في المختـارة .

فهتف به هاتف : ضع الملاءة فإنّا نحفظها لها ولا ندعك تحملها وإنْ كانت نائمة .

وهذا تحقيق الحفظ .

ومِن هذا الباب أيضاً قصة أم موسى لَمّا رَجَعَتْ إلى الله بصدق التوكل ، انظر كيف ألقى في قلبها وكيف ألهمها حيث قال عزّ ذِكْره : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [1] . انظر كيف ربط على قلبها ؟ وكيف حفظ لها ولدها ؟ وكيف ردّه إليها ؟

وفي بعض الحكايات أنَّ امرأة تصدّقت برغيفٍ ، فأخذ السبع ولدها ، فنوديت : لقمة بلقمة ، إنك تصدّقتِ لأجلنا برغيف فرَدَدْنا ولدك .

فإنه حافظٌ ما استودع ، وراحمٌ مَنِ اسْتَرحم ، وبالله التوفيق .

((ملاحظة)) : ولقد تقرّر عند أهل الحق أنَّ الحفظ على وجهين :

أحدهما إدامة وجود الموجودات وإبقاؤها ، ويضاده الإعدام ، والله تعالى هو الحافظ للسماوات والأرض والملائكة والموجودات التي يطول أمد بقائها ، والتي لا يطول مثل الحيوانات والنبات وغيرها .

والوجه الثاني وهو أظهر المعنيين أنَّ الحفظ صيانة المتعاديات

---

(1) : سورة القصص .

والمتضادات بعضها عن بعض ، وأعني بهذا التعادي ما بين الماء والنار فإنهما يتعاديان بطباعهما ، فإمّا أنْ يطفئ الماء النار ، وإمّا أنْ تحيل النارُ الماءَ إن غلبت الماء بخاراً ثم هواء .

والتضاد والتعادي ظاهر بين الحرارة والبرودة إذ يقهر أحدهما الأخرى ، كذلك بين الرطوبة واليبوسة . وسائرُ الأجسام الأرضية مركّبة مِنْ هذه الأصول المتعادية ، إذ لا بد للحيوان مِنْ حرارة غريزية ولو بطلت لبطلت حياته ، ولا بد له مِن رطوبة تكون غذاءً لبدنه كالدم وما يجري مجراه ، ولا بد مِن يبوسة بها تتماسك أعضاؤه خصوصاً ما صلب منها كالعظام ، ولا بد مِن برودة تكسر سَوْرة الحرارة حتى يعتدل ولا يحترق ولا تتحلّل الرطوبات الباطنة بسرعة .

وهذه متعاديات متنازعات ، وقد جمع الله ﷻ بين هذه المتضادات المتنازعة في إهاب الإنسان ، وبدن الحيوانات والنبات وسائر المركبات ، ولولا حِفْظه إيّاها لتنافرت وتباعدت ، وبطل امتزاجها واضمحل تركيبها ، وبطل المعنى الذي صارت مستعدة لقبوله بالتركيب والمزاج .

وحِفْظُ الله تعالى إيّاها بتعديل قواها مرة ، وبإمداد المغلوب منها ثانياً .

أمّا التعديل فهو أنْ يكون مبلغ قوة البارد مِثْل مبلغ قوة الحار ، فإذا اجتمعا لم يغلب أحدهما الآخر بل يتدافعان ، إذ ليس أحدهما بأنْ يَغلب أَوْلى مِنْ أنْ يُغلب ، فيتقاومان ويبقى قوام المركّب بتقاومهما

وتعادلهما ، وهو الذي يُعَبّر عنه باعتدال المزاج .

والثاني إمداد المغلوب منهما بما يُعيد قوته حتى يقاوِم الغالب . ومثاله أنَّ الحرارة تُفني الرطوبة وتجفّفها لا محالة ، فإذا غلبت ضعفت البرودة والرطوبة وغلبت الحرارة واليبوسة ، ويكون إمداد الضعيف بالجسم البارد الرطب وهو الماء ، ومعنى العطش هو الحاجة إلى البارد الرطب ، فخَلَقَ الله تعالى البارد الرطب مدداً للبرودة والرطوبة إذا غلبتا ، وخَلَقَ الأطعمة والأدوية وسائر الجواهر المتضادة حتى إذا غلب شيءٌ عُورِضَ بضِدِّه فانقهر ، وهذا هو الإمداد .

وإنما تمّ ذلك بِخَلْق الأطعمة والأدوية ، وخَلْقِ الآلات المصلحة لها ، وخَلْق المعرفة الهادية إلى استعمالها ، وكلُّ ذلك بِحِفْظ الله ﷻ أبدان الحيوانات والمركبات مِنَ المتضادات .

وهذه هي الأسباب التي تحفظ الإنسان مِنَ الهلاك الداخل ، وهو مُتَعَرِّضٌ للهلاك مِنْ أسباب خارجةٍ ، كسباع ضارية وأعداء متنازعة ... ، فيحفظه مِنْ ذلك بما خَلَقَ له مِنَ الجواسيس المُنْذِرة بقرب العدو وهي طلائعه كالعين والأذن وغيرهما ، ثم خلف له اليد الباطشة ، والأسلحة الدافعة كالدرع والترس ، والقاصدة كالسيف والسكين ، ثم ربما يعجز مع ذلك عن الدَّفْع فأمدّه بآلة الهرب وهي الرجل للحيوان الماشي والجناح للطائر .

وكذلك شمل حِفْظُه جَلَّتْ قدرته كلَّ ذرة في ملكوت السماوات والأرض ، حتى الحشيش الذي ينبت في الأرض يَحفظ لبابه بالقشر الصلب وطراوته بالرطوبة ، وما لا يُحفظ بمجرد القشر يَحفظه بالشوك النابت منه ؛ ليندفع به بعض الحيوانات المتلفة له ، فالشوك سلاح النبات كالقرون والمخالب والأنياب للحيوانات .

بل كلُّ قطرةٍ مِنْ ماء فمعها حافظ يحفظها عن الهواء المضاد لها ، فإنَّ الماء إذا جُعِلَ في إناء وتُرِكَ مدةً استحال هواء ، وسَلَبَ الهواءُ المضاد له صفة المائية عنه . ولو غمستَ الإصبع في ماء ورفعتها ونكّستها تدلّت منها قطرة ماء تبقى مُنَكّسة لا تنفصل مع أنَّ مِنْ شأنها الهوي إلى أسفل ، ولكنها لو انفصلت وهي صغيرة استولى الهواء عليها وأحالها ، ولا تزال تمكث متدلية حتى يجتمع إليها بقية البلل فتكبر القطرة ، فتستجري على خرق الهواء بسرعة ولا يستولي الهواء على إحالتها . وليس ذلك حفظاً منها لنفسها عن معرفةٍ بضعفها وقوة ضدها وحاجة استمدادها مِنْ بقية البلل ، وإنما ذلك حِفْظٌ مِنْ مَلَك موكّل بها بواسطة معنى يتمكّن مِن ذاتها ، وقد ورد في الخبر أنه لا تنزل قطرة مِنَ المطر إلّا ومعها مَلَكَ يحفظها إلى أنْ تصل إلى مستقرها مِنَ الأرض . وذلك حق ، والمشاهدة الباطنة لأرباب البصائر قد دَلَّتْ عليه وأرشدت إليه ، فآمنوا بالخبر لا عن تقليد بل عن بصيرة .

والكلام أيضاً في شرح حفظ الله تعالى السماوات والأرض وما بينهما طويل كما في سائر الأفعال ، وبه يُعرف هذا الاسم لا بمعرفة الاشتقاق في اللّغة وتوهّم معنى الحفظ على الإجمال .

((تنبيه)) : الحفيظ مِنَ العباد مَنْ يحفظ جوارحه وقلبه ، ويحفظ دينه عن سطوة الغضب ، وخلابة الشهوة ، وخداع النفس ، وغرور الشيطان ... فإنه على شفا جرف هار ، وقد اكتنفته هذه المهلكات المفضية إلى البوار .

* * * * *

المُقيت

(**الـمُقـيت**) خالـق الأقوات سـواء كانـت بدنيــة أو روحيـة ، وهـو الذي يوصلها للأشباح والأرواح .

فهو مِنْ صفات الأفـعال .

قال الغزالي رحمه الله تعالى: الـمُقـيت معناه خالق الأقـوات وموصـلها إلى الأبدان وهي الأطعمـة ، وإلى القلوب وهي المعرفـة ، فيكون بمعنـى الرزّاق إلّا أنه أخـصّ منـه ، إذ الـرزق يتنـاول القـوت وغـير القـوت ، والقوت ما يُكـتـفى بـه في قوام البـدن .

وإمّـا أنْ يكون معناه الـمسـتولي على الشيء القادر عليـه ، والاسـتيلاء يـتم بالقدرة والعلم ، وعليه يدل قوله ﷻ : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (١) ، أي مُطَّلِعاً قادراً . فيكون معناه راجعاً إلى القدرة والعلـم ،

---

(١) : سـورة النسـاء .

أمّـا العلم فقد سبق ، وأمّـا القدرة فستأتي . ويكون بهذا المعنى وَصْفـه بالـمُقيت أتمّ مِن وصفه بالقادر وحده وبالعلم وحـده ؛ لأنـه دال عـلى اجتمـاع المعنيـين ، وبذلك يخرج هذا الاسم عن الـترادف .

وقيل : الـمُقيت الذي خَلَـقَ الأقوات وأَوْدَعَ فيها خصائص التغذيـة ، ويوصلها للأشباح والأرواح على ما يناسبها ، وهـو جَـلَّ شـأنه المقتـدر المـتكفّل بأرزاق عباده . وذاكِـره يقوى على مكافحـة شهوات النـفس .

وقال القشيري : الـمُقيت بمعنى الـمقـتدر .

وقيـل : إنه بمعنى الحـفيظ ، هذا قول أصحاب المعاني .

وقيـل : الـمُقيت الاسم مِنْ أقاتـه ، إذا أعطاه قُوتَـه .

وفي الحديث : " كفى بالمـرء إثمـاً أنْ يُضَيِّعَ مَنْ يقوت "[1] . والقـوت ما بـه استـقلال النـفس ، ويكون قواماً لهـا وسبب بقائـها .

وإنَّ الله سـبحانه جعـل أقـوات العبـاد والحيوانـات مِـنَ المخلـوقين والمخلوقات مختلفـة ، فمنهم مَنْ جعـل قوتـه المـأكولات والمـشروبات على حسب اختلافهمـا في الأجنـاس والأصـناف المطعومـات ، ومـنهم

---

[1] : رواه بهذا اللّفظ أبو داود ، والنسائي ، وأحمد ، والحاكم في المـستدرك ، وابـن حبان في صحيحه ، والبيهقي ، والطبراني في الأوسط ، والبزار ، وأبو نعيم .
وهو عند مسلم بلفظ : " كفى بالمـرء إثمـاً أن يحبس عمَّنْ يملك قوتـه " .

مَنْ جعل قوته في التسبيح والطاعات كالملائكة الذين هم سكان الأرضين والسماوات . وإنه خَصَّ بني آدم بأنْ جعل قوتهم أطيب الأشياء وألذّها ، قال الله تعالى : ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ (١) ، ثم إنه جعل قوت الأشباح الطعام والشراب ، وجعل قوت الأرواح المعاني التي لها قدرها ورتبتها ، وبها يحصل تفاوت درجاتها .

ويروى عن ابن عباس وأبي عبيدة : المُقيت الحافظ للشيء والشاهد له والموقوف عليه .

قال القرطبي : وعلى القول بأنه القادر يكون مِنْ صفات الذات ، وإنْ قلنا : إنه اسم للذي يعطي القوتَ فهو اسمٌ للوهاب والرزاق ، ويكون مِنْ صفات الأفعال .

فيجب على كل مكلّف أنْ يعلم أنْ لا قائم بمصالح العباد إلّا الله سبحانه ، وأنه الذي يقوتهم ويرزقهم .

وإنَّ الله تعالى إذا شغل العبد بطاعته أقام لأجله مَنْ يقوم بشغله ، فإذا اشتغل العبد بطاعة ربه جعل الحق سبحانه مَنْ يقوم بخدمة عبده ، وإذا رجع إلى متابعة شهوته وتحصيل أمنيته وَكَلَه إلى حَوْله وقوته ، ورفع عنه ظل عنايته .

(١) : سورة النحل ، الآية ٧٢ .

يقول منصور المغربي : كان الكتاني بمكة وكان له خادم يخدمـه ، وكان في المسجد شاب حَسَن الجلسة ، فكان الكتاني إذا فُـتِـح عليه بشيء قـال لخادمه : ابدأ بذلك الشاب . فقال الخادم له يوماً : كنتَ تـأمرني أنْ أبـدأ بذلك الشاب ولم تقل لي ذلك منذ أيـام ! فقـال : إني رأيتـه في الحذّائـين يطلب شعساً ، ومَنْ أمكنـه أنْ يحـتال لنفسه شعساً قد سقط عنا فرضه .

أشار بهذا أنه إنمـا كان ذلك الـشيخ منـصوباً لمراعـاة حقــه وتقديمـه على أشكالــه لَـمّــا لم يكـن الـشاب محترفــاً لنفسه ، فحيـث اتّـصف باحتيالـه في بعض أحوالـه ردّ إلى أفعالـه واخـتياره .

وحسبك تأييداً لهذه الجملة قصة آدم عليه السلام ، وهـو أنَّ الله سـبحانه قاتـه وصانـه عن المحن أوقاتـه ، وكـفاه كل شغل ، ولـقاه كل يـسر ، ورفـع له منـاره ، وأسجد له أبـراره ، وأسكنــه جـواره ، وأجـزل لـه مبـارّه ، وقــال جـلّ وعــلا : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [١] ، فلمّــا نَسِـيَ وعده ومَــدّ إلى شهواتــه يـده لـقي ما لـقي .

<u>((ملاحظـة))</u> : مِنْ أقوات القلـوب والأرواح العقـل الـذي بـه نظـام

---

(١) : سـورة طـه .

جميع المحاسن ، فمَنْ رزقه الله العقل أكرمه وأزانه ، ومَنْ حرمه ذلك فقد أذلّه وأهانه .

قيل : إنَّ جبريل عليه السلام جاء إلى آدم عليه السلام وقال : إني أتيتك بثلاثة أشياء فاختر منها واحداً ، فقال : وما هي ؟ فقال : العقل والدين والحياء ، فقال آدم : اخترتُ العقل . فخرج جبريل وقال : إنه اختار العقل فانصرفا أنتما ، فقال الدين والحياء : إنما أُمِرْنا أنْ نكون مع العقل حيث كان .

ولهذا قيل : " ما خَلَقَ الله تعالى شيئاً أحسن مِنَ العقل " .

وسُئِل بعضهم عن معنى العقل فقال : لم يُعْطَ أحدٌ كماله فيوصف .

*****

الحسيب

(**الحسـيب**) هو الكافي لعبده ، مِنْ أَحْسَبَـني بمعنى كـفاني ، وحـسبي الله أي كفـاني الله .

أو الذي يحاسب الخلـق يوم القيامـة .

فهو صفة فِعْـلٍ على القول الأول والثاني إنْ جُعِلَت المحاسبة مكافـأة ، وإنْ جُعِلَتْ معاتبـةً وتعداداً للأعمـال كان مرجعـه القول .

قال الغزالي رحمه الله تعالى : الحسيب هو الكافي ، وهو الـذي مَـنْ كـان لـه كان حَسْبَـه ، والله ﷻ حسيب كلِّ أحدٍ وكافيـه .

وهذا وصف لا تُـتصوّر حقيقتـه لغيره ، فإنَّ الكفاية إنمـا يحتاج إليهـا الـمَكْفِـيّ لوجوده ولدوام وجوده ولكمـال وجوده ، وليس في الوجود شيء هو وحده كـافٍ لـشيء إلّا الله ﷻ ، فإنـه وحـده كـافٍ لكـل شيء لا لبعض الأشـياء ، أي هو وحـده كـافٍ ليحـصل بـه وجـود الأشـياء ويدوم بـه وجودها ويكمل بـه وجودها .

ولا تظنّ أنك إذا احتجت إلى طعام وشراب وأرض وسماء وشمس ... وغير ذلك فقد احتجت إلى غيره ولم يكن هو حسبك ، فإنه الذي كفاك بِخَلْق الطعام والشراب والأرض والسماء ... فهو حسبك .

ولا تظنّ أنَّ الطفل الذي يحتاج إلى أُمٍّ ترضعه وتتعهّده فليس الله حسبه وكافيه ، بل الله ﷻ كافيه إذ خَلَق أُمّه وخَلَقَ اللّبن في ثديها ، وخَلَقَ له الهداية إلى التقامه ، وخَلَقَ الشفقة والمودة في قلب الأم حتى مكّنته مِنَ الالتقام ، ودعته إليه وحملته عليه . فالكفاية إنما حصلت بهذه الأسباب ، والله تعالى وحده هو المتفرد بِخَلْقها لأجله .

ولو قيل لك : إنَّ الأم وحدها كافية للطفل وهي حسبه ، لصدقت به ولم تقل : إنها لا تكفيه لأنه يحتاج إلى اللبن ، فمِنْ أين تكفيه الأم إذا لم يكن لبن ؟ ولكنك تقول : نعم يحتاج إلى اللبن ، ولكن اللبن أيضاً مِنَ الأم فليس محتاجاً إلى غير الأم . فاعلم أنَّ اللبن ليس مِنَ الأم ، بل هو والأم مِنَ الله ﷻ ومِنْ فضله وجوده ، فهو وحده حَسْبُ كلِّ أحدٍ ، وليس في الوجود شيء وحده هو حَسْب شيءٍ سواه ، بل الأشياء يتعلّق بعضها ببعض ، وكلّها تتعلّق بقدرة الله ﷻ .

<u>((تنبيه))</u> : ليس للعبد مدخل في هذا الوصف إلّا بنوع مِنَ المجاز بعيد ، وبالإضافة إلى بادئ الرأي وسابق الظن العامي .

أمّـا كونـه مجازاً فهـو أنـه إنْ كـان كافيـاً لطفلـه في القيـام يتعهّـده ، أو لتلميذه في تعليمه حتى لم يفتـقر إلى الاستعانـة بغـيره ، كـان واسـطة في الكفاية ولم يكن كافياً ؛ لأنَّ الله ﷻ هو الكـافي ، إذْ لا قـوام لـه بنفسه ولا كفاية له بنفسه ، فكيف يكون هو كفايـة غيره ؟!

وأمّـا كونه بالإضافة إلى سـابق الظـن هـو أنـه وإنْ قُـدِّرَ أنـه مـستـقل بالكفايـة وليس بواسطة فهو وحده لا يكفـي ، إذ يحتـاج إلى محـل قابـل لفعلـه وكفايتـه وهذا أقل الأمور . فالقلب هو محل العلم لا بد منـه أولاً ليكون هو كافيـاً في التعليم ، والمعدة التي هي مستـقر للطعام لا بد منهـا لتكون كافيـة بإيصال الطعام إلى بدنـه ، وهذا مع ما يحتاج إليه مِنْ أمـور كثيرة لا يُحصيها ولا يَدخل شيءٌ منها في اختياره ، فأقـلّ درجات الفعـل حاجته إلى فاعل وقابـل ، فالفاعل لا يكفي دون القابـل أصلاً .

وإنمـا صحّ هذا في حق الله ﷻ لأنه خالق الفعل وخالق المحل القابل ، وخالق شرائط قبولـه وما يكتـنـفه ، ولكن بادئ الرأي ربمـا يـسبق إلى الفاعل ولا يخطر بالبـال غيره ، فيظنّ أنَّ الفاعـل حـسبه وحـده ولـيس كذلك .

نعم ، الحظ الديني منـه للعبد أنْ يكون الله وحده حـسبه بالإضـافة إلى هِـمّتـه وإرادتـه ، وهو أنه لا يريد إلّا الله ﷻ ، فلا يريد الجنـة ولا يشغل

قلبه بالنـار ليحذر منها ، بل يكون مستغرق الـهَمِّ بـالله تعـالى وحـده ، وإذا كاشـفه بجلالـه قال : ذلك حسبي فلستُ أريـد غـيره ، ولا أُبـالي فاتـني غيره أو لم يفت .

قال القشيري رحمـه الله : وكفايـة الله للعبـد أنْ يكفيــه جميع أحوالـه وأشغالـه ، وأجـلّ الكفايـات أنْ لا يعطيــه إرادة شيء ، فـإنَّ سلامتــه عن إرادة الأشياء حتى لا يريد شيئـاً أتـمّ مِنْ قـضاء الحاجــة وتحــقيق المـأمول .

وإذا عَـلِم العبد أنَّ الحـق سـبحانه كافيــه لم يرفـع حوائجـه إلّا إليـه ، فإنه سبحانه لَسريع الإجابة لِـمَن انقطع إليــه وتوكّـل في جميـع أحوالـه عليه ، ولا سيّمـا إذا كانت حاجتـه متمحّـضة في حـق الله تعـالى ؛ لأنـه إذا كانت حاجـته في حظ نفـسه فربمــا يحـصل منـع وتـأخير في قـضاء الحاجـة .

يُحكى عن أبي الحسن الدّيلي وكـان كبـير الـشأن أنـه قـال : وُصِـفَ لي بأنطاكيـة إنسان أسود يـتكلّم عـلى القلـوب . قـال : فقـصدتُـه ، فلمّــا رأيتـه رأيتُ معه شيئـاً مِنَ المـباحات يريد أنْ يبـيعه ، فـساومتـه وقلـت لـه : بكم تبيع هذا ؟ فنظر إلـيّ ثم قال : اقعد فإنك جائع منـذ يـومين ، حتى إذا بِعْنـا هذا نعطيـك مِـنْ ثمنـه شـيئاً . قـال : فمـضيتُ إلى غـيره وتغافلت عنـه كأني لم أسمع ما قال ، وسـاوَمْتُ غـيره مِـمّــا كـان بـين

يديـه ، ثم عدت إليـه وقلت له : بكم تبيع هذا ؟ فنظر إلـيّ وقال : اقعد فإنك جائع منذ يومين ، حتى إذا بِعْنـا هـذا نعطيـك مِـنْ ثمنـه شيئـاً . قال : فمضيت إلى غيره وتغافلت عنـه كأني لم أسمع ما قال ، وسـاومت غيره ثم عدت إليـه وقلت له مِثْـل القول الأول والثـاني ، فقـال : اقعـد فإنك جائع منذ يومين ، حتى إذا بِعْنـا هـذا نعطيـك مِـن ثمنـه شـيئاً . قال : فوقع على قلبي منه هيبـة ، فلمّـا باع ذلك أعطـاني شـيئاً ومـضى . قال : فمضيت خلفـه لعلّي أستفيد منه شيئـاً بقولـه لي . قـال : فالتفـتَ إلـيّ وقال : إذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله ، إلّا أنْ يكـون لـك فيهـا حـظ فـتُحجب عن الله تعالى إذاً .

ومَـنْ عَـلِمَ أنـه تعـالى كافيـه لا يـستوحش مِـنْ أعـراض الخلـق ، ولا يـستأنس بقبـول غـير الحـق ؛ ثـقة بـأنَّ الـذي قُـسِمَ لـه لا يفوتـه وإنْ أعرضوا ، وأنَّ الذي لم يُـقسم له لا يصل إليه وإنْ أقـبلوا .

ثم إنَّ العبد إذا اكـتـفى بِحُسْن تَـوَلِّيـه سبحانه لأحوالـه فعـن قريـب يُرضيـه بمـا يختار له مـولاه سـبحانه ، فعنـد ذلـك يؤثـر العـدم عـلى الوجود ، والفقر على الغنـى ، ويستريح إلى عدم الأسباب بدل مـا كـان يسـتأنس أمثـالـه بالأعراض والأسـباب .

وفي معناه يُحكى عن عطاء السلمي أنه بقـي سـبعة أيـام لم يـذق شيئـاً مِنَ الطعام ولم يقدر على شيء ، فسـرّ قلبـه لذلك غايـة الـسرور وقـال :

يا رب ، إنْ لم تطعمني ثلاثة أيام أُخَر لَأُصَلِّيَنَّ لك ألف ركعة .

وقيل : إنَّ فتحاً الموصلي رجع ليلة إلى بيته فلم يجد عشاً ولا سراجاً ولا حطباً ، فأخذ يحمد الله تعالى ويتضرّع إليه ويقول : إلهي ، لِأيِّ شيءٍ وبأي وسيلة واستحقاق عاملتَني بما تُعامل به أولياءك ؟!

وأمّا مَنْ عَلِمَ أنه حسيب بمعنى محاسب ، عَلِمَ أنه يطالبه عذاباً للصغير والكبير ، ويحاسبه على النقير والقطمير ، فعند ذلك يحاسِب نفسه قبل أنْ يُحاسَب ، ويطالب قلبه بالقيام بحقوقه قبل أنْ يُطالَب ، فإنَّ الله تعالى حَكَمَ بأنه لا يزول قدم العبد حتى يُسأل عن حركاته وسكناته وجميع حالاته .

يُحكى عن إبراهيم بن أدهم أنه قال : كنت ببيت المقدس ليلة ، فبِتُّ تحت الصخرة خالياً ، فلمّا كان بعد هدء مِنَ الليل إذا أنا بملَكين نزلا مِنَ السماء ، فقال أحدهما لصاحبه : مَنْ ها هنا ؟ قال : إبراهيم ابن أدهم ، فقال : الذي نقص مِن درجاته درجة ؟ فقال الآخر : ولِمَ ؟ قال : لأنه اشترى بالبصرة تمراً ، فوقع مِنْ تمر صاحب الدكان فيما اشتراه تمرة بغير علمه ، فنقص مِن درجاته درجة . قال إبراهيم : فلمّا أصبحت حَوَّلْتُ وجهي إلى البصرة وأتيتُها ، واشتريتُ مِنْ صاحب الدكان تمراً ثم ألقيتُ على تمره تمرة واحدة ، وانصرفتُ إلى بيت المقدس وبِتُّ تحت الصخرة ، فلمّا كان بعد ساعة مِنَ الليل رأيتُ ملَكين

نزلا مِنَ السمـاء ، فقال أحدهما لصاحبه : مَنْ ها هنـا ؟ قـال : إبـراهيم ابن أدهم ، فقال الآخر : الذي رُدَّتْ درجتـه إلى ما كانت عليـه ؟

وقد يعلم العبد أنه يحاسبـه ربه فيثـق بفضله ، ويرجو أنْ يستر عيوبه ، ويغفر ذنوبـه ، ويُرضّي خصومه ، ويكفيـه همومـه ، فإنَّ الكريم بـالعفو جدير ، وعـلى مـا يُرجـى مِـن سـعة إحـسانه وحُـسْن غفرانـه قـدير ، والكريم مَنْ يطلب لجرائـم العصاة عذراً .

* * * * *

الجليل

(**الجليـل**) الـمتّـصف بصفـات الجـلال والكبريـاء .

فهو مِنْ صفات التنـزيـه كالقدوس .

وقيـل : الجليل الذي تعالى في ذاتـه وصفاتــه فخـضع لـسلطان هيبتـه جميع خلقـه ، ويستحي منـه أهل العرفـان وتخشع قلوبـهم لذِكْـره .

وذاكره يتحـقّق في مقام الخوف والرجـاء ، وتعلوه الهيبـة والوقـار .

قال الإمام الرازي : هو الكبير الكامـل في الـذات ، والجليـل الكامـل في الصفات ، والعظيم الكامل فيهمـا معـاً .

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : الجليل هـو الموصـوف بنعـوت الجـلال ، ونعوتُ الجلال هي العِـزّ ، والـمُلْـك ، والتـقديس ، والعلم ، والغنـى ، والقدرة ... وغيرها مِنَ الصفات التي ذكرناها ، فالجـامع لجميعهـا هـو الجليـل المطلـق ، والموصوف ببعضها جلالتُـه بِقَـدْر مـا نـال مِـن هـذه

النعوت ، فالجليـل المطلـق هو الله ﷻ فقط .

وكأنَّ الكبير يرجع إلى كمـال الذات ، والجليـل إلى كمـال الـصفات ، والعظيم يرجع إلى كمـال الـذات والـصفات جميعـاً ، منسوباً إلى إدراك البصيرة إذا كان بحيث يستغرق البصيرة ولا تستغرقـه البصيرة .

ثم صفات الجلال إذا نُسِبَتْ إلى البـصيرة المدركـة لهـا سُـمِّيت جمـالاً ، وسُمّي المـتّـصف به جمـيلاً . واسم الجميـل في الأصـل وضـع للـصورة الظاهرة المدركة بالبصر مهمـا كانت بحيث تلائـم البصر وتوافقـه ، ثـم نقل إلى الصورة الباطنـة التي تدرك بالبصائر حتى يقال : سـيرة حـسنـة جميلـة ، ويقـال : خُلُـق جميـل ، وذلـك يـدرَك بالبـصائر لا بالأبـصار . والصورة الباطنـة إذا كانت كاملـة متناسـبة جامعـة جميـع كمـالاتها اللائـقة بها كمـا ينبغي وعلى ما ينبغي ، فهي جميلـة بالإضافة إلى البصيرة الباطنـة المدركة لها ، وملائمة لها ملائمة يدرِك صـاحبُها عنـد مطالعتهـا مِنَ اللّـذة والبهجة والاهتـزاز أكثر مِـمّـا يدركـه الناظر بالبصر الظـاهر إلى الصورة الجميلـة .

فالجميل الحق المطلـق هو الله ﷻ فقط ؛ لأنَّ كل ما في العـالم مِـنْ جمـالٍ وكمـالٍ وبهـاءٍ وحُـسْنٍ فهـو مِـنْ أنـوار ذاتـه وآثـار صـفاته ، ولـيس في الوجود موجود له الكمـال المطلـق الـذي لا مثنويـة فيـه لا وجـوداً ولا إمكانـاً سواه ، ولذلك يدرِك عارفُـه والناظر إلى جمالـه مِـنَ البهجـة

والسرور واللّذة والغبطة ما يستحقر معه نعيم الجنة وجمال الصورة المبصرة ، بل لا مناسبة بين جمال الصورة الظاهرة وبين جمال المعاني الباطنة المدركة بالبصائر .

فإذا ثبت أنه جليل وجميل ، فكل جميل فهو محبوب ومعشوق عند مدرِك جماله ؛ فلذلك كان الله ﷻ محبوباً ولكن عند العارفين ، كما تكون الصورة الجميلة الظاهرة محبوبة ولكن عند المبصرين لا عند العميان .

وقال القشيري : الجليل والجميل اسمان مِنْ أسمائه تعالى ورد بهما التوقيف ، ولا خلاف عند أهل الحق أنَّ جلالَه استحقاقُه لنعوت التّعالي ، وهو بمعنى رفعته وعلوّه .

وقالوا : الجليل بين الجلال والجلالة ، وأمّا الجميل فقد اختلفوا فيه ، فمنهم مَنْ قال : إنه بمعنى الجليل ، وجماله هو جلاله .

ومنهم مَنْ قال : إنَّ معنى الجميل المُحْسِن ، والجميل بمعنى المُجْمِل ، وقد ذكرنا أنَّ الفعيل بمعنى المُفْعِل كثير .

وقد مضى في هذا الكتاب فصول في معنى إحسانه ورفعته في غير موضع ، ونذكر ها هنا طرفاً :

فاعلم أنَّ الله سبحانه يكاشف القلوب مرة بِوَصْفِ جلاله ، ومرة بوصف جماله . فإذا كاشفها بِنَعْتِ جماله صارت أحواله عطشاً في

عطش ، وإذا كاشفها بوصف جلالـه صارت أحواله دهـشاً في دهـش . ومَنْ كاشفه بجلالـه أفنـاه ، ومَـنْ كاشــفه بجمــاله أحيـاه . فكَـشْفُ الجلال يوجب محواً وغيبـة ، وكَشْف الجمـال يوجـب صـحواً وقربـة . وكشف الجلال يوجـب اجـتياحاً وثبـوراً ، وكـشف الجمــال يوجـب ارتيـاحاً وسروراً . والعارفون كاشفهم بجلالــه فغـابوا ، والـمُحِبّــون كاشفهم بجمـاله فطابوا . فمَنْ غـاب فهـو مُـهَـيَّم ، ومَـنْ طـاب فهـو مُـتَـيَّم .

ومَنْ أفاض الله عليه مِن صفاته الجميل فـتح له جمال المعاني ، وحـلاوة الإيمـان ، وحُسْن خَلْـقه وخُلُـقه ، وزادت هيبتـه ، واسـتغرق في بحـر جمالـه ، فلا يرضى العبد بقبيح الفعال وسـوء الخـصال لـئلّا يخرج مِـنْ حضرة الجمـال ، ويكون ذاكياً حتى يأنف بطبعه وذكاء ذوقـه كل قبيح ، ولا يرضى أنْ يتدنّـس بحرام قـط ، أو بريح الخلـق الذميـم .

ومتى أَنِـسَ بالجمـال الإلهي استوحش مِـنَ الخلـق ، وعـاف شـهوات الدنيا ونِـعَم الآخرة ، لا يتلذّذ إلّا بشهود الحق ﷻ ؛ ولذلك كانت أجـلّ نعمـة مِنَ الله لأحبابـه في الآخرة رؤيـة ذاتـه ﷻ .

وعلى ذِكْـر الجمـال والجلال ، لا يدخل هـذه الحـضرة إلّا مَـنْ فَـنِـيَ عن نفسـه فنـاءً تـاماً تـنقطع عن العبد إحسـاسات وجـوده إذا جرّدهـا إلى ربـه ، فلا يُحسّ إلّا بوجـود الله ، فتحـصل لـه حـلاوة مِـنَ الجـلال

والجمـال يغيب فيها دون أنْ يدري ، ولا يوقظـه منها إلّا الله ﷻ .

وقد يقبض بعض القوم وهم في هـذه الحـال وهـم لا يـشعرون ، وإذا صحا أحـدٌ مِـنْ هـذه الغيبـة أدرك أنـه أُعطـي فتحـاً وعلمـاً وأسراراً لم يتعلّمها مِنْ قبـل ، إنمـا أَوْدعها الله في قلبـه في أثـناء غيبتـه عن نفسه .

نرجو الله ﷻ أنْ يذيقنـا حلاوة شهوده ، وصدق محبتـه ، وعدم الغفلـة في حضرتـه ، ومنتهـى رضـاه .

((فصـل)) : واعلم أنَّ الله سـبحانه يخـصّ الأبـرار بمـا يـسقيهم مِـنْ شراب محابـه ، ويخصّ الأحباب بمـا يلقيهم مِن روح أُنسـه وإتحافــه . فطائـفة يحضرهم بلطفـه ، وطائـفة يـسكرهم بِكَـشْفـه . فمَـنْ أحـضره بَـسَطـه ، ومَنْ أَسْكَـره أَخَـذَه عمّـا نيـط بـه واستلبـه .

والحقائـق إذا اصطلحت على القلوب لا تُبقـي ولا تَـذَر ، والمعـاني إذا استولت على الأسرار فلا عين ولا أثـر .

وأنَّ للعلوم على القلوب مطالب ، وللحقائــق سـلطان يغلـب أقـسام المـراتب . فالحـال تـؤذن حتى ليس الأقـرب ، والحقائـق تـبرز نَـعْــتَ الصمديـة حتى لا قـرب .

واعلـم أنَّ العابـدين شـهدوا أفـضالـه فبـدّلوا نفوسـهم ، والعـارفين شهدوا جلالـه فبذلوا لـه قلـوبهم ، والمحبـين شـهدوا جمالـه فبـذلوا لـه

أرواحهم . بل مَنْ كان له علم اليقين وَجَدَ أفضاله ، ومَنْ له عين اليقين شهد جلاله ، ومَن له حق اليقين شهد جماله .

واعلم أنَّ الله ﷻ جعل تَقَلُّبَ قلوب العابدين بين شهود صوابه وأفضاله وشهود عذابه وأنكاله ، فإذا فكّروا في أفضاله ازدادت رغبتهم ، وإذا فكّروا في عذابه وأنكاله ازدادت رهبتهم .

وأنه جعل تنزّه أسرار العارفين في شهود جلاله وجماله ، فإذا كوشفوا بِنَعْتِ الجلال فأحوالهم طمس في طمس ، وإذا كوشفوا بوصف الجمال فأحوالهم أُنس في أُنس .

* * * * *

الكريم

(**الكريـم**) الـمُتَـفَـضِّل الـمُعْطـي مِـنْ غـير سـؤال ولا عِـوَض ، اللّـطيف في العتـاب ، والـمُقَـدّس عـن النـقائـص ، وكـريم الفِعـال والخِـلال سبحانـه .

فهو في الأكـثر صفـة فِعْـل .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى : الكريم هو الذي إذا قـدر عــفا ، وإذا وعد وفّـى ، وإذا أعطى زاد على منـتهى الرجـاء ، ولا يبــالي كـم أعطى ولِـمَنْ أعطـى ، وإنْ رُفِـعَتْ حاجـة إلى غـيره لا يـرضى ، وإذا جُـفِـي عاتَـبَ وما استـقصى ، ولا يضيع مَنْ لاذ بـه والتجـأ ، ويُغْـنـيـه عن الوسائـل والشـفعاء . فمَـنِ اجـتمع لـه جميـع ذلـك لا بالتكلّــف فهو الكريم المطلـق ، وذلك الله ﷻ فقط .

وقيـل : الكريم الذي لا يبخل ، رفيع القدر عظيم الشأن ، حليم يحـب العفو ويكره العقوبـة ويكـثر الجـزاء .

قال ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ (١) .

وذاكره يَرى مِنْ كرم الله ما يلهج قلبه بالشكر ، ولسانه بالحمد ، وتحسن أخلاقه .

وقال الجنيد : الكريم الذي لا يحوجك إلى وسيلة .

وقال الحارث المحاسبي : الكريم الذي لايبالي بما أعطى ولا لِمَنْ أعطى ، ويقال : الكريم لا يُخَيِّب رجاء المُؤَمِّلين .

وقيل : الكريم الذي لا يضيع مَنْ توسّل به ، ولا يترك مَنِ التجأ إليه ، ويحفظ حقوق خدمة الذين ماتوا .

((تنبيه)) : هذه الخصال قد يتحمّل العبد في اكتسابها ولكن في بعض الأمور ومع نوعٍ مِنَ التكلّف ؛ فلذلك قد يوصف بالكريم ولكنه ناقص بالإضافة إلى الكريم المطلق .

وكيف لا يوصف به العبد وقد قال رسول الله ﷺ : " لا يقولنّ أحدكم للعنب الكَرْم ، إنما الكَرم الرجل المسلم " (٢) ؟

* * * * *

---

(١) : سورة الانفطار .

(٢) : رواه مسلم واللفظ له ، والبخاري في الأدب ، وأبو داود ، والنسائي ، وأحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه ، والدارمي في سننه ، ومعمر بن راشد في الجامع ، والبيهقي ، وأبو يعلى ، والطبراني ... وآخرون .

الرقيب

(**الرّقيب**) الذي يراقب الأشياء ويلاحظها ، فلا يغيب عنه مثقال ذرة في الكائنات ، وفي الملك والملكوت والجبروت .

وهو مُسَيّر للخلق ، يَسمع كل خلقه دون أنْ يشغله سمع عن سمع ، ويسمع كل دابة وإنْ كانت في أعماق أعماق الأرضين ، وفي البحار والقفار وفي السماوات سبحانه عن النقائص .

وقيل : الرقيب الذي لا يغفل ولا ينام ، أحاط بصرُه بكل شيء أدنى حفيظ وأقرب شهيد .

وذاكره يكون مِن أهل الإحسان والحضور في حضرة الحق ﷻ ، ويتولّى الله حفظه وحفظ أهله حفظَ إكرامٍ وعناية ، ويهديه إلى ضالّته .

حُكِيَ أنَّ ابن عمر مرّ بغلام يرعى غنماً فقال : بِعْني شاة ، فقال : إنها ليست لي ، فقال ابن عمر : قُلْ أكلها الذئب ، فقال الغلام : فأين

الله ؟ فاشتراه ابن عمر واشترى تلك الغنم ، وأعتقه ووهبه تلك الغنم . وكان ابن عمر يقول مدة طويلة : قال ذلك العبد : فأين الله ؟

فصاحب المراقبة يدع مِنَ المخالفات استحياء منه وهيبة له أكثر مِمّا يتركه مَنْ يدع المعاصي لخوف عقوبته .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ (١) ؟

وإنَّ مَنْ راعى قلبه عدّ مع الله أنفاسه ، ولا يضيّع مع الله نَفَساً ، ولا يخلو عن طاعته لحظة ، كيف وقد علم أنَّ الله سبحانه يحاسبه على ما قلّ وجلّ ؟

حُكِيَ عن بعضهم أنه كان يشتري في كل سنة مِنَ الشعير بيسير مِنَ الفلوس ، وكان يتقوّت به طول سنة ، فلمّا مات رُفِعَتْ جنازته بالغداة ، فلم يفرغوا مِنْ دفنه إلّا قبل العشاء لكثرة الزحام ، فرئي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وأحسن إليّ كثيراً ، إلّا أنه حاسبني حتى طالبني بيومٍ كنتُ صائماً ، فكنتُ قاعداً على حانوت صديق لي حنّاط ، فلمّا كان وقت الإفطار أخذتُ حنطة مِن حانوته فكسرتها نصفين ، ثم ذكرتُ أنها ليست لي فألقيتها على حنطته ، فأَخَذَ مِن حسناتي قيمة ما نقص مِن تلك الحنطة بالكسر .

---

(١) : سورة العلق .

وإنَّ مَنْ تحـقّق ذلـك لم يُـرْخِ عنانـه في البطالـة ، ولا يـضيّع عمـره في الجهالـة ، ولم يمحـق في الغفلات وقتـه ، ولكن يَـصِل بالطاعـات ليلـه بنهاره ، ويبذل غاية جهده وكنـه استطاعتـه في أوقاتـه .

يُحكى عن سلمـان الفارسي أنه كان إذا جنّ عليه الليـل أخـذ يـصلي ، فإذا عيـي ذَكَـرَ الله بلسانه بفنون التسبّح ، فإذا عيـي أخـذ يبكـي ، فـإذا عيـي فكّـر في جلالـه وعظمتـه ، ثم يقـول لنفـسه : اسـترحتِ فقـومي فصَلّي ، فإذا صلّى زمانـاً قال للـسانـه : اسـترحتَ ، فأخـذ في التـسبيح . فإذا ذَكَـرَ زمانـاً قال لعينـه : استرحتِ ، فأَخَـذَ في البكـاء ... عـلى هـذا الوصف كان يقطع طول ليلـه .

وقيل للحسن البصري : إنَّ بالبصرة شابـاً لا يحضر مجلسك ! فقال لـه الحسن : لِـمَ لا تحضر مجلسي ؟ فقـال : أنـا أنـوي كـل ليلـة أنْ أَحـضر مجلسك ، فإذا أصبحتُ استقبلنـي قوله تعالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [1] ، فـأُفكّـر في ذلك كيـف يكـون حـالي ؟ ثـم يـستقبلني قولـه تعـالى : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [2] ، فأُفكّـر في ضيق القـبر كيـف يكـون فيـه حـالي ؟ ثـم

[1] : سـورة السجـدة .
[2] : سـورة الـمؤمنـون .

يستقبلني قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ ﴾[1] ، فأُفكّر في القيامة كيف يكون حالي ؟ ثم يستقبلني قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2] ، فأُفكّر في أيِّ الفريقين أكون ؟ فيفوتني حضور مجلسك . فصاح الحسن صيحة ثم قال : إنَّ الحسن يحتاج أنْ يحضر مجلسك .

* * * * *

(١) : سورة ق .

(٢) : سورة هود .

المجيب

(**الـمُجـيب**) يجيب الداعي إذا دعـاه .

قال تعالى : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ (١) .

قال أبو حامد الغزالي : الـمجيب هـو الـذي يقابِـل مـسألـة الـسائل بالإسعاف ، ودعاءَ الدّاعين بالإجابـة ، وضرورةَ المضطرين بالكفايــة ، بل يُـنْعِم قبل النـداء ، ويتـفضّل قبـل الدعـاء .

وليس ذلك إلّا الله عزّ وعلا ، فإنه يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم ، وقد عَـلِمها في الأزل فدبّـر أسـباب كفايـة الحاجـات بِخَلْـق الأطعمـة والأقوات ، وتيسـير الأسباب والآلات الموصلـة إلى جميع المهمـات .

وقال بعضهم : المجيب الذي يقدر على إجابة جميع مطالـب الطـالبين ، ولا يـسأم دعــاء الـدّاعين ، ويجــيب دعــاء المـضطرين إذا التجـؤوا

---

(١) : سـورة غـافـر ، الآيـة ٦٠ .

بالاضطرار أو يئسوا مِنَ المخلوقين ، وتُنال لديه الرغائب ، يُعطي عطاء العليم بما ينفع سائله .

وذاكره يكون مِنَ المتوكّلين ، ومِن أهل الأدب عند سؤال الحق ﷻ فلا يردّ له دعاء ، وينتفع الناس بقضاء حوائجهم على يديه فيزداد ثوابه وتكثر أحبابه ، ويرى كرامة مِن ربه .

وقال القشيري : المجيب اسم مِن أسمائه تعالى ، قال جلّ ذِكْره : ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1] . ومعنى المجيب في وصفه أنْ يجيب دعوة الدّاعين ، ويكشف ضرورة المتوسّلين .

و مِن خصائص لطفه أنْ يعطي قبل السؤال ، ويُحقّق مراد عبده بعد سؤاله بجميل النوال .

وفي الخبر أنَّ الله تعالى يستحي أنْ يردّ يد عبده صفراً ، وأنه سبحانه إذا أحضر لأوليائه حاجتهم بباهم يُحقّق لهم مرادهم قبل أنْ يذكروا بألسنتهم ، وربما يضيق عليهم الحال حتى إذا يئسوا وظنوا أنه لا يجيبهم تداركهم بِحُسْن إيجاده وجميل إمداده .

يُحكى عن عطاء الأزرق أنه دفع إليه أهله درهمين وقالوا له : اشْتَرِ لنا دقيقاً ، فرأى مملوكاً يبكي فسأله عن حاله ، فقال : إنَّ مولاي دفع

(١) : سورة البقرة ، الآية ١٨٦ .

إلـيّ درهمين لأشتري له شيئاً فسقطا منـي . فدفع إليه عطـاء الـدرهمين ومضى يُصلّي إلى قرب المسـاء ، ينـتظر شيئاً يُـفتح له فلم يفتح له بشيء ، فقعد على حانوت صديق له نشار وذَكَـرَ لـه حالـه ، وكان الرجل فقـيراً فقال : خُذْ مِن هذه النشارة شيئـاً لعلّـكم تحتاجون إليهـا تـسجرون بهـا التـنور ، إذ ليس لي شيء أُواسيك بـه . فأخذ ذلك في جرابـه ورجـع إلى بيتـه ، وفتح الباب وطرح الجراب في الـدار ، ومـضى إلى المـسجد حتـى صلّى العشاء الأخيرة ومضى صدر مِنَ الليل ؛ رجاء أنْ يكـون أهلـه قـد ناموا لئـلّا يخاصموه ، فلمّـا دخل الدار رآهم يخبزون الخبـز فقـال : مِـنْ أين لكم الدقـيق ؟ قالوا : مِنَ الذي حملتـه في الجراب ، ولا تـشتري لنـا الدقيق إلّا مِن عند هذا الرجل .

((ملاحظـة)) : وربمـا يجـتهد الرجل في تحصيل شيء لبعض الأوليـاء فلا يتّـفق ذلـك ، ثـم يكفـي الله تعـالى ذلـك مِـنْ وجـه آخـر ؛ ليعـرف أنه مُـتَـوَلّـي أمور أوليائـه بنفسه ولا يكـل ذلـك إلى غـيره ؛ لـيعلم أنـه لا يـذلّ أوليـاءه .

حُكِـيَ عن الخـوّاص أنه قال : كنتُ في مـسجد فرأيـتُ فقـيراً ساكنـاً ثلاثة أيام لم يتحـرّك ولم يطعم ولم يشرب ، وكنت أرقبــه وأصـبر معـه ، قال : فعجبتُ منـه ، فتـقدّمتُ إليـه وقلـت لـه : مـا تـشتـهي ؟ فقـال :

خبزاً حاراً ومصليـة . قال : فخرجتُ وتكلّفتُ طول نهاري كي أحصل ما قال فلم يتّـفق . قال : فعدتُ إلى المسجد فأغلقت الباب ، فلمّـا كـان بعد زمان مِنَ الليل دُقَّ علينا الباب ، ففتحتُ الباب فإذا أنا بإنسان معـه خبز حار ومصليـة ، فسألته عن السبب فقال : اشتـهاها علـيّ صـبياني ، فتخاصمنـا وحلفنا أنْ لا يأكل هذا إلّا أهل المسجد الفلاني .

وربمـا يحصل مِن بعض أوليائـه قـصد إليـه وإشارتــه في الظـاهر إلى الخلـق ، ويكون القصد بالتحقيـق إلى الحـق .

كمـا يُحكى عن حذيفة المرعشي أنه قال : كنتُ مع إبراهيم بن أدهـم في بعض الأسفار ، فدخلنا الكوفـة فآوينا إلى مسجد خـراب ، فنظـر إلــيّ وقال : يا حذيفة إني أرى بك الجوع ، فقلتُ : هو ما يراه الشيخ ، فقـال : علـيّ بالدواة والقرطاس ، فجئتُـه به فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، أنت المقصود إليك بكل حال ، والـمُشـار إليـه بكل معنـى :

أنـا حامـدٌ أنـا شـاكرٌ أنـا ذاكِـر ... أنا جـائع أنـا ضـائع أنـا عـاري
هي ستـة وأنا الـضمين لنـصفها ... فكُنِ الضمين لنـصفها يـا بـاري
مدحي لغيرك لهب نـار خضتُـها ... فأَجِرْ عبيـدك مِـن دخـول النـارِ

ثم دفع إلـيّ الرقعة وقال : ادْفَعْهـا إلى أول مَـنْ تلقـاه . قـال : فرأيـت شاباً حسن الوجه نظيف الثياب راكباً على بغلة ، قال : فناولتـه الرقعـة ، فنظر فيهـا وبكـى وقـال : أيـن صـاحب الرقعـة ؟ فقلـت : في المـسجد

الفلاني ، فناولني صرة فيها ستمائة دينار وقال : احملها إليه . قال : فسألت إنساناً : مَنْ صاحب هذه البغلة ؟ فقال : نصراني . قال : فعجبت منه وحملتُ الصرّة إلى إبراهيم وأعلمته بالقصة ، فقال : ضَعْها فإنه يجيء الساعة . فما لبثنا أنْ جاء الرجل وقَبَّلَ رأس الشيخ وقال : نِعْمَ ما أرشدتني ، اعرض عليّ الإسلام . فأسلم .

فلمّا كانت إشارته صحيحة حصل منه ما حصل .

((تنبيه)) : العبد ينبغي أنْ يكون مجيباً أولاً لربه تعالى فيما أمره به ونهاه ، وفيما ندبه إليه ودعاه ، ثم لعباده فيما أنعم الله عز وجل عليه بالاقتدار عليه ، وفي إسعاف كلِّ سائل بما يسأله إنْ قدر عليه ، وفي لُطْف الجواب إنْ عجز عنه .

*****

الواسع

(**الواسع**) المحيط بكل شيء علماً .

أو الجواد الذي عَمَّتْ رحمته كلَّ مؤمن وكُلَّ كافر ، وكلَّ بَرٍّ وكُلَّ فاجر .

أو الغني الكامل .

وقال بعض العارفين : الواسع هو مَنْ لا نهاية لبرهانه ، ولا غاية لسلطانه ، ولا حد لذاته وأسمائه وصفاته جلّ شأنه وعلا .

وقال الغزالي : الواسع مشتق مِنَ السعة ، والسّعة تُضاف مرة إلى العِلْم إذا اتّسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة ، وتُضاف أخرى إلى الإحسان وبَسْط النِّعَم ، وكيفما قدر وعلى أي شيء نزل .

فالواسع المطلق هو الله سبحانه وتعالى ؛ لأنه إنْ نظر إلى عِلْمه فلا ساحل لبحر معلوماته ، بل تنفذ البحار لو كانت مداداً لكلماته . ولو نظر إلى

إحسانه ونِعَمه فلا نهاية لمقدوراته. وكلُّ سعة وإنْ عظمت فتنتهي إلى طرف، والذي لا ينتهي إلى طرف فهو أحقّ باسم السعة، والله ﷻ هو الواسع المطلق؛ لأنَّ كل واسع بالإضافة إلى ما هو أوسع منه ضيّق، وكل سعة تنتهي إلى طرف فالزيادة عليه متصوّرة، وما لا نهاية له ولا طرف فلا يُتصوّر عليه زيادة.

وقال بعضهم: الواسع الذي وَسِعَ كلَّ شيء رحمة وعِلْماً، وغفر ذنوب المذنبين كرماً وحِلْماً، ولا يُنقص خزائنَه العطاءُ، ولا تنفذ كلماته، ولا حد لمعلوماته.

قال ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾ (١).

وذاكره يزداد في كل خير سعةً، ويعطى مِن فضل منحه، ويكون حليماً واسع الصدر.

وقال الإمام الرازي: واعلم أنَّ هذا الاسم مشتق مِنَ السعة، والواسع المطلق هو الله سبحانه، فهو وَسِعَ وجودُه جميع الأوقات بل قبل الأوقات لأنه موجود أزلاً وأبداً، ووَسِعَ عِلْمه جميع المعلومات فلا يشغله معلوم عن معلوم، ووسعت قدرته جميع المقدورات

(١): سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

فلا يشغلـه شـأن عن شــأن ، ووسـع سمعــه جميـع المـسموعات فـلا يشغلـه دعـاء عن دعـاء ، ووسع إحـسانـه جميـع الخلائــق فـلا يمنعـه إغاثـة ملهوف عن إغاثـة غيره .

((تنبيـه)) : سـعة العبد في معارفـه وأخلاقـه ، فإنْ كثرت علومـه فهـو واسع بقدر سعة علمـه ، وإن اتّسعت أخلاقه حتـى لم يـضيّـقها خـوفُ الفقـر وغـيظُ الحسد وغلبـةُ الحرص ... وسائر الصفات فهو واسـع . وكلُّ ذلك فهو إلى نـهايـةٍ ، وإنمـا الواسع الحـق هو الله تعالى .

* * * * *

الحكيم

(**الحكيـم**) ذو الحكمة ، وهي كمـال العلم وإحسان الفعل وإتـقانـه .

أو هو صفة مبالغـة في الحاكم .

فهو على الثـاني مرجعه للقول ، وعلى ما قبله مُـرَكّـب مِن صفــة ذات وصفـة فـعل .

قال الغزالي رحمه الله تعالى : الحكيم ذو الحكمة ، والحكمـة عبـارة عـن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، وأجـلّ الأشياء هو الله سبحانـه .

وقد سبق أنـه لا يعرف كنـه معرفتـه غـيرُه ، فهو الحكـيم الحــق لأنـه يعلم أجلّ الأشـياء بأجـلّ العلـوم ، إذ أجـلّ العلـوم هـو العلـم الأزلي الدائـم الذي لا يتـصوّر زوالـه ، الـمطابِـق للعلوم مطابقـة لا يتطـرّق إليه خـفاء ولا شـبهة ، ولا يتّصف بذلك إلّا علم الله سبحانه وتعالى .

وقد يقال لِـمَنْ يُحسن دقائـق الصناعات ويحكمهـا ويتــقن صـنعتها :

حكيـم ، وكمـال ذلك أيضاً ليس إلّا لله تعالى فهو الحكيم الحـق .

وقال بعضهم : الحكيم الـذي أنـصف في تقـديره ، وأحـسن تـدبيره ، ونـفذ حكمـه ، وعَلَتْ مشيئتـه ، وله عاقبة الأمور .

وذاكره يتفطّن للعواقب ، وينجو مِنَ المهالـك ، ويؤتى الحكمـة .

وقال الإمام الرازي : فنقول في الحكيـم وجـوه :

الأول أنـه فعيل بمعنى مُفْعِـل ، ومعنى الإحكام في حـق الله تعـالى في خَلْـق الأشـياء هو إتـقان التدبير فيها وحُسْن التقدير لها ، إذ ليس ذلـك في كل الخليقـة ، ففيها ما لا يوصف بوثاقـة البُـنْيـة كالبقّـة والنملـة ... وغيرها ، إلّا أنَّ آثـار التدبير فيها وجهـات الـدّلالات فيهـا عـلى قـدرة الصانع وعلمـه لـيس أقـل مِـن دلالـة الـسمـاوات والأرض والجبـال والبحار على عِلْم الصانع وقدرتـه .

وكذا هذا في قولـه : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[١] ، لـيس المـراد منه الحسن الرائـق في المنــظر ، فـإنَّ ذلـك مفقـود في القـرد والخنزيـر ، وإنمـا المـراد منـه حُـسْن التـدبير في وَضْـعِ كـلِّ شيء موضـعه بحـسب المصلحـة ، وهو المراد بقولـه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢ ﴾[٢] .

---

(١) : سـورة السجـدة ، الآيـة ٧ .
(٢) : سـورة الفـرقـان .

والثاني أنَّ الحكمة عبارة عن معرفة أفضل المعلومات بأفضل العلـوم ، فالحـكيم بمعنى العليـم .

أمّـا المشايخ فـقالوا : الحكيـم هو الذي يكـون مـصيبـاً في التـقديـر ، ومُـحْسِنـاً في التـدبـير .

وقيل : الحكيم الذي ليس له أغراض ، ولا على فِعْلـه اعـتراض .

((تنبيـه)) : أمّـا حظ العبد فقـالوا : الحكمـة عبـارة عـن معرفـة الحـق لذاتـه ، والخير لأجل العمـل بــه . والعبـد وإنْ كـان قليـل الحـظ مِـنَ العلوم ومـن القـدر ، فـتلك العلّـة إنمـا تظهـر بالنـسبة إلى عِلْـم الله وقدرتـه ، وبالنسبـة إلى علم الملائكة وقدرتهم ، إلّا أنَّ الذي حصل منـه البشر فهو عظيم الخطـر .

والذي يدل عليـه أنَّ الله عظّمـــه فقـال : ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [1] .

وطلب إبراهيم عليه السلام ذلك فقال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا ﴾ [2] .

ومدح الله داود عليه السلام به فقال: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾ [3] .

---

(1) : سـورة البقـرة ، الآيـة ٢٦٩ .

(2) : سـورة الشعـراء ، الآيـة ٨٣ .

(3) : سـورة ص .

قالت الحكماء : الحكمة هو العلم ، والعلم إمّا أنْ يكون علماً بما لا يكون وجودُه باختيارنا وفعلنا وهو الحكمة النظرية ، أو بما يكون وجوده باختيارنا وفعلنا وهو الحكمة العملية .

أمّا الحكمة النظرية فهي إمّا أنْ تكون وسيلة ، أو مقصودة بالذات .

أمّا الوسيلة فهي عِلْم المنطق ، وحاصله يرجع إلى إعداد الآلات التي بها يتمكّن الإنسان مِن اقتناص التصوّرات والتصديقات المحمولة على وجهٍ لا يقع في الغلط إلّا نادراً .

وأمّا المقصود فاعلم أنَّ الأشياء على ثلاثة أقسام : إمّا أنْ يجب كونها في مادة ، أو يجب أنْ لا تكون في مادة ، أو يجوز كِلا الأمرين فيه .

أمّا الذي يجب أنْ يكون في مادة : فإمّا أنْ يجب أنْ يكون في مادة معيّنة ، والعلم الباحث عن هذا القسم مِنَ الموجودات يُسمّى بالعلم الطبيعي . وإمّا أنْ لا يجب أنْ يكون في مادة معينة ، بل كان يجب أنْ يكون في مادةٍ ما ، فالعلم الباحث عن هذا القسم مِنَ الموجودات يُسمّى بالعلم الرياضي .

وأمّا القسم الثاني وهو الذي يجب أنْ لا يكون في المادة أصلاً ، فالعلم الباحث عن هذا القسم مِنَ الموجودات هو المسمّى بالعلم الإلهي .

وأمّا القسم الثالث وهو الذي قد يكون في مادة وقد لا يكون ، فالعلم الباحث عن هذا القسم هو المسمّى بالعلم الكلي ، وهو كالعلم بالوحدة

والكـثرة ، والعليّـة والمعلوليـة ، والتمـام والنقصان .

فهذا مجـموع أقسـام الحكمة النظريـة .

أمّـا الحكمة العمليـة فهـي إمّـا أنْ تكـون بحـثاً عـن أحـوال نَـفْس الإنسان مع بدنـه الخـاص بـه ، وهـذا يُـسمّى علـم الأخـلاق . أو عـن أحوال نفسـه مع أهل منزلـه ، وهذا يسمّى علم تـدبير المنـزل . أو عـن أحوال نفسه مع أهل العالَـم ، وهذا يسمّى علم السياسـة .

فهذا هو الإشـارة إلى أقسـام العلوم الحكميـة .

فمَنْ عرف هـذه الأقـسـام ثـم عمـل بقـوانين العلـوم العمليــة كـان حكيمـاً مطلقـاً .

((ملاحظـة)) : مَنْ عرف جميع الأشــياء ولم يعـرف الله ﷿ لم يـستحق أنْ يُسمّى حكيمـاً ؛ لأنه لم يعرف أجـلّ الأشــياء وأفـضلها ، والحكمـة أجلّ العلوم ، وجلالـة العلم بقدر جلالـة المعلوم ، ولا أجلّ مِنَ الله﷿ .

ومَنْ عرف الله تعالى فهو حكيم وإنْ كان ضعيف المِنّـة في سائر العلـوم الرسمية ، كليـل اللسان قاصر البيان فيهـا ، إلّا أنَّ نـسبـة حكمـة العبـد إلى حكمة الله تعالى كنسبة معرفتــه إلى معرفتــه بذاتــه ، وشتّــان بـين المعرفـتين فشتّـان بين الحكمتـين ، ولكنه مـع بعـده عنــه فهـو أنــفس المعارف وأكـثرها خـيراً .

نعم ، مَنْ عرف الله كان كلامه مخالـفاً لكلام غيره ، فإنه قلّمـا يتعرّض للجزئيات بل تكون كلمـاته كليـة ، ولا يتعـرّض لمصالح العاجلـة بـل يتعرّض لِـمـا ينـفع مِنَ العاقبـة .

ولَـمّـا كان ذلك أظهر عند الناس مِن أحوال الحكيم مِنْ معرفتـه بـالله ﷻ ، ربمـا أَطلق النـاس اسم الحكمة على مِثْـل تلك الكلمـات الكلية ، ويقال للنـاطق بـها : حكيـم .

وذلك مِثْـل قول سـيّد البشر صلوات الرحمن وسـلامه عليـه : " رأس الحكمـة مخـافـة الله ﷻ " (١) .

وقولـه عليه الصلاة والسلام : " الكَـيِّس مَنْ دان نفسـه وعمل لِـمـا بعد المـوت ، والعاجز مَنْ أَتْـبَعَ نفسـه هواهـا وتمنّـى على الله " (٢) .

وقولـه ﷺ : " ما قَـلَّ وكفـى خـيرٌ مِـمّـا كَـثُـرَ وأَلهـى " (٣) .

وقولـه ﷺ : " مَنْ أصبح معافى في بدنـه ، آمنـاً في سِرْبـه ، عنـده قـوت

---

(١) : رواه البيهقي في الشعب .

(٢) : رواه الترمذي وحسّنه ، وابن ماجة ، وأحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي ، والطيالسي في مسنده ، والبزار ، والطبراني ، وأبو نعيم في الحليـة .

(٣) : طرف مـن حـديث روي عـن عـدد مـن الـصحابة ، رواه أحمـد في مـسنده ، والحاكم في المستدرك ، وابن حبان في صحيحه ، والطيالسي ، وابن أبي شـيبة ، وأبو يعلى ، والبيهقي ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر في تاريخـه .

يومـه ، فكأنمـا حِـيزَتْ له الدنيـا " [١] .

وقولـه ﷺ : " كُنْ ورعاً تكن أعبد النـاس ، وكُـنْ قَنِـعاً تكـن أشـكر الناس " [٢] .

وقولـه ﷺ : " البـلاء مُـوَكَّـلٌ بالمنطـق " [٣] .

وقولـه ﷺ : " مِنْ حُسْن إسـلام المـرء تركـه ما لا يعنيـه " [٤] .

وقولـه ﷺ : " السـعيد مَنْ وُعِـظَ بغـيره " [٥] .

وقولـه ﷺ : " الصمتُ حِكَـمٌ وقليـلٌ فاعلـه " [٦] .

وقولـه ﷺ : " القنـاعة مـال لا ينـفد " [٧] .

---

[١] : رواه ابن حبان في صحيحه ، والبيهقي في الـشعب ، والطـبراني ، والقـضاعي في الشهاب ، والذهبي ، وأبو نعيم في الحليـة ، وابن عساكر في تاريخـه .

[٢] : رواه ابن ماجة ، والبيهقي في الشعب ، والطـبراني في مـسنده ، وأبـو نعـيم في الحليـة، والقضاعي في الشهاب ، والرافعي في التدوين، والخرائطي في المـكارم .

[٣] : رواه ابن أبي الدنيـا ، والقضاعي في الشهاب ، والشوكاني في الفوائـد .

[٤] : رواه الترمذي ، وابن ماجة ، وأحمد في مسنده ، ومالك في الموطأ ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي ، والطبراني ، والقضاعي في الشهاب ... وآخرون .

[٥] : طرف من حديث رواه البيهقي في المدخل ، والطبراني في الكبير ، والقـضاعي في الشهاب ، وابن أبي عاصم في السنة ، والشوكاني في الفوائـد .

[٦] : رواه البيهقي في الشعب ، والقضاعي في الشهاب .

[٧] : رواه البيهقي في الزهد ، والطبراني في الأوسط ، والقضاعي في الشهاب .

وقولـه ﷺ : " الصبر نصف الإيمـان ، اليقـين الإيمـان كلـه " (١) .

فهذه الكلمـات وأمثـالها تُسمّى حكمـة ، وصاحبها يُسمّى حكيمـاً .

* * * * *

(١) : رواه البيهقي في الشعب ، والقضاعي في الشهاب ، وابن الأعرابي في معجمـه ، وأبو نعيم في الحليـة ، والخطيب في تاريخـه .

الوَدود

(**الوَدود**) مبالغـة في الودّ ، أي الذي يحب الخـير لكل خلقه ، ويُحسن إليهم في كل الأحوال ، ولا سيّمـا أوليـاؤه .

فهو مِن صفات الذات والأفـعال .

وقيـل : الودود كـثير الودّ لعباده ، يحـب مَـنْ تـقـرّب إليـه ، ويُـدْني الطامعين في قربـه . وذاكره يزداد في محبة الله ، وفي فِعْل ما يُـقـرّبـه منـه ، وتَـرْك ما يغضبـه ؛ لذلك يحبـه مَنْ رآه بجاذبيـة الحـق ﷻ .

وقال القشيري : الودود اسم مِـن أسمــائه تعـالى ، قـال جـلّ قـدره : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ (١) .

وفي معنـاه قولان : أحدهما أنه فعـول بمعنـى المبالغــة مِـنَ الفاعـل ، وقيـل : إنه فِعـل بمعنى مفعـول .

---

(١) : سـورة البـروج .

فمعنى الودود في وصفه تعالى أنه يودّ المؤمنين ويودّونه .

قال الله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾(٢) ، قيل : سيخلق في قلوبهم ودّاً لله .

فأمّا معنى المحبة في صفة الحق سبحانه لأَوُدّائه ، فتكون بمعنى رحمته عليهم وإحسانه إليهم .

فإذا كانت بمعنى الرحمة والإرادة والمدح لهم كان مِنْ صفات ذاته ، ولم يزل الله تعالى مُحِبّاً لأوليائه ولا يزال محبّاً لهم . وإنْ كان بمعنى الإنعام والإحسان كانت مِن صفات الفعل .

وأمّا محبة العبد لله فتكون بمعنى لزوم طاعته وموافقته لِأَمْره ، وتكون بمعنى تعظيمه له وهيبته منه . فكلُّ مَنْ كان أكثر طاعة له وأشدّ تعظيماً كان أكثر محبة ، ومَنْ كان عاصياً لأمره ومخالفاً له كان بعيداً مِن محبته .

<u>((ملاحظة))</u> : الودود مِنْ عباد الله مَنْ يريد لِخَلْق الله كلَّ ما يريده لنفسه ، وأعلى مِنْ ذلك مَنْ يؤثرهم على نفسه ، كمَنْ قال منهم : أريد

---

(١) : سورة المائدة ، الآية ٥٤ .

(٢) : سورة مريم .

أنْ أكون جسراً على النـار يَـعْبر علـيّ الخلـق ولا يتـأذّون بها .

وكمـال ذلك أنْ لا يمنعـه عن الإيثـار والإحسان الغـضبُ والحقـد وما نالـه مِنَ الأذى ، كمـا قـال رسـول الله ﷺ حيـث كُـسِرَتْ رباعيتـه وأُدْمِـيَ وجهـه وضُرِب : " اللّهم اهْـدِ قومي فإنهم لا يعلمـون " . فلـم يمنعـه سـوء صنيعهم عن إرادتـه الخـير لهم .

وكمـا أَمَـرَ ﷺ عليـاً رضي الله عنه حيـث قـال : " إنْ أردتَ أنْ تـسبق المقربـين فَصِلْ مَنْ قَطَـعك ، وأَعْـطِ مَنْ حَـرَمك ، واعْفُ عمَّنْ ظـلمك " [1] .

*****

[1]: ذكره الغزالي في كتابه (المقصد الأسنى في شرح الأسمـاء الحسنى) ولم يخرجه .
وروي نحوه مِنْ حديث عقبة بن عامر الجهني أنَّ النبي ﷺ قال له : " يا عقبـة ألا أُخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة ؟ تَصِلُ مَـنْ قطعـك ، وتُعطـي مَن حرمك ، وتعفو عمّن ظلمك " .
ومِن هذا الطريق رواه أحمد في مـسنده ، والحـاكم في المـستدرك ، والبيهقـي في الشعب ، والروياني في مسنده ، والطبراني في الكبـير ، وأبـو نعـيم في المعرفـة ، وابن أبي الدنيا في المكارم ، وابن عساكر في تاريخـه .

المَجِيد

(**المَجيد**) الماجد البالغ في المجد والشرف .

أو الرفيع العظيم القدر .

أو الذي يجزل في العطاء .

فهو صفة تنزيه ، أو صفة فعل .

قال الإمام القشيري : المجيد في وَصْفه سبحانه قيل : بمعنى العظيم الرفيع القدر ، ويقال : معناه الجميل العطاء .

فإنْ قيل : إنَّ المجيد بمعنى جليل القدر ، فهو فعيل مبالغة مِنَ الفاعل . وإذا قيل : إنه بمعنى جزيل العطايا ، فهو فعيل بمعنى مُفْعِل ، كأنه أمجد عباده أي أكثر عطاءهم ، فهو مجيد .

وكلُّ وَصْفٍ مِن أوصافه يحتمل معنيين ، فمَنْ أثنى عليه بذلك الوصف فقد أتى بالمعنيين جميعاً ، وكلُّ مَنْ قال له : مجيد فقد وَصَفَه

بأنه عظيم رفيع القدر ، وأنه محسن جزل البر ، والله تعالى يحسن إلى عباده ويفيض عليهم سنا نواله .

ومِن وجوه إحسانه إليهم الذي يخفى على أكثر الخلق حفظه عليهم قلوبهم ، وتصفيته لهم أقواتهم وأوقاتهم . فإنَّ النعمة العظمى نعمة القلوب ، كما أنَّ المحنة الكبرى محنة القلوب .

يُحكى عن بعضهم أنه قال : رأيتُ رجلاً يطوف بالبيت وهو يقول : واوحشاه بعد الأُنس ، وإذلاله بعد العِزّ ، وإفقاره بعد الغنى ! قال : فقلتُ له : أَذَهَبَ لك مالٌ أم أصابتك مصيبة ؟ قال : لا ، ولكني كان لي قلب ففقدتُه .

وإنَّ الحق سبحانه إذا أراد أنْ يتحف عبداً أغناه بلا مال ، وكفاه بلا احتيال ، وأعزّه مِن غير رهط وأشكال ، يُعافيه إذا مرض مِنْ غير علاج ، ويحميه في عمره مِن غير فاقة واحتياج .

ومِن أعظم ما ينعم الله على عباده حفظه عليهم توحيدهم ودينهم حتى لا يبدّلوا ولا يزيّفوا ، إذ لولا لطفه وإحسانه لضلّوا وارتدّوا .

* * * * *

الباعث

(**البــاعث**) البــاعث الرسـل للأُمــم ، وباعـث الهِمَـم للترقّـي في ساحات التـوحيد .

أو باعث الخلـق مِنَ القبور يوم القيامـة .

فهو مِن صفات الأفـعال .

قال الإمام الغزالي : الباعـث هـو الـذي يُحيــي الخلـق يـوم النـشور ، ويبعث مَنْ في القبور ، ويحصّل ما في الصدور .

والبعث هو النشـأة الآخرة ، ومعرفة هذا الاسم موقوفـة عـلى معرفـة حقيقـة البعث ، وذلك مِن أغمض المـعارف .

وقال بعضهم : الباعث الذي بيـده الأمـر ، ويبعـث الرسـل مبـشّرين ومنـذرين ، ويبعث الخلـق ليوم القيـامة ، ويبعث في الأجساد الأرواح ، وفي الأكوان الحركة والحيـاة .

وذاكره يكون مرابطاً في سبيل الله ، راضياً بقضائـه ، ويرزقه الله العلـم والحكمة وعلـو الهِمّـة .

وقال القشيري: معنى هذا الاسم أنه باعث الخلـق يوم القيامة ، يقـال: بَعَثَ الله الموتى إذا أحيـاهم ، قـال الله تعـالى : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧ ﴾(١) .

وقيل : إنـه باعث الرسل ، قـال الله تعـالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ ﴾(٢) .

والله تعالى قـادر على بَعْثِ الخلـق ، وحَشْر الخلـق يوم النـشور .

ومَنْ تحقّـق ذلك وعَلِمَ أنَّ بين يديه يوماً هـو يـوم الحـساب والعتـاب والثواب والعقاب ، فبالحري أنْ يتصفّح أحوالـه ويُـفتّـش أعمالـه ، ولا يفعل ما يُـقاسي عليه ندمـاً أو يجـد بسببـه ألـمـاً .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾(٣) .

يُحكى عن الربيع بن خيـثم أنـه قـال : مـررتُ بمكتـبٍ فرأيـتُ صـبياً يبكي ، فقلتُ : مِـمَّ تبكي ؟ فقال : غداً يوم الخميس أحتـاج أنْ أعـرض الدرس على المعلّـم ولستُ أحفظ ، فقلتُ : كيف بي إذا كان يوم القيامـة

(١) : سـورة الحـج .
(٢) : سـورة يـونـس ، الآيـة ٧٤ .
(٣) : سـورة البقـرة ، الآيـة ٢٨١ .

وأُحاسَب على ما أسلفتُ ؟!

ويُحكى عن أبي الحرث الأوسي أنه قال : كنتُ قاعداً في بيتي فدَقَّتْ عليّ جاريةٌ الباب ، فقلتُ : مَنْ ؟ فقالت : جارية تسترشد الطريق ، فقلتُ : طريق الهرب أم طريق النجاة ؟ فقالت : يا بطال أَوَ إلى الهرب طريق ؟ ثم قالت : اقرأ عليّ شيئاً مِنَ القرآن ، فجرى على لساني : ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ (١) ، فصاحت وخرج روحها ، فإذا عليها مسح مِن شعر ، فوُجِدَ في جيبها رقعة مكتوب فيها : إذا مِتُّ فادفنوني فيها ، فإنْ كان لي ثم قبول أَبْدَلَها الله سندساً وحريراً ، وإنْ لم يكن فسحقاً وبُعْداً .

وقد يغلب على العبد الرجاء في بعض الأحوال فيؤمّل مِنَ الله جميل عفوه ، ويَرجوه حُسْنَ فضله .

يُحكى أنَّ الشبلي كان جالساً ، فدخل عليه إنسان وقال : يا أبا بكر ، مَنْ يحاسبنا ؟ فقال : الله ، فأخذ الرجل يتواجد ويزعق ، فقيل له في ذلك فقال : الكريم إذا قدر عفا .

ورُوِيَ أنَّ أبا هريرة قال للحسن بن علي ﷺ : العجب مِن هذا الخلق كيف ينجو أحدهم مع كثرة زلّاتهم؟! فقال الحسن: العجب مِمَّنْ يهلك

---

(١) : سورة المزمل .

منهم مع سعة رحمة الله ! فقال أبو هريرة : الله يعلم حيث يجعل رسالته .

وقيل : إنَّ رجلاً مِنَ الصالحين رؤي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقيل له : بماذا ؟ فقال : ها هنا يعامِلون بالجود لا بالركوع والسجود ، ويُعطون بالمِنّة لا بالخدمة ، ويغفرون بالفضل لا بالفعل .

ويكون معنى الباعث في وَصْفه تعالى أنه يتبعّث الخواطر الخفية في الأسرار ، فمِنْ دواعٍ يبعثها إلى الحسنات ، ومِنْ دواعٍ يبعثها إلى السيئات . ومِنْ مُوَفَّقٍ لا لاستحقاق طَلَبٍ ، ومِن مخذول لا لعلّة وسبب . خَتَمَ الله تعالى لنا بالجميل إنه على ما يشاء قدير .

<u>((ملاحظة))</u> : حقيقة البعث ترجع إلى إحياء الموتى بإنشائهم نشأة أخرى ، والجهل هو الموت الأكبر ، والعلم هو الحياة الأشرف ، وقد ذكر الله ﷻ العلم والجهل في كتابه العزيز وسمّاهما حياة وموتاً .

ومَنْ رقّى غيره مِنَ الجهل إلى المعرفة فقد أنشأه نشأة أخرى ، وأحياه حياة طيبة . فإنْ كان للعبد مدخل في إفادة الخلق العلمَ ودعائهم إلى الله تعالى ، فذلك نوع مِنَ الإحياء ، وهي رتبة الأنبياء ومَنْ يَرِثهم مِنَ العلماء .

*****

الشهيد

(**الشـهيـد**) مِنَ الشهود والحضور ، أي العالِم بكل مخلوق ، الحاضر معه في كل مكان وزمـان .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[1] .

وعندما سُئِلَ سيد الطائـفة الجنيد عن الـمَعِيّـة قال : إنه معنـا بـدون ملاصقـة .

فهو أقرب إلينـا مِن حبل الوريد ، وأقرب إلينـا منـا إلى أنفـسنا ولكـن بدون ملاصقـة .

أو هو مَنْ يـشهد على خلقـه يوم القيامـة .

فمرجعـه على الثـاني للقول ، وعلى الأول للعِلْـم .

وقال القشيري : الشهيد اسم مِن أسمـائه تعالى ومعناه العليـم .

---

[1]) : سـورة الـحديـد ، الآيـة ٤ .

قال الله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[1] ، قيـل : عَـلِمَ الله أنه لا إلـه إلّا هـو .

ويكون الشـهيد هو الحاضر ، وحضوره سبحانه يكـون بمعنـى عِلْمـه ورؤيتـه ، وقدرتـه على الشيء ، وأنه لا يخـفى عليه خافيـة .

ويكون الشهيد مبالغـة مِنَ الشاهد ، والله تعالى شاهد على الخلـق غداً .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾[2] .

وقيل : الشهيد الذي يـرى أفعـال خلقـه ويعلـم سِرّهـم ونجـواهم ، ولا يمكن الاسـتخفاء منــه ، ولا تـضيع الـشهادة عنـده ، ولـه الحجـة البالغة على خلقـه .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[3] ؟

وذاكره يخشى ربَّـه في السِرّ والعلـن ، ويُـخلـص في عملـه لوجـه الله تعالى ، ويكون مِن أهـل المعرفـة .

وقال أبو حامد الغزالي : الشهيد يرجع معناه إلى العلـم مـع خـصوصِ إضافـةٍ ، فإنَّ الله عز وجل عالـم الغيب والشهادة ، والغيب عبارة عمّـا بطـن ،

---

[1] : سـورة آل عمـران ، الآيـة ١٨ .

[2] : سـورة الأنـعـام ، الآيـة ١٩ .

[3] : سـورة فصـلت .

والشهادة عمّا ظهر ، وهو الذي يشاهد .

فإذا اعتُبر العلم مطلقاً فهو العليم ، وإذا أُضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير ، وإذا أُضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد .

وقد يُعتبر مع هذا أنْ يَشهد على الخلق يوم القيامة بما عَلِمَ وشاهد منهم .

والكلام في هذا الاسم يقرب مِنَ الكلام في العليم والخبير فلا نعيده[1] .

* * * * *

(1) : انظر العليم ص ٧٣ – ٧٨ ، والخبير ص ١٢٨ – ١٣٠ .

الحق

(**الـحَـقُّ**) الثـابت الذي لا يتحـوّل .

أو الـمُظْهِـر للحـق .

أو الـموجِـد للشيء كمـا تقتـضيـه الحكمـة .

فهو صفـة ذات على الأول ، وصفـة فعـل على مـا بعده .

وقيـل : الحـق الثـابت الـذي لا يـزول ، واجـب الوجـود لذاتـه ، ولا وجود للحوادث إلّا بـه ، ولا معبود بحـقٍّ إلّا هـو .

قـال سبحانه وتعالى : ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ** (٣٠) ﴾[١] .

وهو مِن صفات الذات ، وذاكره يكون مِنْ أهل التوحيـد ، وهـو مِـنْ أسـرع الأسمـاء في الفـتح والتجلّـي .

---

(١) : سـورة لـقمـان .

وقال الإمام الغزالي: الحـق هو في مقابلة الباطل ، والأشياء قد تُـستبان بأضدادها ، وكلُّ ما يُـخبَـر عنه فإمّـا باطلٌ مطلقاً ، وإمّا حـقٌّ مطلقـاً ، وإمّـا حقٌّ مِن وجـهٍ باطـلٌ مِـن وجـه . فالممتـنع بذاتــه هـو الباطـل مطلقاً ، والواجب بذاته هـو الحـق مطلقـاً ، والممكـن بذاتــه الواجـب بغـيره هو حـق مِن وجـه باطل مِن وجـه . فهو مِن حيث ذاتـه لا وجود له فهو باطل ، وهو مِن جهة غيره مستـفيد الوجود ، فهو مِن هذا الوجه الذي يلـي مفيدَ الوجود موجود . فهو مِن ذلك الوجـه حق ومـن جهـة نفسـه باطـل ؛ فلذلك قال تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[1] .

وهو كذلك أزلاً وأبداً ، ليس ذلك في حال دون حـال ؛ لأنَّ كـل شيء سواه أزلاً وأبـداً مِـن حيـث ذاتــه لا يـستحق الوجـود ، ومـن جهتــه يستحـق ، فهو باطل بذاتـه حـق بغـيره .

وعند هذا تَعرف أنَّ الحق المطلق هو الموجود الحقيقـي بذاتــه ، الـذي منـه يأخذ كلُّ حـقٍّ حقيقتـه .

وقد يقال أيضاً للمعقول الذي صادف به العقل الموجود حتى طابقـه : إنه حـق ، فهو مِنْ حيث ذاتـه يُسمّى موجوداً ، ومِن حيث إضافتــه إلى العقل الذي أدركه على ما هو عليـه يُسمّى حقّـاً .

---

[1] : سـورة القـصص ، الآيـة ٨٨ .

فإذاً أحـقّ الموجودات بأنْ يكون حقّـاً هو الله تعـالى ، وأحـقّ المعـارف بأنْ تكون حقّـاً هـي معرفـة الله ﷻ . فإنـه حــقٌّ في نفسه ، أي مطـابق للعلوم أزلاً وأبداً ، ومطابقتـه لذاته لا لغيره ، لا كالعِلْـم بوجـود غـيره فإنه لا يكون إلّا ما دام ذلك الغير موجوداً ، فإذا عدم عاد ذلك الاعتقاد باطلاً . وذلك الاعتقاد أيضاً لا يكون حقـاً لـذات المعتقـد ؛ لأنـه لـيس موجوداً لذاتـه بل هو موجود لغـيره .

وقد يُطلق ذلك على الأقوال فيقال : قـولٌ حـقٌّ ، وقولٌ باطـل .

وعلى ذلك فأحـقّ الأقوال قولـك : لا إلـه إلّا الله ؛ لأنـه صـادق أبـداً وأزلاً لذاتـه لا لغـيره .

فإذاً يطلق الـحق على الوجود في الأعيان ، وعـلى الوجـود في الأذهـان وهو المعرفـة ، وعلى الوجود الذي في اللّسان وهو النطـق .

فأحقّ الأشياء بأنْ يكون حقاً هو الذي يكون وجـوده ثابتـاً لذاتـه أزلاً وأبداً ، ومعرفتـه حقّـاً أزلاً وأبداً ، والشهادة له حقّـاً أزلاً وأبـداً . وكـلُّ ذلك لذات الوجود الحقيقـي لا لغـيره .

((**ملاحظـة**)) : وأكـثر ما يجـري على لسان هذه الطائـفة [1] مِن أسمـائـه تعالى الحــق ؛ وذلـك لِـمــا ذكرنـا أنَّ الحـق هـو الموجـود ؛ لأنَّ القـوم

(١) : أي : السـادة الصوفيـة .

ارتقوا مِن شهود الأفعال إلى شهود الصفات ، ثم مِن شهود الصفات إلى شهود الذات . وكما أنَّ العلماء الذين هم أهل الاستدلال بالتفعّل على الفاعل أكثر ما يجري على لسانهم البارئ ، والبارئ هو الخالق ، فكذلك الغالب على لسان هؤلاء مِن أسمائه تعالى الحق .

يقول الدقّاق : إنَّ الله تعالى تعرّف إلى العامة بأفعاله فقال عزّ ذِكْره : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١) ؟ وتعرّف إلى الخواصّ بصفاته فقال عزّ مِن قائل : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ (٢) ، وتعرّف إلى خاصة الخاصة بحقيقة حقه وذاته فقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ (٣) .

((تنبيه)) : حظ العبد مِن هذا الاسم أنْ يرى نفسه باطلاً ، ولا يرى غير الله عز وجل حقّاً .

والعبد إنْ كان حقّاً فليس حقّاً بنفسه ، بل هو حقٌّ بالله عز وجل ، فإنه موجود به لا بذاته ، بل هو بذاته باطل لولا إيجاد الحق له .

فقد أخطأ مَنْ قال : " أنا الحق " إلّا بأحد التأويلين :

---

(١) : سورة الأعراف ، الآية ١٨٥ .
(٢) : سورة يونس ، الآية ٦١ .
(٣) : سورة الأنعام ، الآية ٩١ .

أحدهما أنه يعني أنه بالحق ، وهذا التأويل بعيد ؛ لأنَّ اللّفظ لا ينبئ عنه ؛ ولأنَّ ذلك لا يخصّه ، بل كل شيء سوى الحق فهو بالحق .

التأويل الثاني أنْ يكون مستغرقاً بالحق حتى لا يكون فيه متّسعٌ لغيره ، وما أخذ كلية الشيء واستغرقه فقد يقال إنه هو ، كما يقول الشاعر : أنا مَنْ أهوى ومَنْ أهوى أنا ، ويعني به الاستغراق .

وأهل التصوّف لَمّا الغالب عليهم رؤية فناء أنفسهم مِنْ حيث ذاتهم ، كان الجاري على لسانهم مِنْ أسماء الله تعالى في أكثر الأقوال والأحوال هو الحق ؛ لأنهم يلحظون الذات الحقيقية دون ما هو هالك في نفسه . وأهل الكلام لَمّا كانوا بعدُ في مقام الاستدلال بالأفعال ، كان الجاري على لسانهم في الأكثر اسم البارئ الذي هو بمعنى الخالق .

وأكثر الخلق يرون كلَّ شيء سواه فيستشهدون عليه بما يرونه ، وهم المخاطَبون بقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾[1] . والصدّيقون لا يرون شيئاً سواه فيستشهدون به عليه ، وهم المخاطَبون بقوله تعالى : ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾[2] .

* * * *

(1) : سورة الأعراف ، الآية ١٨٥ .
(2) : سورة فصلت ، الآية ٥٣ .

الوكيل

(**الوكيل**) القائم بأمور عباده وتسخير ما يحتاجون إليه .

أو الـمَوْكول إليه تدبير الخلائق .

فهو صفة فِعْل .

قال ابن العربي : اختلف أهل اللغة في العبارة عن معنى الوكيل إلى أربعة أقوال :

فحكى الفرّاء أنه الكفيل ، وحُكِيَ عنه أيضاً : الحفيظ .

والقول الثالث أنه الـمقسط ، قاله ابن عرفة .

والقول الرابع أنه الكافي .

قال القرطبي : وهذه المعاني كلها صحيحة في معنى وَصْفِ الوكيل ؛ لأنَّ الله تعالى تسمّى بالوكيل لأنه وكل أمور خلقه إلى نفسه ، فهو فعيل بمعنى مفعول . ووكل عبادُه المتوكّلون عليه أمورَهم إليه

فكان وكيلهم ، وهؤلاء الذين وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ (١) .

فطَوْراً يكون الوكيل وَصْفاً ذاتياً ، وطَوْراً يكون وَصْفاً فعلياً .

أمّا إذا كان الوكيل الذي وكل عبادُه أمورَهم إليه ، واعتمدوا في حوائجهم عليه ، فهو وصف ذاتي فيه معنى الإضافة الخاصة ، إذ لا يَكِل أَمْرَه إليه مِنْ عباده إلّا قوم خاصة ، وهم أهل الإيقان وذوو العرفان .

وإذا كان الوكيل الذي وكل أمورَ عباده إلى نفسه وقام بها ، وتكفّل بالقيام عليها ، كان وصفاً فعلياً مضافاً إلى الوجود كلِّه ؛ لأنَّ هذا الوصف لا يليق بغيره .

وعلى هذا يخرج شرح العلماء لهذا الاسم ، ويتضمّن أوصافاً عظيمة مِن أوصافه : كحياته ، وعِلْمه ، وقدرته ، ووفاء عهده ، وصدق وعده ... إلى غير ذلك ، فهو سبحانه الكفيل بأرزاق عباده ، والقائم عليهم بمصالحهم لعجزهم .

وقال الإمام الغزالي : الوكيل هو الـمَوْكول إليه الأمور ، ولكن الـمَوْكول إليه ينقسم إلى : مَنْ يوكَل إليه بعض الأمور وذلك ناقص ،

---

(١) : سورة آل عمران .

وإلى مَنْ يوكّـل إليـه الكل وليس ذلك إلّا الله سبحانه وتعالى .

والـمَوكول إليه ينقسم إلى : مَنْ يستحق أنْ يكون موكولاً إليه لا بذاتـه ولكن بالتفويض والتوكيل، وهو ناقص لأنه فقير إلى التفويض والتولية .

وإلى مَنْ يستحق بذاتـه أنْ تكون الأمور مَوْكولة إليـه والقلـوبُ متوكّلـة عليه لا بتوليـةٍ وتفويض مِن جهة غيره ، وذلك هو الوكيل المطلـق .

والوكيل أيضاً ينقسم إلى : مَنْ يفـي بمـا وُكل إليه وفاء تامـاً مِـن غـير قصور ، وإلى مَنْ لا يفي بالجميع .

والوكيل المطلـق هو الذي الأمور موكولـة إليـه ، وهـو ملــيّ بالقيـام بـها وَفِـيٌّ بإتمـامها ، وذلك هو الله تعالى فقط .

وقد فهمت مِن هذا مقـدار مدخـل العبـد في معنى هذا الاسـم .

وقيل : الوكيل الكفيل بالخلـق ، الـمُدَبّـر لحاجاتهم ، لا يرجع أمـرهم إلى غيره ، ويكفي المـتوكّل عليـه ما أَهَـمَّه .

وذاكره يكـثر رزقـه ، وينـتصر على ظالمـه ، ويـأمن مِنَ المـكاره .

وقال القشيري : معنى الوكيل الـذي وكـل إليـه الأمـور ، فهـو فعيـل بمعنى مفعـول .

ومَنْ عرفـه وكل إليه أموره ، بل هو الـمتولّـي لأحوال عباده يصرفهم على ما يريد ، ويتولّـى بأسبابهم على ما يختاره . وهو وكيـل قـوي يقـدر على ما يريد إمضاءه ، ويقوى على ما يشـاء إنشـاءه .

وإذا تولّى أَمْرَ عبدٍ بجميل الكفاية كَفاه كلَّ شغل ، وأغناه عن كل غير ومثل ، ولا يستكثر العبد حوائجه لأنه يعلم أنَّ كافيه مولاه .

ولهذا قيل : مِن علامات التوحيد كثرة العيال على بساط التوكّل .

ويُحكى عن ممشاد الدينوري أنه قال : كان عليّ دَيْن ، فهممتُ ليلةً مِنَ اللّيالي وضاق صدري ، فرأيتُ فيما يرى النائم كأنَّ قائلاً يقول لي : يا بخيل أخذتَ على هذا المقدار ؟! خُذْ فعليك الأخذ وعليّ القضاء . قال : فانتبهتُ ، ففُتِح لي بما قضيتُ الدَّيْن ، وما حاسبتُ بعد ذلك قصّاباً ولا بقّالاً .

وحُكِيَ أنَّ أحمد بن خضرويه لَمّا حضرته الوفاة كان عليه سبعون ألف درهم ، فحَضَره غرماؤه فقال : يا إلهي روحي رَهْنٌ في أيديهم ، فإنْ أردتَ قَبْضَها فاقْضِ حقوقهم . فدقَّ إنسان الباب وقال : ليخرج غرماء أحمد بن خضرويه ، فقضى دَينه ثم مات رحمه الله تعالى .

((**ملاحظة**)) : وإنَّ مَنْ له وكيل يتولّى أشغاله فيسأله الأُجرة على أعماله ، وربما يخون في ماله ثم يخطئ في كثير مِن أحواله ، وربما لا يعتدي كما ينبغي لوجوه أشغاله .

والحقُّ سبحانه يأخذ لِمَنْ يرضى به وكيلاً ، ثم يُحقّق له تأميلاً ، ويُثني عليه جميلاً ، ويُعطيه جزيلاً ، ولا يسأله على ما يتولّاه مِن أموره عِوَضاً ، بل يضاعف له فضلاً ونعمة ، ويلطف به في دقائق أموره

وأشغالـه ما لا يرتقي إليه آمالـه ، ولا يـأتي على تفضيلـه سؤالـه ، سُنّـة منـه سبحانه جميلـة أمضاها ، وعـادة كريمـة بين عبـاده أجـراها .

((تنبيـه)) : يُحكى عن بعضهم أنه قال : رأيتُ ببلاد الهند شـيخاً كبـيراً يُسمّى الصبور ، فسألتُ عن حالـه فقيل : إنه كان له حبيـب في عنفـوان شبابـه فسـافر يوماً ، فخرج هذا الرجل إلى وداعه فبكت إحـدى عينيـه ولم تَبْكِ الأخرى ، فقـال لعينـه : لأَحْرِمَنَّـك النظـر إلى محبـوب الـدنيا عقوبـةً لك إذ لم تساعديني على البكـاء لفـراق محـبوبي . فمنـذ ثلاثـين سنـة غمض عينـه ولم ينظر بـها إلى شيء .

وفي القصة أنَّ يوسف عليه السلام كان لـه زوج حمـام ، فلمّـا فـارق يوسـف يعقوب عليهمـا الـسلام ، فكلمّـا أراد يعقـوب أنْ يبتسم أو يخاطـب أحداً أو يتكلّم ، جاء الحمـام ووقــف بحذائـه يُـذكّره عهـد يوسـف ، فكان يتنغـصّ بعيشـه .

فإذا كان مِثْل هـذا موجـوداً في وَصْـف المخلـوقين إذا كانـت محبـتهم لأشكالهم ، فـأَوْلى وأحرى أنْ تكون مِثْل هذه المطالبـات محفوظـة عـلى الأحباب ، فإنَّ عهد الأحبـاب لا يخلـق عنـد الأحبـاب ، ولا يـزدادون على مَـمَـرّ الأيام إلّا وفـاء على وفـاء ، وصـفاء عـلى صـفاء ، يَـخْلـق الدهـر ويَـبْلـى وهم بعـد طول الزمـان أحبـة .

* * * *

القوي المتين

(**القَـوِيُّ**) ذو القـدرة التـامـة البالغـة للكمـال .

و(**الـمَـتِـينُ**) البـالغ في الـشدة ، فهـو مِـنَ المتـانــة أي شـدة الـشيء واستحكامـه ، فمرجعـه لكمـال القدرة وشـدتها .

وقيـل : القـوي الـذي لا غـالـب لـه ، ولا يعتريـه ضـعف أو وهـن ، ولا يحتاج إلى عدد أو معين ، تنزّه عن مشابهـة الحوادث فيما يحتاجون إليه ، تَـمَّتْ قدرتـه ونفذت كلمتـه ، قال تعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾[1] .

وذاكـره يخـاف الله تعـالى ، ويقـوى عـلى مجاهـدة الـنفس والهـوى والشيطان ، ويُـنصَر على أعدائـه ، ويقوى جـسده .

---

(1) : سـورة الـمجـادلـة .

والمتين شديد القوى ، لا تلحقه في أفعاله مشقّة ، يقول : كُنْ فينتظم عقد ما يريد ولا يزول أبداً ، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه الخلق .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[1] .

وذاكره مع اسمه تعالى القوي يكون مِن أهل اليقين .

قال الإمام الرازي : اتّفق الخائضون في تفسير أسماء الله تعالى على أنَّ القوة ها هنا عبارة عن كمال القدرة ، والمتانة عبارة عن كمال القوة ، فعلى هذا القوة المتينة اسمٌ للقدرة البالغة في الكمال إلى أقصى الغايات . وعندي أنَّ كمال حال الشيء في أنْ يُؤَثِّر يُسمّى قوة ، وكمال حال الشيء أنْ لا يقبل الأثر مِنَ الغير يُسمّى أيضاً قوة ؛ وذلك لأنَّ الإنسان الذي يَقوى على أنْ يصرع الناس يُسمّى قوياً شديداً ، والإنسان الذي لا ينصرع مِنْ أحدٍ يُسمّى أيضاً قوياً . وبهذا التفسير يُسمّى الحجر والحديد قوياً شديداً .

إذا عرفت هذا فنقول : إنْ حَمَلْنا القوة في حق الله تعالى على كونه كافلاً وكاملاً في التأثير في الممكنات كان معنى القوة هو القدرة ؛ لأنه تعالى إنما يوجد الممكنات بقدرته . وإنْ حملنا القوة في حق الله تعالى

---

[1]) : سورة الذاريات .

على كونه غير قابل للأثر مِن غيره كان معنى قوته ومتانته هو كونه واجب الوجود لذاته ؛ وذلك لأنَّ كل ما كان واجب الوجود لذاته كان واجب الوجود مِن جميع جهاته ، وكل ما كان كذلك لم يقبل الأثر مِنْ غيره البتّة ، لا بتحصيل شيء فيه كان معدوماً ولا بإعدام شيء كان موجوداً .

وقال أبو حامد الغزالي : القوة تدل على القدرة التامة ، والمتانة تدل على شدة القوة ، والله ﷻ مِن حيث إنه بالغ القدرة تامّها قويٌّ ، ومِن حيث إنه شديد القوة متينٌ ، وذلك يرجع إلى معاني القدرة .

وقال القشيري : المتين اسم مِن أسمائه تعالى ورد به الخبر ، وهو بمعنى القوي ، واشتقاقه مِنَ المتانة وهي الصلابة مأخوذة مِنَ المتن الذي هو الظهر ؛ لأنَّ استمساك الحيوان يكون بالظهر ، فتُسمّى القوة متانة . ولا يصح في وصفه تعالى المتن ولا الصلابة ، ولكنه يكون بمعنى القدرة .

وفي هذا دلالة على صحة مذهب أهل الحق ؛ لأنَّ الله تعالى لا يُسمّى بما لم يرد به التوقيف والإذن مِن قِبَله ؛ لأنه لا يوصف بالجلادة والشجاعة ويوصف بالقوة والقدرة ؛ لأنَّ التوقيف ورد بذلك دون غيره . ويجوز أنْ يُسمّى المتين ولا يُسمّى بالمتانة ولا بالصلابة ، فالمعتبر في هذا الباب إطلاق ما ورد به التوقيف على الوجه الذي قد

ورد صحّ معناه في وصفه أو لم يصح ، والامتناع مِمّا لم يرد به الإذن صحّ معناه في وصفه أو لم يصح .

وهو سبحانه على ما يشاء قدير ، لا يخرج عن قدرته مقدور كما لا ينفكّ عن حكمته مفطور . وهو سبحانه في إمضائه بحكمه غير مستظهر بجند ومدد ، ولا مستعين بجيش وعدد ، إنْ أراد إهلاك أحدٍ أهلكه بيده حتى يخرج على نفسه فيتلف نفسه إمّا خنقاً وإمّا غرقاً ... وإمّا تعاطياً لِما فيه هلاكه بوجهٍ مِنَ الوجوه .

يقول الدقّاق : لَمّا أراد الله إهلاك قوم نوح ، نَصَحَ نوح ابنه وأَمَرَه أنْ يركب في السفينة ، فآوى إلى الجبل واتّخذ بيتاً مِنْ زجاج ودخل فيه لئلّا يؤثّر فيه الماء ، فأبلاه الله بكثرة البول حتى امتلأ ذلك البيت مِن بوله وغرق فيه ، فغرّق الله سبحانه جميع العالَم في الماء وغرّق ابن نوح في بوله .

وإنَّ مَنْ لَزِمَ بابه أَوْصَلَ إليه محابه ، وكفاه أسبابه ، وذلّل له كل صعب ، وأَوْرده كل منهل عَذْبٍ مِن غير قطع شقّة ولا تحمّل مشقّة .

* * * * *

الوَلِيُّ

(الـوَلِـيُّ) الـمُحِبّ النّاصر الـمُتَـوَلّي أمـور خَلْقـه .

فهو مِنْ صفات الـذّات .

قال الإمام الغـزالي رحمـه الله تعـالى : الـولي هـو الـمحب النـاصر ، ومعنى ودّه ومحبتـه قـد سبق ، ومعنـى نـصرتـه ظـاهر ، فإنـه يقمع أعداء الدين وينصر أوليـاءه ، قال الله ﷻ : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝١١﴾[1] ، أي لا نـاصر لـهم .

وقال بعضهم : الوَلِـيُّ الـمُتَـوَلّي لعباده المؤمنـين ، يختـصّهم بعنايتـه وسـابغ كرمــه ، قــال الله ﷻ : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾[2] .

---

[1] : سـورة محـمـد .

[2] : سـورة البـقـرة ، الآيـة ٢٥٧ .

وقال على لسان رسوله : ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٩٦﴾[1] .

وقال: ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[2].

وذاكره يؤيّده الله بخصوصية الكرامة .

وقال القشيري : الوَلِيّ في وصفه تعالى هو المُتَولّي لأعمال عباده ، وقيل : هو فعيل مِنَ الوالي ، ووَلِيّ على المبالغة .

والولِيّ في اللغة يكون بمعنى الناصر ، والولي القريب .

وتكون الولاية بمعنى المحبة ، والله وَلِيُّ المؤمنين أي يُحبّهم وينصرهم ويتولّى جميع أمورهم .

<u>((فصل))</u> : ومِن علامات مَنْ يكون الحق سبحانه وَلِيَّه أنْ يصونه ويكفيه في جميع أحواله وشئونه ، فيغار على قلبه أنْ يتعلّق بمخلوق في دَفْعِ ضرٍّ أو جَلْب نَفْعٍ ، بل يكون القائم على قلبه في كلِّ نَفَسٍ ، فيُحقّق آمالَه عند إشاراته ، ويُعجّل له مآربه عند خطراته .

ومِن أمارات ولايته لعبده أن يُديم توفيقه ، حتى لو أراد سوءاً أو قَصَدَ محظوراً عَصَمَه عن ارتكابه ، أو لو جنح إلى تقصير في طاعته

---

[1]) : سورة الأعراف .

[2]) : سورة يوسف ، الآية ١٠١ .

أبى إلّا توفيقاً له وتأييداً . وهذا مِنْ أمارات السعادة ، وعكس هذا مِن أمارات الشقاوة .

ومِن أمارات ولايته أيضاً أن يرزقه مودّة في قلوب أوليائه ، فإنَّ الله سبحانه ينظر إلى قلوب أوليائه في كل وقت ، فإذا رأى لعبدٍ في قلوبهم محلًّا نَظَرَ إليه باللّطف ، وإذا رأى همّة وَلِيٍّ مِنْ أوليائه في شأن عبدٍ ، أو سمع دعاء وَلِيٍّ في شأن شخص ، يأبى إلّا الفضل والإحسان إليه ، بذلك أجرى السُنّة الكريمة .

يُحكى عن بعضهم أنه قال : رأيتُ منصور بن عمار في المنام فقلتُ له : ما فعل الله بك ؟ قال : أقامني بين يديه وقال لي : مشغب أنت المشغب ، لولا أنك كنتَ تُثْني عليّ في بعض مجالسك فمرّ بك وَلِيٌّ مِنْ أوليائي فاسْتَحْسَن ثناءك عليّ ، فاسْتَوْهبك مني فوهبتُك له لَعذّبتك .

وقال الدقّاق : لو أنَّ وليّاً مِنْ أولياء الله مرّ ببلدةٍ لَلَحِقَ بركات مروره أهلَ تلك البلدة حتى تعمّهم كلهم . فأولياؤه يكونون في العِزّ دنياهم وعقباهم ، وآخرتهم وعقباهم ، جعلنا الله منهم بمَنّه ورحمته.

((تنبيه)) : الوَلِيُّ مِنَ العباد مَنْ يحب الله عز وجل ويحب أولياءه ، وينصره وينصر أولياءه ويعادي أعداءه .

ومِنْ أعدائه النفس والشيطان ، فمَنْ خذلهما ونَصَرَ أَمْرَ الله تعالى ، ووالى أولياء الله وعادى أعداءه ، فهو وَلِيٌّ مِنَ العباد .

* * * * *

الحميد

(**الحميد**) المحمود المستحقّ لكل ثناء سبحانه ؛ لأنه الموصوف بكل كمال ﷻ ، المولى لكل نوال .

فهو مِن صفات الذات .

قال الإمام الغزالي : الحميد هو المحمود المثنى عليه ، والله ﷿ هو الحميد بِحَمْده لنفسه أزلاً ، وبِحَمْد عباده له أبداً .

ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوباً إلى ذِكْر الذاكرين له، فإنَّ الحمد هو ذِكْر أوصاف الكمال مِن حيث هو كمال.

وقال القشيري : الحميد اسم مِن أسمائه تعالى ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، محمود بحمده لنفسه وحَمْد خَلْقه له. ويكون فعيلاً بمعنى فاعل ، حامد لنفسه وحامد لعباده المؤمنين .

فالحمد يتصرّف في اللغة على وجوه ، يكون فعلاً بمعنى المدح والثناء ، ويكون بمعنى الشكر ، ويكون الفرق بينهما أنَّ الشكر في

مقابلـة إحسان ، والحمد يكون في مقابلة إحسان ويكـون بمعنـى المـدح بذِكْـر صفات العلو وإن لم يكن ذكر إحسان ، يقال : حمدتُـه عـلى رفعتـه وشكرتُـه على نعمتـه .

وأول مَنْ حمد الله تعـالى اللهُ ﷻ ، وكمـا حمـد نفسه بخطابـه الأزلي حمـد خلقـه الذين أثنـى عليهم بذِكْـر خصالهم الحميدة .

وأمّـا حمـده الذي هو شـكره ، فينبغـي أنْ يكـون عـلى شـهود المـنعم ؛ لأنَّ حقيقة الشكر الغيبـة بشهود المنعم عن شهود النعمـة .

قيـل : إنَّ داود ﵇ قال في مناجاتـه : إلهي ، كيـف أشـكرك وشـكري لك نعمـة منك علـيّ ؟ فأوحى الله إليه : الآن قد شكرتَـني .

وكم مِن عبـدٍ يتوهّم أنه في نعمة يجب عليه شـكرها ، وهـو في الحقيقـة في محنـة يجب عليه الصبر عنهـا ؟! فـإنَّ حقيقـة النعمـة مـا يوصـلك إلى المـنعِم لا ما يشغلك عنـه .

فإذاً النعم ما كان دينيـاً ، فإنْ كان مع النِّـعَم الدينيـة إِرب معجّـل فهـو الكمـال ، فإنْ وجد التوفيـق للشكر وإلّا انقلبت النعمة محنـة .

يقال : إنَّ الله تعالى أوحى إلى موسى ﵇ : ارحم جميع الخلـق المبتلـى منهم والمعافـى ، فقال: هذا المبتلى فمـا بال المعافى؟ قال: لقلّـة شكرهم .

وقال ابن العربي : قيـل : الحمد هو الشكر لفظـان مترادفـان ، والثـاني أنَّ الحمد هو الخبر عن الشيء بمـا فيه مِن صـفات حـسنـة ... ثـم قـال

بعد كلام : والصحيح هو القول الثاني وعليه اتّفق المحقّقون ، وله تشهد الأدلة .

وقال الحليمي : الحميد هو المستحق لِأَنْ يُحمد ؛ لأنه جل ثناؤه بدأ فأَوْجَد ، ثم جمع بين النعمتين الجليلتين الحياة والعقل ، ووالى بعد مِنَحه ، وتابع آلاءه ومِنَنه حتى فاتت العدَّ ، وإن استُفرغ فيه الجهد فمَنِ الذي يستحقّ الحمد سواه ؟ بل له الحمد كله لا لغيره ، كما أنَّ المِنَنَ منه لا مِن غيره .

وقال الخطابي : هو المحمود الذي استحقّ الحمد بفعاله ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، وهو الذي يُحمد في الضراء والسراء ، والشدة والرخاء ؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط ولا يعتريه الخطأ ، فهو محمود على كل حال .

وقيل : الحميد الذي استحقّ الحمد بكرمه وجزيل نِعَمه وحُسْن فعاله ، ولا يُحصي نِعَمه ومحامده إلّا هو . قال رسول الله ﷺ : " لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك "(١) .

---

(١) : طرف من حديث عائشة عن النبي ﷺ ، رواه مسلم والأربعة ، ومالك في الموطأ ، وأحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، وأبو عوانة في المستخرج ، والبيهقي ... وآخرون .
ورواه الأئمة الأربعة أيضاً من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ومَنْ ذَكَرَه مع اسمه تعالى الوليّ وداوم وأكثر يَستغني بالله عن الخلق ، ويصل إلى درجات الأولياء .

فيجب على كل مكلّف أنْ يعتقد أنَّ الحمد على الإطلاق إنما هو لله ، وأنَّ الألف واللام للاستغراق لا للعهد ، فهو الذي يستحق جميع المحامد بأسرها ، فنحمده على كلِّ نعمة وعلى كل حال بمحامده كلِّها ، ما عُلِمَ منها وما لم يُعلم .

كان رسول الله ﷺ يقول : " ربنا ولك الحمد ملء السماوات والأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئتَ مِن شيء بعد " (١) .

وقال : " أفضل الذكر لا إله إلّا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله " (٢) .

والآثار في هذا المعنى كثيرة .

ثم يجب عليه أنْ يسعى في خصال الحمد ، وهي التخلّق بالأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة ، ويترك نقيضها ، ويدع سَفسافها .

((ملاحظة)) : فالعبد مهما شكر وحمد ربَّه فإنه عاجز عن أداء شكر النِّعَم ؛ لهذا فإنَّ الاعتراف بالعجز عن الشكر قِمّة الشكر لله .

---

١) : خرّجه الجماعة وغيرهم مِن رواة الحديث عن عدد من الصحابة بطرق وأسانيد مختلفة ، في باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع .

٢) : رواه الترمذي وحسّنه ، والنسائي ، وابن ماجة ، والحاكم في المستدرك ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي في الدعوات ، وابن عبد البر في التمهيد .

فأبلغ الشكر أنْ يعترف الإنسان بِعَجْزه عن الشكر ، وأبلغ الحمد أنْ يعترف المرء بعجزه عن الحمد بأنْ يقول : " اللّهم إني عاجزٌ عن حمدك وشكرك " .

((تنبيه)) : الحميد مِنَ العباد مَن حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله كلها مِن غير مثنوية ، وذلك هو محمد ﷺ ومَنْ يقرب منه مِنَ الأنبياء ، ومَنْ عداهم مِنَ الأولياء والعلماء .

وكلُّ واحد منهم حميد بقدر ما يُحمد مِن عقائده وأخلاقه وأقواله وأفعاله .

وإذا كان لا يخلو أحدٌ عن مذمّة ونقص وإنْ كثرت محامده ، فالحميد المطلق هو الله تعالى .

* * * * *

المحصي

(**الـمُحْـصي**) الذي أحـصى بعِلْمـه كلَّ شـيء .

أو القـادر الذي لا يشـذّ عنـه شـيء .

فهو صفـة ذات ، أو صفـة فعـل .

وقيـل : الـمحصي هو العالِـم ، ولكنْ إذا أُضيف العلم إلى المعلومـات مِنْ حيث يُحصي المعلومات ويعدّها ويحيط بها سُمِّـي إحصاء .

والـمحصي المطلـق هو الذي ينكشف في عِلْمه حـدُّ كل معلوم وعدده ومبلغـه .

والعبد وإنْ أمكنـه أنْ يُحصي بعلمه بعضَ المعلومـات فإنـه يعجـز عـن حصر أكثرها ، فمدخلـه في هذا الاسم ضعيف كمدخله في أصل العلم.

وقيـل : الـمحـصي الـذي أحـصى كـل شيء عـدداً ، أحـصى الخلـق ،

وأحصى الحسنات ، وأحصى السيئات ، وأحاط بكل شيء عِلْماً .

وذاكره يخاف المعاصي ويُسارع إلى فعل ما يرضي الله ، وتخضع له قلوب الخلق .

وقال القشيري : ورد الخبر بهذا الاسم وقال تعالى : ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ (١) ، ومعناه العالِم بجميع المعلومات .

وقوله تعالى : ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ، أي أحاط بكل شيء علماً .

وقوله ﷺ : " إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلّا واحداً ، مَنْ أحصاها دخل الجنة " (٢) ، قيل : مَنْ عَلِمَها .

ويُحتمل أنْ يكون معنى المحصي في وصفه بمعنى عَدِّه الأشياء وهو إخباره عن الأعداد ، والله تعالى يخبر عن تفصيل المعدودات ، والعدد لفظ اللّافظ وخبر المخبر عن المعدود فيما بيننا .

وكذلك عدّه الأشياء إخباره عن تفصيل أعدادها .

---

(١) : سورة الجن .

(٢) : رواه الشيخان ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي ، والحميدي ، والطبراني ، وأبو نعيم الأصبهاني .

وجاء أيضاً بروايات وألفاظ أخرى ، وقد تقدّم معنا ذكره ص ٦ .

((ملاحظة)) : ومِن آداب مَنْ عَلِمَ أنه يحصي أنفاسه أنْ يحفظ معه أنفاسه ويُراعي له حواسه ؛ لأنه إذا عَلِمَ أنه منه قريب وعليه رقيب فحقيق بأنْ يهاب أماكن اطّلاعه .

ومِن آداب مَنْ عَلِم أنه المحصي أنْ يتكلّف عَدّ آلائه لديه وإنْ عَلِمَ أنه لا يحصيها ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾[1] . ويرعى وقته بذِكْر إنعامه .

رُئِيَ بعضهم يعدّ تسبيحاته ، فقيل له : لِمَ فلان ؟ أَتعدّ عليه ؟! فقال : لا ولكن أَعدّ له .

ويجب أنْ يراعي أيامه ويعدّ آثامه ، فيشكر جميل ما يوليه ، ويعتذر مِن قبيح ما تأتيه نفسه .

فإنَّ تذكّر الأيام الماضية والتأسّف على ما سلف مِنَ الأوقات الصافية صفة الأكثرين مِنْ هذه الطائفة ، إذْ قلّ كثير منهم إلّا وله مِنْ هذه القصة حصة، وهذا سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد يقول: " لا أزال أَحِنُّ إلى بدء إرادتي وجدّة سَعْيي وركوبي الأهوال طمعاً في الوصال ، وها أنا في أوقاتي أبكي على أيامي الماضية " ، ثم أنشأ يقول :

منازلُ كنتَ تهواها وتألفها ... أيامَ كنتَ عن الأيام منصورا

---

(1) : سورة النحل ، الآية ١٨ .

وقد يُحـصي الحق سبحانـه على العبد أوقات غيبتـه ، حتى إنه لو قـصر في الحضور أو جنح إلى الفترة عاتبـه بدقائـق الإشارة ، بمـا لـو لم يـسرع في الآونـة لَأدار على رأسـه رحى المحنـة ، وأقـام عليـه قيامـة المعاتبـة ، فإنَّ الأحباب يُسـامَـحون في كل شيء إلّا الغيبـة .

ومَنْ عَلِـمَ أنه سبحانـه رقيب عليـه لم يخاطِب أحـداً إلّا وقلبـه مـع الله تعالى ، فأوقاتـه كلها جـدّ ، وأحوالـه كلها صدق ، انتـفى المـزح والهزل عن أحوالـه أجـمع .

قـال أحدهم :

ولقد جعلتُـك في الفؤاد مؤانسي   وأَبحتُ جسمي مَن أراد جلوسي

فالجسمُ منـي للجليـس مجـالسٌ   وحبيبُ قلبـي في الفـؤاد أنيـسي

* * * * *

المبدئ المعيد

(**الـمُبْـدِئُ**) الذي أظهـر الأشـياء مِنَ العـدم .

و(**الـمُعيـد**) الذي يعيـدها بعد العـدم .

قـال تـعالى : ﴿ **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴿٢٩﴾ ﴾ (١) .

قال الإمام الغزالي : معناه الموجِد ، لكـنَّ الإيجـاد إذا لم يكـن مـسبوقـاً بمِثْلـه سُـمِّي إبـداء ، وإذا كان مـسبوقـاً بمِثْلـه سُـمِّي إعـادة . والله ﷻ بـدأ خَلْـق الناس ثم هو الذي يُعيدهم أي يحشرهم ، والأشياء كلها منـه بدأت وإليـه تـعود ، وبـه بـدأت وبـه تـعود .

وقال القشيري : الـمُبدئ الـمُظْهِـر ، وهو بمعنى الخالـق الـمُنْشِئ ، يقال : بدأ الله الخلق وأبداهم بمعنى واحد ، قال الله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ** ﴾ (٢) فهذا مِن بـداء ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ**

---

(١) : سـورة الأعـراف .

(٢) : سـورة الـروم ، الآيـة ٢٧ .

وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾[1] وهذا مِن إبـداء .

ويقال : ابتـداء الله الخلق بمعنى بداء ، وهو إظهار الـشيء مِـنَ العـدم إلى الوجود ، فأمّـا الإعادة فهو خَلْـق الشيء بعـد مـا عـدم ، والله تعـالى قادر على إعادة الحوادث إذا عدمت جواهرها وأعراضها ، خلافـاً لِـمَنْ قال : إنَّ الإعادة للشيء بمعنى خَلْـق مِثْلـه لا إعادة عينــه ، وذلـك أنـه إذا كان مقدوراً قبل أن خلقـه ، فإذا عدم بعد وجـود أعـاده إلى مـا كـان عليه ، فكمـا قدر على أنْ يخلقــه ابتـداء ، وَجَـبَ أنْ يكـون قـادراً عـلى أنْ يخلقــه ثانيــاً ، والإعـادة ابتـداء ثــان . وكمــا لا فـرق بـين الخلـق والمخلوق ، فكذلك لا فـرق بين الإعـادة والـمعاد .

وقد يُسمّى رد الشيء إلى مِثْـل تركيبــه الأول وتــأليفه الأول إعـادة . ويجوز أنْ تكون الإعادة أيضاً جمع الأجزاء المتـفرقـة مِنَ الهـالكين ، فـإذا بَعَثَ الخلـق وحَشَرهم فقد أعادهم . والله تعالى يبدأ الخلـق أي يخلقهـم في الدنيـا ، ثم يعيدهم أي يحشرهم في القيامـة .

وقـال الخطـابي : الــمبدئ الـذي أبــدأ الإنـسان ، أي ابتـدأه مخترعـاً فأَوْجَده عن عـدم . قال القرطبي : وكذلك سائـر الموجودات .

والـمعيد هو الذي يعيد الخلـق بعد الحيـاة إلى الممــات ، ثـم يعيـدهم بعد المـوت إلى الحيـاة .

---

[1] : سـورة البـروج .

فهما مِن صفات الأفعال ؛ لأن الإبداء والإعادة فعلان واقعان بقدرة الله تعالى ، والبدء فِعْل الشيء أول ، والعَوْد فِعْل الشيء بعده ، وهو مشعر بالرجوع إلى حالة متقدّمة. والله تعالى هو الذي بدأ الوجود أولاً بالإنشاء والإظهار ، فظهر بعد أنْ كان في غيابة العدم ، ويبدئ في كل وقت يريد موجوداً لم يكن له تقدّم ثم يعيده إلى الحالة الأولى ، وهكذا كل معاد . وإنَّ العودة ليست اختراعاً لعين أخرى ، بل العين التي كانت هي تُعاد ، والإنسان الذي كان بعينه في الدنيا هو المعاد .

فيجب على كل مسلم أنْ يعلم أنَّ الله سبحانه هو المبدئ المعيد ، وأنه بدأ الخلق على غير مثال ، ثم يعيدهم على ذلك المثال قدرة وحكمة لا حاجة .

وأنه سبحانه تفضّل على العباد بالنِّعَم ابتداء ، وقد يُعيدها ويكرّرها وقد يقطعها ، ذلك بحسب تحصينها بالشكر وإدامته بالذِّكْر كما قال : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[1] .

وكما رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " دَخَلَ عليّ رسول الله ﷺ فرأى كِسْرة ملقاة ، فمسحها فقال : يا عائشة أَحْسِني جوار نِعَم الله ﷻ ، فإنها ما نفرت عن أهل بيتٍ فكادت أنْ ترجع إليهم "[2] .

---

[1] : سورة إبراهيم .

[2] : رواه ابن ماجة في سننه بلفظ : " أكرمي كريمك " ، والبيهقي في الشعب ، والطبراني في الأوسط ، والخطيب في تاريخه ، وابن أبي الدنيا ، والخرائطي .

فإذا تحقّق المرء هذا تَعَلَّقَ بفضله فيها ، وتوسّل إليه بها .

والله أحق بذلك وأَوْلى سبحانه مِنْ كريمٍ جواد ، فافْتَقِدْ نفسك وكُلَّ جزء فيك ، فإنك خُلِقْتَ والله لأمرٍ عظيم لم يُخلق له أحدٌ مِنَ العالَم . وفَكِّرْ في الإعادة ففيها تظهر حقيقة الشقوة والسعادة. وكُنْ في دنياك مبتدئاً للخير ومعيداً تكن في ذلك اليوم سعيداً . ومهما ابتدأت بفعلِ الصالحات فأَعِدْها أبداً حتى يأتيك الممات ، فإنَّ العَوْد أجمل وبه تتطهّر النفوس وتكمل . وخير العمل ما داوم عليه صاحبه وإنْ قَلّ .

وقد قال بعض الناس : ليس للأوقات بدل ، وإنَّ مَنْ فاته وقتٌ فليس له إليه وصول .

وفي الإسرائيليات أنَّ داود ﷺ تمادى في البكاء ، فأوحى الله إليه : كم تبكي ؟! إنْ كان هذا البكاء مِنْ خوفِ النار فقد أَمَّنْتُك ، وإنْ كان لطلب الجنة فقد بشّرتُك ، وإنْ كان لذنبِ الخصم فقد أَرْضَيْتُه. فزاد داود في البكاء وقال : إنما أبكي لِما فاتني مِن صفاء ذلك الوقت ، فرُدَّ عليّ ذلك الوقت . فأوحى الله إليه : هيهات يا داود لا سبيل إلى ذلك ، فإنْ شئتَ فابْكِ وإنْ شئتَ فاسكت . فقال داود : الآن طاب البكاء .

*****

المحيي المميت

(**الـمُحْيِـي**) الذي خَلَـقَ الحيـاة في كلِّ حَـيٍّ .

و(**الـمُمِـيتُ**) الذي خَلَـقَ المـوت في كلِّ مَنْ أَماتـه .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[١] .

وهمـا مِن أسمـاء الأفـعال .

قال أبو حامد الغزالي : هذا أيضاً يرجـع إلى الإيجـاد ، ولكـن الموجـود إذا كـان هـو الحياة سُـمّي فِعْلـه إحيـاء ، وإذا كـان هـو المـوت سُـمّي فعلـه إماتـــة . ولا خـالق للمـوت والحيـاة إلّا الله ﷻ ، فـلا مـــميت ولا محيـي إلّا الله ﷻ .

وقال الخطابي : الـمُحْيـي هو الذي يُحيـي النطفـة الميتـة فتخـرج منهـا

---

(١) : سـورة الـملـك ، الآيـة ٢ .

النسمة الحيـة ، ويُحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها بعد المبعث ، ويحيي القلوب بنور المعرفة ، ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الغيث وإنبات الرزق . والمُميت هو الذي يميت الأحياء ، ويُوهِن بالموت قوة الأصحاء الأقوياء .

يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، تَمَدَّحَ سبحانه بالإماتة كما تَمَدَّح بالإحياء لِيُعلم أنَّ مصدر الخير والشر والنفع والضر مِن قِبَله ، وأنه لا شريك له في الملك ، استأثر بالبقاء وكتب على خلقه الفناء .

فيجب على كل مكلّف أنْ يعلم أنَّ الله سبحانه المحيي المميت على الإطلاق ، لا ما ظنه النمروذ اللّعين وإخوانه مِنَ القدرية ، حيث حاجّه إبراهيم الخليل بقوله : ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ﴾ ، قال : ﴿أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُ﴾ (١) ، وعمد إلى رجل مسجون على الموت فأطلقه ، وإلى حيٍّ فقتله ، فقال : ها أنا قد أَحْيَيْتُ وأَمَتُّ !

وقد أبطل في هذا القول فإنه لم يخلق حياة ولا موتاً ، وإنما اكتسب ما يكتسبه غيره مِنَ المخلوقين مِن تناول القتل والمِنّة في العفو ، وأعرض عن الدليل كذباً في وجه الحجة وتلبيساً على العامة ، فعدل

(١) : سورة البقرة ، الآية ٢٥٨ .

له الخليـل إلى الأمر الذي لا يتعلّق بِكَسْبٍ وهو تصريف الشمس ما بين مشرق ومغرب ، فـبُهِتَ الذي كـفر في قولـه وأُخلفت حجّتـه .

وقيـل : إنَّ إبراهيم عليه السلام لَـمّـا وَصَفَ ربَّـه تعالى بمـا هو صفة لـه مِـنَ الإحياء والإماتـة ، وهو أمر له حقيقـة ومجـاز، قصد إبراهيمُ إلى الحقيقة وفـزع نمروذ إلى المجاز ومَـوَّه عـلى قومــه ، فـسلّم لـه إبـراهيم تـسليم الجدل وانتـقل معه إلى المثـال وجاءه بأمر لا مجــاز فيــه ، فبهـت الـذي كفر وانقطعت حجتـه ، ولم يمكنـه أنْ يقول : أنا الآتي بها مِـنَ المـشرق ؛ لأنَّ ذوي الألباب يُـكذّبونـه .

وفي الخبر أنَّ الله تعالى قال : " وعزتي وجلالي لا تقوم الساعة حتـى آتي بالشمس مِنَ المغرب ؛ لِـيُعلم أني أنـا القـادر على ذلـك " .

ثم أمر نمروذ بإبراهيم فأُلقي في النـار ، وهكذا عادة الجبـابرة أنهـم إذا عُورِضوا بشيء وعجزوا عـن الحجّــة اشـتغلوا بالعقوبــة ، فأنجـاه الله مِنَ النـار .

__((ملاحظـة))__ : وكمـا أنَّ حيـاة القلوب بنور العلم والمعرفـة ومجالـسة الفـضلاء والـصالحين ، كـذلك موتهـا وقـسوتها بالجهـل والبعـد عـن الجمعات والجمـاعات ومجمع الصالحـين والذاكرين .

ومتابعة الخيـل ، واللّهـو بالـصيد ، والاحتيـال في طلـب الـدنيا إماتـةٌ

للقلوب بالغفلـة ، وفي الحـديث : " مَـنْ بـدا جفـا ، ومَـن اتّبـع الـصيد غفـل ، ومَن أتـى أبواب السلطان افـتـتن "[1] .

* * * * *

(1) : رواه بهذا اللّفظ أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة ، والبيهقـي ، وإسـحاق ابن راهويه في مسنده ، والقضاعي في الشهاب .
ورواه الطبراني في معجمـه من حديث ابن عباس .
وفي الباب أيضاً عن ابـن عبـاس بلفـظ : " مَـنْ سـكن الباديـة جفـا " ، رواه الترمذي والنسائي وأحمد والبيهقـي والـذهبي في معجمـه وابـن عبـد الـبر في التمهيد وأبو نعيم في الحليـة .

الحي

(الـحَـيُّ) ذو الحيـاة الدائمـة ، لا بدايـة لـه ولا نـهايـة .

وهي صفة قائمة بذاتـه سبحانه ، تُصَحِّح له الاتّصاف بكل صفـة .

قال الإمام الغزالي : الـحي هو الفعّال الـدرّاك ، حتـى إنَّ مَـنْ لا فعـل لـه أصـلاً ولا إدراك فهـو ميـت . وأقـل درجـات الإدراك أنْ يـشعر الـمدرك بنفسـه ، فمـا لا يشعر بنفسـه فهو الجمـاد والـميـت .

فالحي الكامل المطلـق هو الذي تندرج جميع المدركات تحـت إدراكـه ، وجميع الموجودات تحت فِعْلـه ، حتى لا يشذّ عن علمه مدرك ، ولا عـن فعلـه مفعول ، وذلك الله ﷻ ، فهو الـحـي المطلـق ، وكـلُّ حَـيٍّ سـواه فحياتـه بقدر إدراكـه وفعلـه ، وكل ذلك محصور في قِـلّـة .

وإذا عَلِـمَ العبد أنه سبحانه حَـيٌّ ، وعَلِمَ أنـه تعـالى حـيٌّ لا يمـوت ، وقديم لا يجـوزعليـه العدم ، صحّ توكّلـه عليـه .

ولهذا قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[1] .

أي أنَّ مَنِ اعتمد على مخلوق واتّكل عليه ليوم حاجته اختلّ حاله وقت حاجته إليه ، فيضيع رجاؤه وأمله لديه .

قيل : إنَّ رجلاً كتب إلى آخر : إنَّ صديقي فلاناً قد مات ، فمِنْ كثرة ما بكيتُ عليه ذهب بصري . فكتب إليه : الذنب لك حيث أحببتَ الحي الذي يموت ، هلّا أحببتَ الحي الذي لا يموت حتى لم تحتج إلى البكاء عليه ؟!

فمَنْ عَلِمَ أنه سبحانه حيٌّ أبداً عَلِمَ أنَّ نفسه لا بد مِن فنائها وهلاكها وإنْ طالت مدة بقائها وملكها .

* * * * *

(١) : سورة الفرقان ، الآية ٥٨ .

القيوم

(**القَيّوم**) القائم بنفسه لا بغيره ، والمُقيم لغيره ذاتاً وتدبيراً .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : اعلم أنَّ الأشياء تنقسم إلى :

ما يفتقر إلى محل كالأعراض والأوصاف ، فيقال فيها : إنها ليست قائمة بأنفسها .

وإلى ما لا يحتاج إلى محل ، فيقال : إنه قائم بنفسه كالجواهر ، إلّا أنَّ الجوهر وإنْ قام بنفسه مستغنياً عن محل يقوم به ، فليس مستغنياً عن أمور لا بد منها لوجوده وتكون شرطاً في وجوده ، فلا يكون قائماً بنفسه لأنه يحتاج في قوامه إلى وجودِ غيره وإنْ لم يحتج إلى محل . فإنْ كان في الوجود موجود يكفي ذاته بذاته ، ولا قوام له بغيره ، ولا يُشترط في دوام وجودِه وجودُ غيره ، فهو القائم بنفسه مطلقاً. فإنْ كان مع ذلك يقوم به كلُّ موجودٍ حتى لا يُتصوّر للأشياء وجودٌ

ولا دوامُ وجودٍ إلّا به فهو القيّوم ؛ لأنَّ قوامه بذاته وقوام كلِّ شيء به ، وليس ذلك إلّا الله ﷻ .

ومدخل العبد في هذا الوصف بقدر استغنائه عمّا سوى الله تعالى .

وقال القشيري : القيّوم هو المبالغة مِنَ القائم بالأمور ، ومعنى القيّوم في وَصْفه تعالى أنه المُدَبِّر والمُتَوَلّي لجميع الأمور التي تجري في العالَم .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[1] .

يُحكى عن الطرماح أنه قال : كنتُ عند الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إذ جاءه سائل فسأله شيئاً فأعطاه نعليه ، فقلتُ : يا ابن رسول الله ، الله أَوْلى بعباده . فقال : اسكت يا طرماح ، فأنا أستحي مِنَ الله أنْ أسأله فيعطيني ثم لا أُعطي مَن يسألني .

ورُوِيَ عن ابن عباس أنه كان يقول : أعظم أسماء الله الحي القيّوم .

وقال علي رضي الله عنه : لمّا كان يوم بدر قاتلتُ شيئاً مِنَ القتال ثم جئت إلى رسول الله ﷺ أنظر ماذا يصنع ، فإذا هو ساجد يقول : يا حيّ يا قيّوم لا يزيد عليه، ثم رجعتُ إلى القتال ثم جئتُ وهو يقول ذلك ، فلا أزال أذهب وأرجع وأنظره لا يزيد على ذلك إلى أنْ فَتَحَ الله له .

---

(1) : سورة الرعد ، الآية ٣٣ .

واعلم أنه مَنْ عرف أنه سبحانه هو القائم والقَيِّم والقَيّام والقَيُّوم انقطع قلبه عن الحق .

يقول أبو يزيد قدس سره : حَسْبك مِنَ التوكّل أنْ لا ترى لنفسك ناصراً غيره ، ولا لرزقك خازناً غيره ، ولا لعلمك شاهداً غيره .

* * * * *

الواجد

(**الواجِـد**) الذي يجـد كلَّ ما أراده فلا يعوزه شيء سبحانـه .

أو يقـال : الغنـي المطلـق بدون حدود .

قال الإمام الغزالي : الواجد هو الذي لا يعـوزه شيء ، وهـو في مقابلـة الفاقد ، ولعلّ مَن فاتـه ما لا حاجـة بـه إلى وجـوده لا يُـسمّى فاقـداً ، والذي يحضره ما لا تعلّـق له بذاتـه ولا بكمـال ذاتـه لا يُسمّى واجـداً ، بل الواجد مَنْ لا يعوزه شيء مِـمّـا لا بد منـه ، وكـلُّ مـا لا بـد منـه في صفات الإلهيـة وكمـالها فهو موجود لله ﷻ ، فهو بهذا الاعتبـار واجـد ، وهو الواجد المطلـق ، ومَن عـداه إنْ كـان واجـداً لـشـيءٍ مِـنْ صـفات الكمـال وأسبابـه فهو فـاقد لأشـياء ، فلا يكون واجـداً إلّا بالإضافـة .

وقال بعـضهم : الواجـد الـذي لا يعجـز عـن إبـراز أيِّ شيء في عـالم الظهور والعيـان ، وعَـلِـم كل شـيء .

قـال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ (١) .

وذاكِره ينال الغنى ، ويقوى قلبه على تلقّي الفيوضات الرحمانية .

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) : سورة يس .

الماجد

(**المـاجِـدُ**) مِنَ الـمجد والشرف ، كالـمجـيد ولكنه أبلغ منـه .

فكلُّ شَـرَفٍ مِنَ الله يأتـي ، وكلّ مُشَـرَّفٍ فالله يُـشَـرِّفـه سبحانـه .

قـال أبو حامد الغزالي رحمـه الله تعالى : الـمــاجد بمعنى الـمجيـد ، كالعالِـم بمعنى العليـم ، لكـنَّ الفعيـل أكـثر مبالغــة ، وقـد سـبق معنـاه [1] .

* * * * *

---

[1]) : انظـر ص ٢٠٨ – ٢٠٩ .

الواحد

(**الواحِدُ**) الذي لا ينقسم بحال ، فهو واحد بذاته ، واحد بصفاته ، واحد بأفعاله ، وكلُّ كلام غير هذا مرفوض عقلاً وشرعاً .

ويقال : الواحد الأَوْحد .

قال الإمام الغزالي : الواحد هو الذي لا يتجزّأ ولا يتثنّى .

أمّا الذي لا يتجزّأ فكالجوهر الواحد الذي لا ينقسم ، فيقال : إنه واحد بمعنى أنه لا جزء له ، وكذا النقطة لا جزء لها ، والله تعالى واحد بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام في ذاته .

وأمّا الذي لا يتثنّى فهو الذي لا نظير له ، كالشمس مثلاً ، فإنها وإنْ كانت قابلة للانقسام بالوهم متجزّئة في ذاتها لأنها مِن قبيل الأجسام فهي لا نظير لها ، إلّا أنه يمكن أنْ يكون لها نظير .

فإنْ كان في الوجود وجودٌ يتفرّد بخصوصِ وجوده تفرّداً لا يتصوّر

أنْ يشاركـه غيره فيـه أصلاً فهو الواحد المطلـق أزلاً وأبداً .

والعبد إنمـا يكون واحداً إذا لم يكن لـه في أبنـاء جنسه نظير في خصلة مِن خصال الخير ، وذلك بالإضافـة إلى أبنــاء جنسه ، وبالإضافــة إلى الوقت ، إذ يمكن أنْ يَظهر في وقـت آخـر مِثْلـه ، وبالإضـافة إلى بعـض الخصال دون الجميع ، فلا وحدة على الإطلاق إلّا لله تعالى .

وقال بعضهم : الواحد الذي لا ثـاني لـه ، ولا نـد لــه ، ولا يمـاثلــه في ذاتـه وصفاتـه أحـد .

قـــال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④ ﴾ (1) .

وكان الشيخ أبو بكر بن فورك يقول : الواحد في وَصْفـه سبحانــه لـه ثـلاث معان ، ولـفظ الواحد في كلها حقيـق : أحدها أنه لا قـسم لذاتـه وأنـه غير متبعّض ولا متجزّئ ، والثـاني أنـه لا شـبيه لــه ، والثــالث أنه واحد على معنى أنـه لا شريك لـه في أفعالـه .

والأَوّلـون قـالوا : هـذه المعـاني الثلاثــة مـستحقّـة لله تعـالى ، ولفـظ التوحيد فيه حقيقـة في نَـفْـي القسمـة وفي الباقـي مجـاز .

((ملاحظـة)) : والتوحيد ثلاثـة :

(1) : سـورة الإخـلاص .

١- توحيد الحق سبحانه لنفسه ، وهو عِلْمه بأنه واحد وإخباره عنه بأنه واحد .

٢- وتوحيد العبد للحق بهذا المعنى .

٣- وتوحيد الحق للعبد ، وهو إعطاؤه له التوحيد وتوفيقه لذلك .

قال الجنيد : التوحيد إفراد القدم عن الحدث .

وقال ذو النون المصري : التوحيد أنْ تعرف أنَّ قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج ، وصُنْعه للأشياء بلا مزاج وعِلّة ، كلُّ شيء صَنَعَه ولا عِلّة لِصُنْعه .

وقيل : التوحيد أنْ تَعلم أنَّ كلَّ ما يخطر ببالك مِمّا ترتقي إليه كيفية ، أو تنتهي إليه كمية ، أو تنتمي إليه مائية ، أو تليق بِوَصْفه أَيْنِيّة ، فالله جل جلاله بخلافه .

* * * * *

الصَّمَد

(**الصَّمَـد**) السَّـيِّـد الذي يصمد ويفــزع إليـه كـل مخلـوق ، ويُــفزع إليـه في الشدائـد كذلك .

أو هو الذي يُـطْعِـم .

أو الـمنـزّه عن الآفـات .

أو البـاقـي الذي لا يـزول .

وهو مِنْ أسمـاء الـذات ، أو التنـزيـه .

وقيـل: الصّمد السيّـد الباقي الدائم، الذي لا يعتريـه ملـل ولا كَلـل ، ولا تــأخذه سِنــة ولا نــوم ، ولا يحتـاج إلى المـاء أو الهـواء أو الطعـام أو الشراب ... أو ما تحتـاج إليـه الخلائـق .

وهو وَصْفٌ مُبَيِّــنٌ لخـصوصيات الأَحـد الـذي أَوْجَـدَ الوجـود ، وجميعُ العوالم مفتـقـرة إليه محتاجـة إلى فَـيْـضه ورحمتـه ، فـلا يـصمد في الحوائج إلّا إليـه .

وقال القشيري : الصمد اسم مِن أسمائه تعالى ، ومعناه الباقي الذي لا يزول ، وقيل : الدائم ، وقيل : هو الذي لا يُطْعَم ، وقيل : هو الذي لا خوف له .

وأمّا أهل اللّغة فإنهم قالوا : الصمد الذي يُصمد إليه في الحوائج ، وهذا هو الصحيح .

وقيل : هو السيّد الذي ينتهي إليه السُّؤْدد ، وهو يؤول إلى ما ذكرناه أنه الذي يصمد إليه في الحوائج ؛ لأنَّ القصود والرغائب تُتَوَجّه إلى ذوي السّؤدد والأكابر .

فإذا قيل : إنه بمعنى الباقي الدائم الذي لا يزول ، فمِنْ حق مَن عرفه بهذا الوصف أنْ يعرف نفسه بالفناء والزوال ووشك الارتحال ، ويلاحظ الكون بعين الفناء ، فيزهد في حطامها ولا يرغب في حلالها فضلاً عن حرامها .

ولهذا قال أهل الحكمة : لو كانت الدنيا مِنْ ذهبٍ يفنى ، والآخرة مِن خزف يبقى ، لَوَجَبَ على العاقل أنْ يزهد في الذهب الفاني ويرغب في الخزف الباقي ، فكيف والدنيا مَذِرة ومآلها إلى الفناء ؟

وأمّا مَنْ عَلِمَ أنه الصمد بمعنى أنه لا يُطْعَم ، عَلِمَ أنه يُطْعِم ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾[1] . فتتوجّه رعايته عند

---

(1) : سورة الأنعام ، الآية ١٤ .

مآربه إليه ، ويصدق توكّله في جميع حالاته عليه ، فلا يتّهمه في رزقه ، كما أنه لا يستعين بأحدٍ مِن خَلْقه عليه ، فإنَّ الذي يحتاج إلى ملبوس ومأكول لا تصدق الرغبة إليه في مَأْمول ، ولا يُرجى منه النّجح لمسؤول .

وإذا عرف أنه الذي يُصمد إليه في الحوائج شكى إليه فاقته ، ورفع إليه حاجته ، وتَمَلّق بجميع تضرّعه ، وتقرّب بصنوف توسّله .

* * * * *

القادر المقتدر

(**القـادر**) الذي لا يـشذّ عنـه شـيء .

و(**الـمُقْـتَـدِر**) ذو القدرة البالغـة ، إلّا أنَّ الـمقـتدر أبلغ مِـنَ القـادر لزيـادة الـمبنـى .

قال الغزالي رحمه الله تعالى : معنـاهما ذو القدرة ، لكن الـمقـتدر أكـثر مبالغـة ، والقـدرة عبارة عن المعنـى الذي بـه يوجَـد الـشيء متقـدراً بتـقدير الإرادة والعلم ، واقعـاً على وفـقهمـا .

والقادر هو الذي إنْ شاء فعل وإنْ شـاء لم يفعـل ، ولـيس مِـن شرطـه أنْ يشاء لا محالـة ، فإنَّ الله قادر على إقامـة القيامـة الآن ؛ لأنـه لـو شـاء أقـامها ، فإنْ كان لا يُـقيمها لأنه لـم يشأهـا ولا يشاؤها لِـمـا جـرى في سابق علمـه مِنْ تـقدير أجلها ووقـتها ، فذلك لا يقدح في القـدرة .

والقادر المطلـق هـو الـذي يخـترع كـلَّ موجـود اختراعـاً ينفـرد بـه ، ويستـغنـي فيـه عن معاونـة غـيره ، وهو الله تعالى .

وأمّا العبد فله قدرة على الجملة ولكنها ناقصة ، إذ لا يتناول إلّا بعض الممكنات ولا يصلح للاختراع ، بل الله تعالى هو المخترع لمقدورات العبد بواسطة قدرته مهما هيّأ له جميع أسباب الوجود لمقدوره . وتحت هذا غور لا يحتمل مِثْل هذا الكتاب كَشْفه .

وقال بعضهم: القادر الذي لا يعجزه شيء إيجاداً أو إعداماً أو تغييراً أو إعادة ، ولا يتقيّد بالأسباب لأنه خالقها ، فيخلق نتيجةً بلا سبب ولا مقدمة ، وهي صفة ثابتة لذات واجب الوجود ، قال ﷻ : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[١] .

وذاكره يكون قديراً ، كفؤاً في عمله ، معتمداً على الله في مغالبة أعدائه بسلطان الحق .

والمقتدر القادر الذي لا يستعين بأحد ، وليس لقدرته بداية ولا نهاية ، دائم الاقتدار ، تبدو آيات قدرته على الدوام في عوالم المخلوقات ، قال ﷻ : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾[٢].

وذاكر هذا الاسم يكون حَسَن التقدير والتدبير ، مُسْتكفياً بالله ، مُسْتعيناً بِحَوْله وقوّته .

---

[١] : سورة يس .

[٢] : سورة الكهف .

وقال القشيري : القـادر اسم مِن أسمـائه تعالى ، والقـدرة صـفة مِـن صفاتـه تعالى ، والـمقـتدر مِن أسمـائـه سبحانـه .

قـال الله تعالى : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾(١) .

وحقيقـة القـادر مَنْ له قدرة ، وحقيقـة القدرة ما يـقدر بها المراد عـلى حسب قَـصْد الفاعـل في الوقـوع . ثـم جهـة الوقـوع تختلـف إلى خَلْـقٍ وكَسْبٍ ، فـقدرة الحـق سبحانه تصلح للخَلْـق ، وقـدرة الخلـق تـصلح للكسب . والخلـق لا يوصَف أحدٌ منهم بالقدرة عـلى الإيجـاد ، والحـق سبحانـه لا يوصف بالقدرة على الكسب .

ولله قدرة واحدة يقـدر بـها على جميـع المقـدورات ، لا يخـرج مقـدور عن قدرتــه ، ولا نهايــة لـمقدوراتــه . والــمعدوم يكـون مقـدوراً ، والـمخلوق في حال الحدوث يكون مقدوراً ، والاقـتـدار افـتعـال مِـنَ القـدرة .

والدليـل على وجوب كونـه قادراً استحالـة الوصـف لـه بـأنْ يكـون عاجـزاً ، ووجود أفعالـه أيضاً تدلّ على قدرتـه .

* * * * *

(١) : سـورة القـمـر .

المقدم المؤخر

(الـمُقَــدِّم) الـذي يُــقدّم بعـضَ الأشـياء عـلى بعـض في الوجـود كـتـقديم الأسـباب على مسبّبـاتـها ، أو في الشرف والقربـة كـتـقديم الأنبيـاء والصالحـين على مَن عداهم ، أو في المـكان كـتــقديم أجـساد علويـة على سفليـة ، أو في الزمان كـتـقديم أطـوار عـلى أطـوار بعـدها وقرون على بعضها ، كمـا اقـتضت حكمتـه العليّـة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

و(الـمُؤَخِّـر) هو الذي يؤخّر بعض الأشياء على بعض ....

وهما مِنَ الأسمـاء الـمزدوجة المتـقابلـة التي لا يُطلـق واحـدٌ بمفـرده على الله إلّا مقروناً بالآخر ، فإنَّ الكمـال مِن اجتمـاعهمـا ، فهـو تعـالى الـمُقَدِّم لِـمَنْ شـاء والـمُؤَخِّـر لِـمَنْ شـاء بحكمتـه .

وهذا التـقديم يكـون كونيـاً كتقـديم بعـض المخلوقـات عـلى بعـض وتـأخير بعـضها عـلى بعـض ، وكتــقديم الأسـباب عـلى مـسبّباتها ،

والشروط على مشروطاتـها .

وهذان الوصفان وما أشبههمـا مِنَ الصفات الذاتيـة لكونهمـا قـائمين بالله واللهُ متّصف بهمـا ، ومِن صـفات الأفعـال لأنَّ التقـديم والتـأخير متعلّـق بالمخلوقات ذواتـها وأفعالهـا ومعانيهـا وأوصـافها ، وهـي مِـنْ إرادة الله وقدرتـه .

قال أبو حامد الغزالي : الـمُقدّم والـمؤخّر هو الذي يُـقـرّب ويـبعد ، ومَنْ قـرّبـه فـقد قـدّمـه ، ومَنْ أبعده فـقد أخّـره .

وقد قـدّم أنبيـاءه وأوليـاءه بتـقـرّبهم وهدايتـهم ، وأخّـر أعـداءه بإبعادهم وضرب الحجاب بينـه وبينهم .

والقُدّام تارة يكون في المكان ، وتارة يكـون في الرتبـة ، وهـو مـضاف لا محالة إلى مُتَـأَخِّرٍ عنه ، ولا بد فيه مِن مقصد هو الغاية ، بالإضافة إليـه يتـقدّم ما يتـقدّم ويتـأخّر ما يتـأخّر ، والمقصد هو الله ﷻ .

والـمُقدَّم عند الله تعالى هو الـمقـرّب ، فقد قـدّم الملائكة ثم الأنبيـاء ثم الأوليـاء ثم العلمـاء .

وكل متـأخّر فهو مؤخَّر بالإضافـة إلى مـا قبلـه ، مُقـدَّم بالإضـافة إلى ما بعده . والله ﷻ هو الـمقدّم والـمؤخّر ؛ لأنـك إذا أَحَلْـتَ تقـدّمهم وتأخّرهم على توفيرهم وتقصيرهم وكمـالهم في الـصفات ونقـصهم ، فمَنِ الذي حملهم على التوفير بالعلم والعبـادة بإثـارة دواعـيهم ؟ ومَـن

الذي حملهم على التـقصير بِصَرْفِ دواعيهم إلى ضد الصراط المستقيم ؟ وذلك كلّـه مِنَ الله تعالى ، فهو الـمُقَـدِّم والـمُؤخِّر . والمراد هو التقـديم والتـأخير في الرتبـة ، وفيـه إشـارة إلى أنـه لم يتـقدّم مَـنْ تَقَـدَّم بعلمـه وعملـه بل بتـقديم الله ﷻ إيّـاه ، وكذلك الـمتـأخّـر .

وقد صرّح بـذلك قولـه تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[1] .

وقوله تعـالى : ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[2] .

وقـال بعضهم : الـمُقَـدِّم الذي يُـقدّم الأشـياء فيضعها مواضعها .

وذاكـر هذا الاسم في الحرب يُـنصر على أعدائـه .

والـمُؤخِّر الذي يؤخّـر الأشياء إلى أماكنها وأزمانهـا ، وخَـصّص كـلَّ موجود بزمانـه ورتبتـه ، ولا تُـرَدّ مشيئـتـه .

وذاكـر هذا الاسم تَـحْسُـن توبتـه ، ويـتـرك الـمعاصي .

<u>((ملاحظـة))</u> : وإنَّ الله تعالى قـدّم قوماً في سابق حكمه ، فربمـا يُجـري

---

(1) : سـورة الأنـبيـاء .

(2) : سـورة السـجـدة .

عليهم أوصاف المطرودين ويقيمهم في صورة الـمبعَـدين وهم بحقائـق رحمتـه بالحكم السـابق مقـرّبون .

يُحكى عن جبر بن عمران اللؤلؤي ، وكان صالحاً يخـدم الفقـراء وداره بيت الضيافـة ، فنـزل عليه قومٌ ، فمـضى إلى القـاضي يطلـب لهـم شـيئاً منـه فلم يقدر ، فمضى إلى إنسان يهـودي كـان يميـل إلى الفقـراء وكـان يدفع إليهم أحياناً شيئـاً ، فذَكَـرَ حاجتـه إليـه فبعث إلى داره مـا احتـاج إليـه . فلمّـا نام القاضي رأى في منامـه أنه كان على بابِ قصرٍ مِن لؤلـؤة حمراء ، فهـمّ أنْ يدخلـه فمُنِـع منـه ، فقيـل لـه : إنَّ هذا كان لك فدُفِـعَ إلى فلان اليهودي . فلمّـا أصبح القاضي بكى وتضرّع ، ومـضى إلى جـبر ابن عمران فسألـه عن القصة ، فأخبره بحـديث اليهـودي . فاستحـضر القاضي اليهوديَّ وقال لـه : قصرٌ لك في الجنـة ، تَبِعْنِيـه بعـشرة آلاف درهم ؟ فـقال : لا ، فزاده فأبى ، فسألـه عن القصة فقصّ عليه الرؤيـا ، فقال : لا أبيعـه ولو طلبتَـه مني بـألوف ، ثـم قـال اليهـودي لجبر بـن عمران : اعرض علـيّ الشهادة ، فأسلم .

وكان اليهودي مِـمَّنْ قـدّمـه الله في سابق حكمـه ، وأخّـر القـاضي في مسـاواة حالـه .

❊ ❊ ❊ ❊

الأول الآخر

(**الأَوّل**) بلا بداية ، القديم السابق على كل شيء .

و(**الآخِرُ**) الباقي وحده بعد فناء كل شيء .

فهو تعالى أول بلا بداية ، وآخِر بلا نهاية .

وهما مِن أسماء الذّات .

قال الإمام الغزالي : اعلم أنَّ الأول يكون أولاً بالإضافة إلى شيء ، والآخِر يكون آخراً بالإضافة إلى شيء ، وهما متناقضان ، فلا يُتصوّر أنْ يكون الشيءُ الواحد مِنْ وجهٍ واحد بالإضافة إلى شيء واحدٍ أوّلاً وآخِراً جميعاً ! بل إذا نظرت إلى ترتيب الوجود ولاحظت سلسلة الموجودات المترتبة ، فالله تعالى بالإضافة إليها أَوّلُ ، إذ الموجودات كلها استفادت الوجود منه ، وأمّا هو فموجود بذاته وما استفاد الوجود مِن غيره . ومهما نظرت إلى ترتيب السلوك ولاحظت مراتب

منازل السائرين إليه فهو آخِرُ ، إذ هو آخر ما ترتقي إليه درجات العارفين ، وكلُّ معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة إلى معرفته ، والمنزل الأقصى هو معرفة الله سبحانه وتعالى .

فهو آخِر بالإضافة إلى السلوك ، أوّل بالإضافة إلى الوجود ، فمنه المبدأ أولاً ، وإليه المرجع والمصير آخِراً .

وقال بعضهم : الأوّل الذي ليس قبله شيء ، واجب الوجود لذاته ، ولا يحويه مكان ، ولا يشتمل عليه زمان . وذاكِره يهتدي ويرى الخير في أسفاره ، ولا يضل الطريق ، ويجتمع شمله .

والآخِر الذي أحاط علمُه بكل شيء ، وليس وراء المعرفة به علم ، ولا يُعرف بعده أحد ، الباقي بعد فناء خلقه ، فكل شيء بَدَأَتْه قدرتُه مختتمٌ بإرادته ، وكل شيء محدودٌ في علمه ، والله سبحانه وتعالى منزّه مِن أنْ يحدّه حد ، أنْ يكون له والد أو ولد ، لا تُخالطه الظنون ، ولا يَصِفه الواصفون . وذاكِره مع اسمه تعالى الأوّل يصفو باطنه ، ويزول همّه ، ولا يرى كرباً إلّا فرّج الله عنه .

وقال القشيري : وفي وَصْف القديم سبحانه الأوّل بمعنى القديم الذي لا ابتداء له ، وهو بمعنى السّابق في وَصْفه والأبدي والأزلي . وأمّا الآخِر في وصفه فهو بمعنى أنه لا نهاية ولا انقضاء لوجوده .

وكونه أوّلاً لا يقتضي أنْ لا يكون معه غيره ، وإنما علمنا أنه لم يكن

معه غيره في الأزل بدليلٍ آخر لا بكونه أوّلاً قديماً .

وليس إذا كان آخِراً يجب أنْ لا يكون معه غيره فيما لا يزال ، كما توهّم جهم وقال : إنه يُفني الجنة والنار حتى لا يبقى غيره ؛ لأنه قال : هو الأول والآخر ، فكما لم يكن معه في الأزل غيره لأنه أول ، كذلك لا يكون معه فيما لا يزال غيره لأنه آخِر ، وهذا الذي قاله باطل لِما ذكرناه .

وقيل : الأول إخبارٌ عن قِدَمه ، والآخِر إخبار عن استحالة عدمه .

وقيل : هو الأول بِحُسْن تعريفه ، إذ لولاه ولولا فضله ولولا ما بدأك به مِن إحسانه لَما عرفته . وهو الآخر بإكمال لطفه عمّا كان أولاً بابتداء عرفه .

وقيل : الأول بالهداية ، والآخر بالرعاية .

وقيل : الأول بالتحقيق ، والآخر بالتوفيق .

وقيل : الأول بالإسعاد ، والآخر بالإمداد .

وقيل : الأول بأنْ عَرَّفَك ، والآخر بأنْ شَرَّفَك .

((تنبيه)) : ويقال : الأول بودّه لك بديّاً ، إذ لولا أنه بدأك بسابق ودّه لَما أخلصت له في عقده وعهده . فأين كنت حيث كان لك ؟ ومتى كانت رحمة أبيك وشفقة أمك وذويك وقد قسم لك الإيمان ،

ورضي لك الإسلام ، وسمّـاك بالصلاح فقال عـزّ مِـن قائـل : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1] ؟ جاء في التـفسير أنهم أُمّـة محمد ﷺ .

آثـرك في سابق القِـدم ، وحكـم لـك بـصدق القــدم . ربّــاك بفنـون النِّـعَم ، وعَصَمَك عن سجود الصنم ، واختـارك عـلى جمـيع الأُمــم . وردّاك برداء الإيمـان ، وتلقّـاك بجميل الإحسان ، ورقّــاك إلى درجـة الرضـوان . وحرسـك مِـنَ الـشرك والبِـدَع ، وألقـى في قلبـك حُـسْن الرجاء والطمع ، وإنْ لم يُـلبسك رداء الوفاء والـورع فلـم يـشملك مِـن لطفـه بنهايـة الفـزع .

وإنَّ الذي هداك في الابتـداء لهو الذي يكفيك في الانتـهاء .

*****

---

(١) : سـورة الأنـبيـاء .

الظاهر الباطن

(**الظّاهِرُ**) الجَلِيّ وجوده بآياته الباهرة ، كلُّ شيءٍ في الكون يدل على ظهوره ، فليس فوقه شيء سبحانه .

و(**الباطِنُ**) الخفي بكنه ذاته عن بصر الخلائق إليه .

وهما مِن أسماء الذّات .

وهذان الوصفان أيضاً مِنَ المضافات ، فإنَّ الظاهر يكون ظاهراً لشيءٍ وباطناً لشيء ، ولا يكون مِنْ وجهٍ واحد ظاهراً وباطناً ، بل يكون ظاهراً مِن وجه بالإضافة إلى إدراك وباطناً مِن وجه آخر ، فإنَّ الظهور والبطون إنما يكون بالإضافة إلى الإدراكات ، والله سبحانه وتعالى باطن إنْ طُلب مِن إدراك الحواس وخزانة الخيال ، ظاهر إنْ طُلب مِن خزانة العقل بطريق الاستدلال .

فإنْ قلت : أمّا كونه باطناً بالإضافة إلى إدراك الحواس فظاهر ،

وأمّا كونه ظاهراً للعقل فغامض ، إذ الظاهر ما لا يُتمارى فيه ولا يختلف الناس في إدراكه ، وهذا مِمّا قد وقع فيه الرَّيْب الكثير للخلق فكيف يكون ظاهراً ؟! فاعلم أنه إنما خفي مع ظهوره لشدة ظهوره ، فظهوره سبب بطونه، ونوره هو حجاب نوره ، وكلُّ ما جاوز حدّه انعكس على ضده .

ولعلّك تتعجّب مِن هذا الكلام وتستبعده ولا تفهمه إلّا بمثال ، فأقول : لو نظرت إلى كلمة واحدة كَتَبها كاتبٌ لاسْتَدْلَلْت بها على كون الكاتب عالِماً قادراً سميعاً بصيراً ، واستفدت منه اليقين بوجود هذه الصفات ، بل لو رأيت كلمة مكتوبة لحصل لك يقين قاطع بوجود كاتب لها عالِمٍ قادر سميع بصير حي ، ولم يدل عليه إلّا صورة كلمة واحدة .

وكما تشهد هذه الكلمة شهادة قاطعة بصفات الكاتب ، فما مِنْ ذرة في السماوات والأرض مِنْ فلك وكوكب وشمس وقمر وحيوان ونبات وصفة وموصوف ... إلّا وهي شاهدة على نفسها بالحاجة إلى مُدَبِّرٍ دبّرها وقدرها وخصّصها بخصوص صفاتها ، بل لا ينظر الإنسان إلى عضو مِن أعضاء نفسه وجزء مِن أجزائه ظاهراً وباطناً ، بل إلى صفة مِن صفاته وحالة مِن حالاته التي تجري عليه قهراً بغير اختياره ، إلّا ويراها ناطقة بالشهادة لخالقها وقاهرها ومُدَبّرها .

وكذلك كل ما يدركه بجميع حواسه في ذاته وخارجاً مِن ذاته ، ولو كانت الأشياء مختلفة في الشهادة يشهد بعضها ولا يشهد بعضها لكان اليقين حاصلاً للجميع ، ولكن لَـمّا كثرت الشهادات حتى اتّفقت خَفِيَتْ وغمضت لشدة الظهور .

ومثاله أنَّ أظهر الأشياء ما يدرك بالحواس ، وأظهرها ما يدرك بحاسة البصر ، وأظهر ما يدرك بحاسة البصر نور الشمس المشرق على الأجسام الذي به يظهر كل شيء ، فما به يظهر كل شيء كيف لا يكون ظاهراً ؟!

وقد أشكل ذلك على خَلْق كثير حتى قالوا : الأشياء الملونة ليس فيها إلّا ألوانها فقط مِنْ سواد وحمرة ، فأمّا أنْ يكون فيها مع اللون ضوء ونور مقارِن للّون فلا . وهؤلاء إنما نُبّهوا على قيام النور بالمتلوّنات بالتفرقة التي يدركونها بين الظل وموضوع النور وبين الليل والنهار ، فإنَّ الشمس لَـمّا تصوّر غيبتها بالليل واحتجابها بالأجسام المظلمة بالنهار انقطع أثرها عن المتلونات ، فأُدركت التفرقة بين المتأثر والمستضيء بها وبين المظلم والمحجوب عنها ، فعُرِفَ وجود النور بعدم النور إذا أُضيف حالة العدم إلى حالة الوجود ، فأُدركت التفرقة مع بقاء الألوان في الحالتين . ولو أطبق نور الشمس كل الأجسام الظاهرة لشخص ، ولم تغب الشمس حتى

يُدرك التفرقة ، لَتعذّر عليه معرفة كون النور شيئاً موجوداً زائداً على الألوان مع أنه أظهر الأشياء ، بل هو الذي به يظهر جميع الأشياء . ولو تُصوّر لله تعالى وتقدّس عدمٌ أو غيبة عن بعض الأمور لانهدت السماوات والأرض وكل ما انقطع نوره عنها ، ولأُدركت التفرقة بين الحالتين وعُلِمَ وجوده قطعاً ، ولكن لَـمّا كانت الأشياء كلها متّفقة في الشهادة والأحوال ، كلها مطردة على نسق واحد ، كان ذلك سبباً لخفائه .

فسبحان مَنِ احتجب عن الخلق بنوره ، وخفي عليهم بشدة ظهوره ! فهو الظاهر الذي لا أظهر منه ، وهو الباطن الذي لا أبطن منه .

قال الإمام القشيري : وأمّا الظاهر في وصفه تعالى قيل : معناه القادر على خلقه ، والباطن في وصفه تعالى قيل : بمعنى العليم بخلقه الـمُدَبّر لأحوالهم .

وقيل : معناه الظاهر بآياته وبراهينه ودلالات توحيده ، والباطن الـمُتعزّز على قوم حتى جحدوه ولم يتحقّقوا بوجوده .

((فصل)) : قيل : لَـمّا قال إبليس : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾(١) ، أي لآتينّهم مِن بين أيديهم لِأُشكّكهم

---

(١) : سورة الأعراف ، الآية ١٧ .

في أمـر آخرتهم ، ومِنْ خلفهم لِأُزيّن لهم أحوال الدنيـا ، وعن أيمـانهم لِأُنسينّـهم أمـر الآخرة ، وعن شمـائلهم لِأُزيّـن الباطـل في أعيـنهم . قال الله تعالى : أنـا الأوّل أحفظ عليهم ديـنهم ، وأنـا الآخِـر أَخْـتم لهـم بالسعادة ، والظاهر أفيـض عليهم النِّـعَم ، والباطن أسبغ عليهم المِـنَن ، وأكفيهم أشغالهم ، وأصون بالسعادة ما لهم ، وأصلح أعمـالهم ، وأدق آمـالـهم .

وقيـل : قال لإبليس : إني سلّطتُـك عليهم مِنْ جهاتـهم الأربع ، فمـا سلّطتـك عليهم مِنْ فوقهم ولا مِن تحتـهم ، بل أُمطر عليهم مِن فـوقهم الرحمـة ، وأخسف مِن تحـتهم ما اجترحوه مِنْ معاصيهم .

ذلك جزاء مَنْ كان الله تعالى لـه في أزلـه قبـل أنْ كان لنفسـه بلا حـق فعلـه .

* * * * *

الوالي

(**الوالـي**) الذي تولّـى كل شيء وملكـه ، فمرجعـه هنـا للقدرة .

وقيـل : مالك الأشـياء الـمتصرّف فيها بالعـدل والرحمـة والإحسان .

وذاكـره يـرضى بولايـة الله ولا يـركن إلى غـيره ، ويـأمن الـصواعق والرجـف والزلازل .

وقال الإمام الغزالي: الوالـي هو الـذي دبّـر أمـور الخلـق ووَلِـيَــها ، أي تولّاها وكان مليّاً بولايتها . وكأنّ الولايـة تُـشعر بالتـدبير والقـدرة والفعل ، وما لم يجتمع جميع ذلـك فيــه لم ينطلـق اسم الـوالي عليـه ، ولا والي للأمور إلّا الله ﷻ ، فإنـه الـمتـفرّد بتـدبيرها أولاً ، والـمنــفّذ للتدبير بالتحقيق ثانيـاً ، والقائم عليها بالإدامـة والإبـقاء ثالثـاً .

وقال الخطابي: الوالي هو المـالك للأشياء والـمُولـي عليها ، والمـتصرّف فيها يصرفـها كيف شـاء ، ينـفّذ فيـها أمـره ويجـري عليها حكمـه .

*****

المتعال

(**الـمُـتَعال**) المرتـفع عن النقائـص والمـنـزّه عنها ، البالـغ في العلاء .

قـال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾[1] .

ومرجعـه هنـا للتنزيـه .

وقيـل : الـمنزّه عن النقـائص وصـفات الحـدوث ، وهـو العَلِـيّ في ذاتـه الـمتعـالـي في صفاتـه .

وذاكِـره يكون مِنْ أهـل الأخـلاق الطيبـة ، وتعلـو همتـه ، وتـتّـسع مروءتـه .

وقال الإمام الغزالي : الـمتعالـي بمعنى العلـي مع نـوعٍ مِـنَ المبالغـة ، وقد سـبق معنـاه[2] .

* * * * *

---

(1) : سـورة الإسـراء .

(2) : انظر ص ١٥٠ – ١٥٢ .

البر

(**البَـرُّ**) الـمُحْسِن العظيم .

وقيـل : الذي كَـثُـرّ خـيره ولا ينـفكّ عطاؤه ، ولا ينقطع لطفـه بأهـل معرفتـه وقُـرْبـه .

وذاكِـره يكون رحيمـاً بـارّاً بوالديـه والأقربين ، متوكّلاً كثير الأرزاق .

وهذا الوصف في الله تعالى مِن أوصاف فعلـه ، وهو مضاف إلى عبـاده كلهم في الدنيـا وإلى الخصوص في الأُخرى ؛ وذلك أنـه ما مِن شـخصٍ في الدنيا إلّا وَسِعـه بِـرّ الله تعالى وفاض عليه إحسانـه ؛ ولـذلك عـمّ في قولـــه : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1] . وأمّـــا في الأخـــرى فلا يختـصّ ببـرّ الله تعالى إلّا مَنْ أنـعم عليه بجواره وأسكنــه بحبوحـة أنواره ، لا مَنْ أحلّـه في نـاره ، فهو سبحانـه الـبَرّ بعبـاده .

---

(١) : سـورة لـقـمـان ، الآيـة ٢٠ .

وقد اختُلف في تأويله ، فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ﴾[1] يقول : اللّطيف .

وقال الحليمي : البَرُّ الرفيق بعباده ، يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر ، ويعفو عن كثير مِن سيئاتهم ولا يؤاخذهم بجميع جناياتهم ، ويجزيهم بالحسنة عشر أمثالها ولا يجزيهم بالسيئة إلّا مثلها ، ولا يكتب لهم الهَمَّ سيئةً .

وقيل : البَرُّ المُحْسِن ، قاله ابن فورك .

وقال الإسفرايني : البَرُّ هو المريد لإعزاز أوليائه .

وقال القشيري : هو العطوف على عباده المحسن إليهم ، عَمَّ ببِرّه جميع خَلْقه .

وهذا القول ذكره الخطابي وزاد : فلم يبخل عليهم برزقه ، وهو البَرُّ بأوليائه إذْ خصّهم بولايته واصطفاهم لعبادته، وهو البَرُّ بالمُحْسِن في مضاعفة الحسنات له ، والبَرُّ بالمُسيء في الصَّفْح والتّجاوز عنه.

وقال الحليمي : ويقال : إنَّ البَرَّ في صفات الله تعالى هو الصادق ، مِنْ قولهم : بَرَّ في يمينه إذا صدق فيها .

وقيل : البَرُّ الواسع بالخير ، والبّار الواسع .

(1) : سورة الطور ، الآية ٢٨ .

فالله سبحانه البَرُّ بعباده العطوف عليهم والمحسن إليهم ، يوسعهم خيراً وكرماً وفضلاً وشكراً وإجابة .

والعبد بَرٌّ بربه يشكره ويسارع في مرضاته ، ويُجانب ما يكرهه .

فيجب على كل مكلّف أنْ يعلم أنَّ الله سبحانه هو البَرُّ الرّحيم بالوجود ، ثم يجب عليه مَبَرّته ومَبَرّة كُتبه ورسله وأوليائه والعلماء وأهل طاعته ، وبرّ والديه .

وإذا وَجَبَتْ مبرّة والديه لتربيته ، فمبرّة الرب الأعلى لربوبيته أحرى وأَوْلى ، فيتضاءل لعظمته ويتصاغر لكبريائه ، ويؤدّي إليه حقَّه ، ويقف نفسه عند حظها ، ويراقب حتى يتوجّه منه إليه أمر يقوم به ويعمل عليه ، ويبرّ وُلاة الأمر بالسمع والطاعة ، وعامة المسلمين بالنُّصْح لهم .

* * * * *

التَّوّاب

(**الـتَّـوّاب**) الذي وَفَّـقَ الـمذنبـين للتوبـة وقَـبِلَهـا منـهم .

قال أبو حامد الغزالي : التـوّاب هـو الـذي يرجـع إلى تيـسير أسـباب التوبـة لعباده مرة بعد أخرى بمـا يُظهـر لهم مِنْ آياتـه ، ويَـسوق إلـيهم مِن تنبيهاتــه ، ويطلعهـم عليهـا مِـن تخويفاتــه وتحذيراتــه ، حتـى إذا اطّــلعوا بتعريفــه عـلى غوائـل الـذنوب استـشعروا الخـوف بتخويفـه فرجعوا إلى التوبـة ، فيرجع إليهم فضل الله تعالى بالقبـول .

وقال بعضهم: التـوّاب الذي يَـقبل أسباب التوبة ، ويشفق على عبـاده مِنَ المعاصي والـذنوب ، ويُعيـنهم عـلى مغالبـة الـشهوات وينـير لهـم ، ويُصلّي عليهم هو وملائكتــه ليخـرجهم مِـنَ الظلمــات ، ولا يعجـل بالعقوبـة ، فإذا رجع العبد إليـه وأنـاب تاب عليـه وقَبِـلَ توبتـه ، وهيّـأ له أسباب النجاح والفلاح .

وذاكِـره يتـوب الله عليـه ، وتكـثـر أرزاقـه .

وقال القشيري : معنى الوصف بأنَّ الله سبحانه تـوّاب أنـه يتوب عـلى العبد ، أي يعود عليه بألطافـه ويُـيَسِّـر التوبـة لـه .

قيـل : توبـة الله على العبد خَلْقـه التوبـة لـه ، وقيل : قبولـه لتوبتـه .

قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾[1] .

فاعلم أنه إذا لم يتب الله على العبد لا يتوب ، فإذاً ابتداء التوبة وأصـلها مِنَ الله ﷻ ، وكذلك تمامها على الله سـبحانه ، ونظامهـا بـالله نظامهـا في الحال وتمـامها في الـمـآل ، ولولا أنَّ الله تعالى يتوب على العبد وإلّا متـى كان للعبـد توبـة ؟

وقومٌ مِنْ أهل الحكمة يقولون : إنَّ العبد يزجـره العلـم عـن المعـاصي فيتوب لتكلّفـه ، فربمـا يـنقض توبتـه ويُعيـد بطالتـه ، فأمّـا إذا أراد الله سبحانه بعبـدٍ خيراً وحَكَمَ بصحة توبتـه ، كان ذلك آخـر عهـده بتلـك الزلّـة فلا ينـقض تلك التوبـة .

وإنَّ مِن كرم الله سبحانه أنْ يُضيف التوبة على العبد إلى نفسه ، فالعبـد يُذنب وهو يتوب عليـه ، وهذا حقيقـة الكرم .

قال الله سبحانه : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

---

(1) : سـورة التـوبـة ، الآيـة ١١٨ .

ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[1] .

وقيل : إنَّ الله تعالى أخبر عن سنن مَنْ مضى وما عملوا ، ثم أخبر عمّا عاملهم به مكافأةً لهم على ما قدّموا وأسلفوا .

قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ ﴾[2] ، يعني به صنوف معاصيهم وفنون مخالفتهم .

ثم أخبر عمّا عاملهم به فقال : ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ ﴾[3] ، فانتظرت هذه الأُمّة وقالت : ما يعاجلنا به على قبيح ما أسلفنا ، فقال تعالى : ﴿ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ ﴾[4] .

أولئك أبلاهم وعذّبهم ، وهؤلاء تاب عليهم ورحمهم ، سُنّة منه

---

(1) : سورة النساء .

(2) : سورة النساء .

(3) : سورة العنكبوت ، الآية ٤٠ .

(4) : سورة النساء ، الآية ٢٦ .

كريمة مَضَتْ بتخصيص هذه الأُمّة ؛ ولهذا أثبت في اللّوح المحفوظ : " أُمّة مذنبة ورَبٌّ غفور " .

وفي خبر مسند عن عباس بن مرداس السلمي " أنَّ رسول الله ﷺ دعا لأُمته عشيّة عرفة بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء ، فأجابه تعالى : إني قد فعلتُ إلّا ظلم بعضهم بعضاً ، فأمّا ما بيني وبينهم فقد غفرتُها . فقال : يا رب فإنك قادر أنْ تُثيب هذا المظلوم خيراً مِن مظلمته ، وتغفر لهذا الظالم ؟ فلم يجبه تلك العشيّة ، فلمّا كانت غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه : إني قد غفرتُ لهم . ثم تبسّم رسول الله ﷺ ، فقال له بعض أصحابه : يا رسول الله إنك قد تبسّمتَ في ساعة لم تكن تبسّم فيها ! فقال : تبسّمتُ مِن عدو الله إبليس أنه لَمّا أنْ عَلِمَ أنَّ الله قد استجاب لي أخذ يدعو بالويل والثبور ، يحثو التراب على رأسه "(١) .

*****

(١) : رواه ابن ماجة في سننه ، وأحمد في مسنده ، والبيهقي ، والحميدي ، والمقدسي في المختارة ، وابن عبد البر في التمهيد ، وأبو يعلى ، والضحاك في الآحاد ، وأبو نعيم الأصبهاني ، والفاكهي في أخبار مكة ، وابن عساكر في تاريخه .

المنتقم

(**الـمُنْـتَـقِـم**) الـمعاقب للظلمـة والعصاة الشـاردين .

قال الغزالي رحمه الله تعالى : هو الذي يقـصم ظهـور العُتـاة ، ويُنكّـل بالجناة ، ويُشدّد العقاب على الطغـاة ، وذلـك بعـد الإعـذار والإنـذار ، وبعد التمكين والإمهال .

وهو أشد للانتـقام مِنَ العاجلـة بالعقوبـة ، فإنه إذا عوجـل بالعقوبـة لم يُمْعِـن في المعصيـة ، فلم يستوجب غايـة النكال في العقوبـة .

وقال بعضهم : الـمنتـقم الذي أَعَـدّ للكفرة جهنم وساءت مـصيراً ، وهو القوي العزيز القادر على إهـلاك أهـل الكفـر والظلـم والمعـاصي ، ويعجل بالعقوبة للزجر وشـدة الانتقـام وعـبرةً للمـؤمنين ، ويؤخّرهـا بـشدة الانتقـام وازدراءً بـالكفرة والمـشركين . وهـو صـاحب الفـضل والإحسان على العالمـين ، الذي يُرجـى خـيره ويُرهَـب جانبـه .

وذاكره يقوى على مغالبة الأعداء ، ويكون مِن أهل العدل في الأحكام .

قال القشيري : وانتقام الله تعالى عقوبته للعصاة على ما كَرِهَ منهم ، وليس كراهيته ككراهية الخلق مِن نفور النفس ولحوق المشقّة ، وإنما معناه ذمّه لِما كَرِهَه ، وذمّ فاعله والحكم بعقوبته .

والله تعالى ينتقم مِن عباده بعد طول الإعذار والإنذار ، وكثرة الإمهال وسابق الحكم ، فإذا أبى العبد إلّا إصراراً وعتوّاً وإعراضاً عن موافقته انتقم منه بعد ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[1] .

ثم إنَّ الله تعالى قد يغضب في حق خَلْقه بما لا يغضب في حق نفسه ، وينتقم لعباده ما لا ينتقم لنفسه في خالص حقِّه .

حُكِيَ أنَّ نبيّاً مِنَ الأنبياء عارضه سبع في طريقه ، فلطمه النبيُّ ، فلطم السبع ذلك النبي ، فقال ذلك النبي : إلهي هذا كلبك وأنا نبيّك وقد لطمني ، فأوحى الله إليه : لطمة بلطمة والبادي أظلم .

---

(١) : سورة النحل .

فمَنْ عرف عظمته خشي نقمتــه ، كمــا أنَّ مَـنْ عـرف كرمــه أمـل لطفـه ونِعَمـه .

ثم إنَّ أكـثر انتـقام الله تعالى مِنْ عباده إنمـا يكون بتسليط مَنْ لا يعرفه عليهم ، بذلك وردت الآثـار : " إذا عصاني مَنْ يعرفنـي سـلّطتُ عليـه مَنْ لا يعرفنـي "[1] .

قيـل : إنَّ جماعة اجتمعـوا عـلى نبـيٍّ مِـنَ الأنبيـاء فقـالوا : مـا علامـة رضا الله عن الخلق ؟ فأوحى الله إليه : قل لهم : إنَّ علامة رضائي عـنهم أنْ أُولـي أُمورهم خيارهم، وعلامة غضبي أنْ أُولـي أمورهم شرارهم.

وقيل: إنَّ الله تعالى ينـتقم مِنَ الظالم بالظالم ، يُسلّط بعضهم على بعض.

فانتـقامـه تعالى على قسمين : معجّـل ومؤجّـل ، فالعـارفون يخـشون مفاجآت النقمـة وبغـتات العقوبات والمحنـة .

وربمـا يُظِـلّ البـلاء قوماً فينـبّههم الله للاعتـذار ، ويوفّـقهم للتوبـة قبل حلول النقمـة ، فيكشف عنهم الـضر والبـأس . كمـا فعـل بقـوم

---

[1]) : روى أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن سلام قال : قرأتُ في بعـض كتـب الله تعالى : " إذا عصاني مَن يعرفنـي سلّطتُ عليـه مَن لا يعرفنـي " .
وذكر ابن أبي الدنيا عن الفضيل بن عياض قال : أوحى الله إلى بعض الأنبياء : " إذا عصاني مَن يعرفنـي سلّطتُ عليه مَن لا يعرفنـي " .

يونس عليه السلام لَـمّـا غشيهم العذاب وطلبوا يونس ففقـدوه ، ورجعـوا إلى الله عز وجل بصدق الضرورة ، قَبِـلَ منهم العذر وكشف عـنهم الـضر ، قـال عـزّ مِن قائـل : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾[١] .

وحُكِـي أنَّ رجلاً مِن بني إسرائيل بلغ رتبـة الصدّيقـين ، فـذبح يومـاً عجلاً بين يدي أمـه ، فأسقطه الله عن مقامـه وسلبـه قلبـه ، فكان يَهـيم على وجهه يـهزأ منـه الصبيان . فمـرّ يوماً في هيمـانـــه بفـراخ طـير قـد وقعن مِنَ العش وقد غاب الطير ، فرحمهن فردّهن إلى العش ، فلمّـا عاد الطائر شكر الله تعالى ، فردّ الله سـبحانه إلى ذلـك الرجـل قلبــه وأعـاد وقتـه ، وبلّغـه رتبـة الأنبيـاء وجعله نبيـاً .

ويُروى عن أبي الدرداء أنه قال : إنَّ العبد يكون له وقـت طيّـب فيـأمر الله جل جلاله جبريل عليه السلام أنْ يرفع ذلك عـن قلبــه ، فـإنْ صـاح العبـد إلى الله تعالى بالدعاء والرغبـة ردّه إليه وزاد ، وإنْ لم يُبـالِ بـه لم يـصل إلى ذلـك أبداً وكان ذلك منـه نقمـة .

وقد يكون العبد يستجـير بربـه عقب زلّـتـه بـلا فـصل ، فـتـداركــه الرحمـة قبل حلـول النقمـة ، فيؤويـه إلى كـشف سـتره ، ويعجّـل لــه

---

[١] : سـورة يـونـس .

المـغفرة بلطيـف بـرّه .

يُحكى أنَّ بعض الأنبيـاء سُرِقَ له حمار فقال : إلهـي نبيـك سُرِقَ حمـاره فأطلعني عليـه ، فأوحى الله إليه : إنَّ ذلـك الرجـل الـذي سَرَقَ حمـارك سـألني أنْ أَسـتره ، وأنـا لا أُريد ردّه ولا ردّك ، فخُـذْ منـي حمـاراً آخـر حتى لا يفتـضح ذلك الرجـل .

((تنبيـه)) : الـمحمود مِن انتـقام العبد أنْ ينـتقم مِن أعداء الله تعـالى ، وأعدى الأعداء نفســه ، وحـــقّه أنْ ينـتقم منهـا مهمـــا قـارف معـصية أو أخـلّ بعبـاده .

كمـا نُـقِـلَ عن أبي يـزيد رحمـه الله أنـه قال : تكاسَلَتْ نفسي علـــيّ في بعض اللّيـالي عن بعض الأوراد ، فعاقبتُـها بأنْ منعتُـها المـاء سنـة .

فهكذا ينبغي أنْ يسلك سبيـل الانتـقام .

*****

العَفُوُّ

(**العَـفُـوُّ**) الذي يمحـو السيئـات عمَّنْ تـاب إليـه .

وهو أبلـغ مِنَ الغـفور ؛ لأنَّ الغَـفْـر هو الـستر ، وأمّـا العَفْــو فهـو الـمَحْـو التّـام .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] .

وهو مِن صفات الأفـعال .

وقيـل : الذي يعفـو عـن الكثـير ، ويُجـازي بالعطـاء الـوفير ، ويبـدّل الـسيئـات حـسنات ، ويذلّـل العقبـات ، ويخفّـف متـاعب الحيـاة والتكاليـف الحسيـة والمعنويـة .

---

(١) : سـورة الشـورى .

وذاكره يكون مِنْ أهل الحكمة والحلم ، ويفتح الله له أبواب الرضا والقبول .

وقال القشيري : العَفُوُّ الذي يعطي الكثير ، ويهب الفضل الجزيل .

والمعنى الثاني العَفْو بمعنى المحو والإزالة ، فالعَفُوُّ في وَصْفه تعالى على هذا التأويل إزالة آثار الإجرام بجميل المغفرة ، فالله سبحانه يعفو عن العباد إجرامهم وذنوبهم فيزيل أحكامها ، كما قال تعالى : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ (١) ، قيل : يمحو الذنوب مِنْ ديوان الحفظة وينسيها مِن قلوبهم وقلوب المذنبين .

رُوِيَ عن كعب بن عجرة قال : " قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه : فما تقولون في رجلٍ قُتِلَ في سبيل الله ؟ قالوا : الجنة ، قال رسول الله ﷺ : الجنة إن شاء الله . قال : فما تقولون في رجلٍ مات في سبيل الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : الجنة إن شاء الله . قال : فما تقولون في رجلٍ مات فقام رجلان ذوا عدل فقالا : لا نعلم منه إلّا خيراً ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : الجنة إن شاء الله . قال : فما تقولون في رجل مات فقام رجلان ذوا عدل فقالا : لا نعلم فيه خيراً ؟ فقالوا : النار ، قال رسول الله ﷺ : مذنبٌ والله غفور رحيم " (٢) .

---

(١) : سورة الرعد ، الآية ٣٩ .

(٢) : رواه البيهقي في الشعب ، والطبراني في الكبير ، وابن أبي الدنيا .

وقيل : كان بعبادان رجل مشهور بالخير وكانت له امرأة صالحة ، وكان لهما ابن فاسق لا يدع شيئاً مِنَ المعاصي ، وكان لا يقبل نصيحتهما ، فمرض فلم يعده أبواه ، فأرسل إليهما فقالا له : سحقاً لك وبعداً فإنك لم تَرْعَ حق الله تعالى ، فقال لأمه : لو كان إليك أمري ماذا كنتِ تعملين مكاني ؟ فقالت : كنت أتجاوز عنك ، فقال لها : إنَّ ربي أرحم بي منك . فمات ، فأظهر أبواه السرور بموته وقالا : إنَّ الله سبحانه قد خلّصنا منه ، ثم قالت والدته للأب : ائذن لي الليلة حتى لا نوقد السراج ونصلّي ونبكي على ولدنا إنْ كان مِن أهل النار . ففعلا ، فرأت أمه في المنام كأنَّ قائلاً يقول لها : إنَّ الله سبحانه قد غفر لولدكما بِحُسْن عزائكما .

وفي بعض الحكايات أنه كان شيخُ سَوْءٍ صاحب لهو فمات ، فرئي في المنام فقيل : ما فعل الله بك ؟ فقال : أقامني وقال لي : لولا أني أستحي مِن شيبتك لعذّبتُك .

ورُوِيَ عن بعض العلماء - وكان كبيراً في شأنه - قال : قلتُ في آخر مجلسي يوماً : اللّهم اغفر لِأقسانا قلباً ، وأجمدنا عيناً ، وأقربنا بالمعاصي عهداً. قال: وكان في بلدنا مُحِبٌّ معروف وَقَفَ على حلقتي فقال : أَعِدْ هذا الدعاء ثانياً ، فأنا أقساكم قلباً وأجمدكم عيناً

وأقربكم بالمعاصي عهداً ، فادْعُ الله لي حتى يتوب عليّ . قال : فرأيتُ الليلة الثانية في المنام ربَّ العزة يقول : سَرَّني حيث أَوْقَعْتَ الصلح بيني وبين عبدي ، وقد غفرتُ لك وله ولأهل مجلسك .

واعلم أنَّ عفو الله تعالى عن العباد ليس مِمّا يُستقصى بالعبارات كنه معانيه ، وفيما ذكرناه كفاية وبالله التوفيق .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الرؤوف

(**الـرَّؤُوفُ**) شـديد الرأفـة والرحمـة .

وهو أبلـغ مِنْ صفتـي الرحمـن والرحيـم .

قال الإمام الغزالي : الرؤوف ذو الرأفـة ، والرأفـة شـدة الرحمـة ، فهـو بمعنى الرحيم مع المبالغـة فيـه ، وقد سـبق الكلام عليـه [١] .

وقال بعضهم : الرؤوف الذي أخفـى رحمتـه بحكمتـه ليرهـب العبدُ جلالَـه ، وأظهرها بحنانـه ورأفتـه ليذوق العبد عوائد كرمه فلا يـيأس ويقوى على مغالبـة آلامـه . وهو أشـفق عـلى الولـد مِـن أمــه وأبيــه ، ولولا قضاؤه الحق وحُكْمه العدل وحِكْمتــه الخفيّــة مـا أخّــر لمـؤمن طلبـاً ، ولا رضي له مشقّـة ولا ألـمــاً ولا مرضـاً ولا حزنـاً ، ولم يذقـه

(١) : انظر ص ١٣ – ٢١ .

الـموت ، وقد جعل الله له مِن ذلك جزاء موفوراً في دار النعـيم ، عطـاء غـير محـدود .

وذاكِـره يَـشفى مِنَ الأمراض ويكون رقيـق القلب ، وإذا غلـب عليـه منـه حال لا تؤثّـر فيـه العوارض .

وقال القشيري : معنى الرحمـــة في الحقيقـــة إرادة النعمــة ، ورحمـةُ الله تعالى لعباده إرادتـه الإحسان إليهم ، وليس ذلك شرطاً عليه .

والله تعالى أرحم بعباده مِن كلِّ أحد ، ورحمتـه سبحانه في الـدنيا عامّـة للبَـرِّ وللفاجـر ، وهي في الآخرة للمؤمنـين خاصـة .

وفي بعض الروايات عن ابن عمـر قـال : " كنـا مـع رسـول الله ﷺ في بعض غزواتـه ، فمـرّ بقومٍ فقال : مَنِ القوم ؟ فقالوا : نحن المـسلمون ، وامرأة تَـحْصِبُ تَـنّورها ومعها ابنٌ لهـا ، فإذا ارتفع وهج التنور تنحّـت بـه ، فأتت النبي ﷺ فقالت : أنت رسول الله ؟ قال : نعم ، قالـت : بـأبي أنت وأمي أليس الله بأرحم الراحمين ؟ قـال : بـلى ، قالـت : أوَلـيس الله بأرحم بعباده مِنَ الأم بولدها ؟ قـال : بـلى ، قالـت : فـإنَّ الأم لا تلقـي ولدها في النـار ! فأكبّ رسول الله ﷺ يبكي ثم رفع رأسـه إليهـا فقـال : إنَّ الله لا يُعذّب مِن عباده إلّا الـمـارد الـمتمـرّد الـذي يتمـرّد عـلى الله وأبـى أنْ يقول : لا إلـه إلّا الله " [1] .

---

[1] : رواه ابن ماجة في سننـه .

أي ومَنْ أصرّ كذلك على ارتكاب المعاصي الكبائر والصغائر .

ومِن رحمته سبحانه بعباده أنْ يَصونهم عن موجبات عقوبته ، فإنَّ عِصْمته عن الزلّة أبلغ في باب الرحمة مِنْ غفران المعصية .

وربما يرحم عباده بما يكون في الظاهر مشقّة وشدة ، وهو في الحقيقة نعمة ورحمة .

وقد رُوِيَ في بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ قال : " إنَّ العبد ليدعو الله ﷻ وهو يُحبّه ، فيقول الله ﷻ : يا جبريل اقْضِ لعبدي هذا حاجته وأَخِّرْها ، فإني أُحِبّ أنْ لا أزال أسمع صوته "(١) .

وكم مِنْ عبدٍ يرحمه الخلق لِما به مِنَ الضر والفاقة وسوء الحالة ، وهو في الحقيقة في غاية الرحمة تغبطه الملائكة في حالته ، والناس يَرِقّون له لظاهر محنته ؟

يُحكى عن بعضهم أنه قال : مات فقير فكنتُ أُغسّله ، فرأيتُ في عنقه بين الجلد واللحم : طوبى لك يا غريب .

وكم مِنْ عبدٍ يظهر عليه اليوم آثار زلّته ، وهو في سابق علمه بل رحمته وحكمه مِن خواصّ عباده .

(١) : رواه الطبراني في الأوسط والدعاء ، ، وابن أبي الدنيا ، وابن عساكر في تاريخه ، والمقدسي في الترغيب .

يُحكى عن بعضهم أنه قال : كان في جيراني إنسان شرير فمات ، فرُفِعَتْ جنازته فتَنَحَّيْتُ عن الطريق لئلّا أحتاج إلى الصلاة عليه ، فرُئِيَ في المنام على حالة حسنة ، وكان اسم هذا العبد أيوب ، فقال له هذا الرّائي : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وقال لي : قُلْ لأيوب : لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق .

ومِن رحمته بعباده أنْ يَصونهم عن ملاحظة الأغيار والأطلال ، ورَفْع الحوائج إلى الأمثال والأشكال ، بِصِدْقِ الرجوع إلى المَلِك الجبار ، وحُسْنِ الاستغناء به في جميع الأحوال .

وقد حُكِيَ عن بعضهم أنه قيل له : سَلْ حاجتك ، فقال : مَنْ وضع قدمه على بساط المعرفة لا يحسن أنْ يكون لغير الله عليه مِنّة .

وقال رجل لواحد منهم : ألك حاجة ؟ فقال : لا حاجة لي إلى مَنْ لا يعلم حاجتي .

*****

مالك الملك

(مـالِـكُ الـمُلْـكِ) الذي يُجـري الأمور في ملكه كمـا يشاء ، لا مَـرَدَّ لقضائـه ، ولا مُعَـقّب لحكمـه سبحانـه .

وهو مِنْ صفات الأفـعال .

وقـال بعض العلمـاء : هو الذي ينـفذ مشيئـتـه في مملكتـه كيف شـاء وكمـا شـاء ، إيجـاداً وإعدامـاً ، وإبقـاء وإفنـاء .

والـمُلْـك ها هنـا بمعنـى المملكـة ، والـمـالـك بمعنـى القـادر التـام القدرة . والـموجودات كلها مملكـة واحـدة ، وهـو مالكهـا وقادرهـا . وإنمـا كانت الموجودات كلها مملكة واحدة لأنها مرتبطة بعضها ببعض ، فإنها وإنْ كانت كـثيرة مِن وجـه فلها وحدة مِن وجـه .

ومثـالـه بدن الإنسان ، فإنـه مملكة لحقيقـة الإنـسان ، وهـي أعـضاء

كثيرة مختلفة ، ولكنها كالمتعاونة على تحقيق غرض مدبر واحد ، فكانت مملكة واحدة .

فكذلك العالم كله كشخص واحد ، وأجزاء العالم كأعضائه ، وهي متعاونة على مقصود واحد وهو إتمام غاية الخير الممكن وجوده على ما اقتضاه الجود الإلهي ، ولأجل انتظامها على ترتيب متّسق وارتباطها برابطة واحدة كانت مملكة واحدة ، والله تعالى مالكها فقط .

ومملكة كل عبد بدنه خاصة ، فإذا نفذت مشيئته في صفات قلبه وجوارحه فهو مالك مملكة نفسه بقدر ما أُعطي مِنَ القدرة عليها .

* * * * *

ذو الجلال والإكرام

(**ذو الجلال والإِكْرام**) الذي لا شرف ولا كمال إلّا له وحده ، ولا كرامة ولا مكرمة إلّا وهي منه تبارك وتعالى .

وهو مِنْ صفات الأفعال .

فالجلال له في ذاته ، والكرامة فائضة منه على خَلْقه ، وفنون إكرام خلقه لا تكاد تنحصر وتتناهى .

وعليه دلّ قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[1] .

وقيل : ذو الجلال والإكرام الذي لِذاته صفات الجلال والكبرياء والعظمة والمجد والتنزيه ، ولِخَلْقه مِنْ إفاضة الجود والكرم والرأفة والحنان عند إيمانهم وطاعتهم ، ولهم الذلّ والهوان والطرد

[1] : سورة الإسراء ، الآية ٧٠ .

والحرمان والتعذيب والانتقام عند كفرهم وعصيانهم .

وهذا جامع لجميع الصفات .

فمِن صفاته الذاتية ﷻ الأَحد الصّمد الواحد الأوّل القادر السّميع البصير العليم اللّطيف الخبير الحيّ القيوم المَلِك القدّوس الحق العزيز ، ومنه تستمد الخلائق الوجود ، فهو خالق بارئ مصوّر مبدئ معيد محيي مميت باعث شهيد رقيب محص مقتدر مالك الملك .

ومِن صفاته الذاتية الرحمن ، وتستمد منه الخلائق الرحمة ، فهو رحيم رؤوف سلام مُقيت رازق وهّاب كريم فاتح باسط مجيب واحد ودود رافع مُعِزّ مُغْنٍ نافع حليم صبور نور هادٍ .

ومِن صفاته الذاتية ماجد فيّاض المجد ، فهو مجيد وحميد وحسيب وجليل وولي .

ومِنْ صفاته الذاتية غفور تهرع إلى مغفرته الخلائق ، فهو غفّار شكور غفور رؤوف .

ومِنْ صفاته الذاتية المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبر الحكيم الحكم العدل العظيم العلي الكبير القوي المتين ، تخشى الخلائق عقابه ، ويرهب أهل المعرفة جلاله ؛ لأنه ﷻ للكفرة والعصاة الفجرة قهّار مُذِلّ مميت قابض مؤخّر خافض مانع ضار منتقم .

فهو ﷻ ذو الجلال والإكرام .

وذاكِره ينال عِزّاً ورفعة وقبولاً وهيبة وسعادة .

وهو اسم أعظم ؛ لذا قال رسول الله ﷺ : " أَلِظّوا بياذا الجلال والإكرام " (١) .

قال الإمام القشيري : مضى الكلام في معنى جلاله فيما تقدّم وأنه بمعنى استحقاق الرفعة وصفات التّعالي ، ومَنْ عرف جلاله تذلّل وتواضع له .

جاء في بعض الروايات أنَّ لله ملائكة مُذْ خَلَقهم لا يفترون عن البكاء ، ولا تقطر مِن دموعهم قطرة إلّا ويخلق الله تعالى منها ملكاً ، لا يرفعون رؤوسهم إلى يوم القيامة مِن هيبة الله سبحانه ، فإذا كان يوم القيامة يقولون : ما عبدناك حق عبادتك (٢) .

وقيل : الإجلال أنْ ترى ما دونه بعين الإقلال .

يُحكى عن ابن الجلاء أنه قال : كنتُ راكباً جملاً مرة فقلت : جَلَّ الله ،

---

(١) : رواه الترمذي ، وأحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك ، والمقدسي في المختارة ، والبزار في مسنده ، وأبو يعلى، وابن أبي شيبة في مصنفه، والطبراني ، والذهبي في معجمه ، والقضاعي في الشهاب ، وابن عساكر في تاريخه .

(٢) : هكذا أورده القشيري في كتابه ، وله شاهد مِن حديث رواه الحاكم في المستدرك وصحّحه على شرط البخاري ، وأبو نعيم في المعرفة ، وابن الأثير في أسد الغابة .

فسمعتُ الجمل يقول بلسان فصيح : جَـلّ الله .

وليس جلالـه بأنصار يعينونه ، ولا بأشـكال ينـصرونـه ، ولا برسـوم وأطلال وأجلال وأفـعال ، ولا سلف ولا خلف ولا نسب ، ولا سـبب أو استـظهار بنشب [١] ، وإنمـا جلالـه وكبريـاؤه وعلـوّه وبهـاؤه كونـه بالوصف الذي يحـقّ لـه العِـزّ .

وأمّـا الإكرام فقريب مِنْ معنى الإنعام إلّا أنه أخـص لأنـه يُـنْعِم عـلى مَنْ لا يـقال : أَكْـرَمـه ، ولكن لا يُـكرم إلّا مَنْ يـقـال : أَنْـعَمَ عليـه .

وإكرامـه للعبد يكون في الدنيا معجّلاً وفي الآخرة مؤجّلاً ، فقـد يـربّي عبداً برحمتـه ويتولّى جميع أمـره بفـضله ومِنّتــه مِـنْ أول أمـره إلى آخـر عمره ، أمَـا ترى كيف أكرم موسى عليه السلام حيث سلّمتـه إليه أمـه ؟ كيـف ربّـاه في حِجْر عدوه ؟ وكيـف صرف عنـه كيـده ؟ أسلمتــه إلى البحـر متوكّلـة على الله بالغداة فـردّه إليهـا قبــل الظهـر . وجـاء في الروايـات أنَّ فرعون قتـل في ذلك اليـوم سـبعين ألـف صـبي وموسـى في حِجْـره يُربّيــه !

<u>((تنبيــه))</u> : إذا سَـلّم إليـه ولـده فربّــاه في حِجْـر عـدوه وصرف عنـه كيده ، فمَنْ سـلّم إليه قلبـه حفظه ، كمــا في الخـبر : " إنَّ قلـب المـؤمن

---

[١] : قال في القاموس : النَّـشَب المـال والعقـار .

بين أصبعين مِن أصابع الرحمن "[١] ، أي بين نعمتين مِـنْ نِعَمـه ، تـرى أنْ يضيعه ولا يحفظـه ؟! حاش لله .

وهكـذا قالـت أيـضاً أم مـريم : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾[٢] ، فلمّـا وَضَعَتْـها أنثـى خجلت ؛ لأنّ الأنـثى لا تصلح لخدمة المسجد ، فتـقبّلهـا ربها بقبـول حسن وبلّـغها المقام الذي وصلت إليـه .

*****

---

١) : روي الحديث مِن عدة طرق عن عددٍ من الصحابة وبأسانيد مختلفـة :

فرواه مسلم والنسائي وأحمد وابن حبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنـه سمع رسول الله ﷺ يقول : " إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصـبعين مِـن أصـابع الرحمن كقلبٍ واحد يـصرّفـه حيـث يـشاء . ثـم قـال رسـول الله ﷺ : اللّهـم مُصَرِّف القلوب صَرِّفْ قلوبنـا على طاعتك " .

ورواه ابن ماجة والحاكم عـن النـوّاس بـن سـمعان الكـلابي قـال : سـمعتُ رسول الله ﷺ يقول : " ما مِـنْ قلـبٍ إلّا بـين إصـبعين مِـن أصـابع الـرحمن ، إنْ شـاء أقامـه وإنْ شـاء أزاغـه . وكـان رسـول الله ﷺ يقـول : يـا مُثَـبِّت القلوب ثَـبِّتْ قلوبنـا على دينـك " .

وفي الباب أيضاً عن أنس بن مالك ، وعائشـة ، وجابـر ﷺ .

٢) : سـورة آل عمـران .

المُقْسِطُ

(الـمُـقْسِطُ) العادل الذي يُـنْصف المظلومين مِنَ الظالمـين ، ويكسر شـوكة الظالمـين .

وهو مِنْ صفات الأفـعال .

قال أبو حامد الغزالي : الـمقـسط هـو الـذي ينـتـصف للمظلـوم مِـنَ الظالـم ، وكمـالـه في أنْ يُضيف إلى إرضاء الـمظـلوم إرضاء الظالــم ، وذلك غايـة العدل والإنصاف ، ولا يقدر عليـه إلّا الله ﷻ .

ومثاله ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " بينـا رسـول الله ﷺ جالس إذ رأينـاه ضحك حتى بـدت ثـناياه ، فقـال لـه عمـر : مـا أضـحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟ قال : رجلان مِـنْ أمتـي جَثَيـا بـين يـدي رب العزة ، فقال أحدهما : يا رب خُذْ لي مظلمتي مِـنْ أخـي ، فقـال الله

تبارك وتعالى للطالب : فكيف تصنع بأخيك ولم يبـقَ مِن حسناته شيء ؟ قال : يا رب فليحمل مِنْ أوزاري . قال : وفاضـت عينـا رسـول الله ﷺ بالبكاء ثم قال : إنَّ ذلك اليوم عظيم ، يحتاج الناس أنْ يُحمل عـنهم مِـن أوزارهم . فقال الله تعالى للطالب : ارفع بصرك فانظر في الجنـان ، فرفـع رأسه فقال : يا رب أرى مدائن مِنْ ذهـب وقـصوراً مِـنْ ذهـب مكلّلـة باللؤلؤ ، لِأيِّ نبيٍّ هذا أو لِأيّ صِدّيق أو لِأيّ شـهيد هـذا ؟ قـال : هـذا لِـمَنْ أعطى الثمن ، قال : يا رب ومَن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكـه ، قال : بمـاذا ؟ قال : بعفوك عن أخيك ، قال : يـا رب فـإني قـد عفـوتُ عنـه ، قال الله ﷻ : فخذ بيد أخيك فأَدْخِلـه الجنـة . فقال رسـول الله ﷺ عند ذلك : اتّـقوا الله وأَصْلِحوا ذات بينكم ، فإنَّ الله تعـالى يـصلح بـين المـسلمـين " (١) .

فهذا سبيل الانتصاف والإنصاف، ولا يقدر على مِثْله إلّا رب الأرباب.

وأَوْفـر العباد حظاً مِن هذا الاسم مَنْ ينتـصف أولاً مِن نفسه لغـيره ، ثم لغيره مِن غيره ، ولا ينتـصف لنفسـه مِن غيره .

وقال بعضهم : الـمُقْسِط الـمنصف الحكيم ، لا يخطئ الحـق والقِـسْط

(١) : رواه الحاكم وصحّحه ، وابن أبي داود السجستاني في البعـث ، وابـن حجـر العسقلاني في المطالب ، وابن أبي الدنيـا ، والخرائطـي .

في حُكْمه ولا يحيف ، وهو الحكم الأعلى لجميع المخلوقات .

وذِكْره يورث الخوف والرجاء ، والاهتداء إلى الحقائق ، ويمنع الوسوسة في العبادات .

قال الإمام القشيري : ومَنْ صرف قلبه إلى الاعتبار بما توعّد به عباده مِنْ أحوال يوم القيامة وصنوف أهوالها ، تحقّق بديع قدرته وظاهر حكمته ، وتنبّه للانزجار عن أليم مساخطه .

ومِمّا رُوِيَ في أوصاف يوم القيامة أنه يوقِف شيخاً للحساب فيقول الله له : يا شيخ ما أنصفتَ ، غذوتك بالنِّعَم صغيراً فلمّا كبرت عصيتَني ! أمَا إني لا أكون لك كما كنتَ لنفسك ، اذهب فقد غفرتُ لك ما كان منك .

وفي خبر أنَّ الوحوش والبهائم تُحشر يوم القيامة فتسجد لله سجدة ، فتقول الملائكة : ليس هذا يوم سجود ، هذا يوم الثواب والعقاب . فتقول البهائم : هذا مِنّا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله مِنْ بني آدم .

ويقال : إنَّ الملائكة تقول للبهائم : لم يحشركم الله ﷻ لثوابٍ ولا لعقاب ، وإنما حشركم لتشهدوا فضائح بني آدم .

وقيل : لو أنَّ رجلاً له ثواب سبعين نبياً وله خَصْمٌ بنصف دانق ، لا يدخل الجنة حتى يرضي خصمه .

وقيل : إنَّ الدانق مِنَ الفضة يؤخذ به يوم القيامة سبعمائة صلاة مقبولة فتُعطى إلى الخصم .

وفي خبر مسند عن النبي ﷺ : " لو صَلَّيتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، ما نفعكم ذلك إلّا بورع صادق "[1] .

فيجب على كل مكلّف أنْ يعلم أنَّ الله سبحانه هو الـمُقْسِط ، وأنه الذي أَمَرَ بالقسط والعدل وعمل به .

ثم يجب عليه أنْ يقسط في أقواله وأفعاله وأحكامه ، وأنْ يُحبّ المقسطين ولا يحب القاسطين .

فأَعْطِ القسط مِن نفسك لربك ، ووَفِّه قسطه حسب طاقتك ، واستغفره لِما عجزت عنه ، واعتذر له مِن ضعفك عن القيام بحقه . ثم أَعْطِ القسط مِنْ نفسك ثم للناس ، وأَعْطِ كل ذي حق حقّه ، ولتكن قائماً بالقسط في حكمك وشهادتك وحركاتك كلها وأعمالك .

* * * *

---

(1) : كذا أورده القشيري ولم نقف على تخريجه بهذا اللّفظ .
وهو عند ابن عساكر في تاريخه عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : " لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، ثم كان الاثنان أحب إليكم مِنَ الواحد لم تبلغوا الاستقامة " .

الجامع

(**الجامع**) الذي يؤلّف بين شتات حقائق مختلفة .

وهو جامع الناس ليوم القصاص .

قال تعالى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾[1] .

وهو مِن صفات الأفعال .

قال أبو حامد الغزالي: الجامع هو المؤلف بين المتماثلات والمتباينات والمتضادات . أمّا جمع الله المتماثلات فكجمعه الخلق الكثير مِنَ الإنس على ظهر الأرض ، وكحَشْره إيّاهم في صعيد القيامة .

وأمّا المتباينات فكجمعه بين السماوات والكواكب والهواء

(١) : سورة آل عمران ، الآية ٩ .

والأرض والبحار والحيوانات والنبـات والمعـادن المختلفـة ، كـلُّ ذلـك متبـاين الأشـكال والألـوان والطعـوم والأوصـاف ، وقـد جَـمَعَها في الأرض وجَـمَعَ بين الكـل في العالَـم . وكـذلك جَـمْعــه بـين العظـم والعصب والعرق والعـضلـة والمـخ والبـشرة والـدم وسـائر الأخـلاط في بدن الحيـوان .

وأمّـا المتـضادات فكجمعه بين الحرارة والـبرودة والرطوبـة واليبوسـة في أمزجــة الحيوانــات ، وهـي متنــافرات متعانـدات ، وذلـك أبلـغ وجـوه الجمع .

وتفصيل جَـمْعـه لا يعرفـه إلّا مَنْ يعرف تفصيل مجموعاتـه في الـدنيا والآخرة ، وكل ذلك مِـمّـا يطول شرحـه .

وقال بعضهم : الجامع الذي جمع صفات الكمـال ، وألّـف بين قلـوب أحبابه ، وهو الذي يجمع الخلـق ليـومٍ لا ريـب فيـه ، ويَجـيء بالـشهداء والنبيّـين ، فلا يفـرّ مِـن عذابـه وعقابـه كـافر أو جاحـد مِـنَ الـسابقين والـلّاحقين ، ويجمع مَنْ شاء بمــا شـاء ؛ لأنـه قـادر مقتـدر لا يعجـزه شيء في الأرض ولا في السمـاء .

وذاكِـره يُـكشف لـه عن حظائـر الـملـكوت ، ويَجمـع بـين الـشريعة والحقيقـة ، ويـهتدي إلى ضالّتـه ، ويجتمع بأحبتـه .

وقال القشيري : الجامع في وصفه تعالى يكون بمعنى الجائــر لهـم يـوم

القيامة للثواب والعقاب ، فيجمع لحومهم المتفرقة وجلودهم المتمزّقة وعظامهم النخرة ، ويكون الجامع اليوم لأجزائهم وأوصالهم ، ركّبهم على ما أراد مِنَ التركيب ، ورتّب أحوالهم على ما شاء مِنَ الترتيب ، قال الله تعالى : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾[1] . وشدّ أوصالهم ، وربط أجزاءهم بعضها ببعض ، فمِنْ عَظْمٍ التغالب عليه اليبوسة ، ولحمٍ كساه الغالبُ عليه اللّين والرطوبة ، ومخ بين العظم الغالب عليه اللّين والرخاوة ... فسبحان مَنْ جمع بين هذه الأشياء المختلفة !

وانظر إلى التئام كل نوع وكل جنس ، كيف جمع بين الأشياء المختلفة في الطعم واللون والرائحة ، كالرمان مثلاً ، انظر إلى قشره في لونه وشكله وطعمه وما قال أهل الطب فيه وإنْ لم تكن له حقيقة في القول بطبعه ولكن على ما أجرى به العادة في الآثار التي يخلقها الله سبحانه عقيب أكله واستعماله في الطبع وغيره . ثم انظر شكل حَبّه ولونه وطعمه ، ثم ما بين الحب مِن عجمه ، ثم ما بين الحبات مِن رقيق قشره ... ثم هكذا القول في الأترج مِنْ قشره ولحمه وحماضه وحَبّه ، وسائر الثمار ، وجميع أصناف المخلوقات والحيوانات مِنَ الجمادات ، كيف جمع الأعراض المختلفة في هذه الجواهر المتجانسة .

---

(1) : سورة الإنسان ، الآية ٢٨ .

وقال القرطبي : الجامع في وصف الله تعالى يكون ذاتياً وفعلياً ، أمّا الذاتي فهو جَمْعه تعالى للفضائل كلها والصفات الجميلة أجمعها ، ولأنَّ المعلومات محصورة في عِلْمه قبل إيجادها ، وكيف لا يكون عِلْمه جامعاً لها وفق علمه وإرادته أَوْجَدَها بقدرته ؟

وأمّا إذا كان فعلياً فهو الذي دلّ عليه القرآن في غير ما آية ، فهو الجامع حقاً ، جَمَعَ بين المتفرّقات والمتماثلات والمتضادات .

وجَمْعه سبحانه بين المتفرقات فعل مخصوص مِن أفعاله ، وهو تركيب الجوهر حتى يصير أجساماً بما يخلق الله فيها مِنَ التركيب ، ثم يفرقها ثم يجمعها ، فيؤلّف بين المتماثلات والمتباينات والمتضادات .

وتلك آية على أنه القادر لا إله إلّا هو رب كل شيء ومليكه ، وخالق كلِّ شيء ومبدعه . فجَمْعه بين المتباينات والمتضادات الذي هو مِن أعظم الدّلالات على وجوده ، وهو جَمْعه بين السماء وكواكبها ، والأرض وبحارها والمعادن المختلفة وما فيها ... إلى غير ذلك مِمّا استودع الأرض مِنَ الحيوانات والنبات مِمّا هو متباين الأشكال والألوان والطعوم والأوصاف .

فيجب على كلِّ مكلّف أنْ يعلم أنَّ الله هو الجامع بكل اعتبار ، ومَنْ جهل أو شكّ فقد كذّب بهذا الإخبار : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾[1] .

---

(1) : سورة التغابن ، الآية ٩ .

ثم يجب عليه أنْ يجمع على عبادة ربـه ، ويجمع همومـه فيـه ولا يفرقها فيما عداه . وأنْ يكون جامعاً بـين الآداب الظاهرة في الجـوارح وبـين الحقائـق الباطنـة في القلوب .

*****

الغني

(**الغَـنِـيُّ**) الـمُسْتَغـني بذاتـه وأسمـائـه وصفاتـه عن كل ما عداه ، الـمُفْتـقـر إليـه كلُّ ما سـواه .

فهو مِنْ صفات التنـزيـه .

قال أبو حامد الغزالي : الغني هو الذي لا تعلّـق لـه بغـيره لا في ذاتـه ولا في صفات ذاتـه ، بل يكون منـزّهاً عن العلاقـة مع الأغيـار .

فمَنْ تـتعلّـق ذاتــه أو صـفات ذاتــه بـأمرٍ خـارج مِـن ذاتـه يتوقّـف عليه وجودُه أو كمالـه فهـو فـقير محـتاج إلى الكـسب ، ولا يُـتـصوّر ذلك إلّا لله ﷻ .

* * * * *

المغني

(**الـمُغْـنـي**) الذي يُغني بفضلـه مَنْ شـاء مِن عباده .

وقيـل : الذي يـهب الغنـى لِـمَنْ شاء مِـن خلقـه ، ومـا كـان عطـاء ربك محظوراً ، ولا اعتراض عـلى فعلـه ، قـال سبحانه وتعالى : ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[1] .

وذاكِـره تُسخّر له الخلـق ، وتحبـه عشيرتـه ، ويـستحي أنْ يـسأل غـير الله حاجتـه .

وقال القشيري : الـمغنـي معطي الغنى لعباده ، ويكون بمعنى معطـي الكفايـة .

والله تعالى مغنـي عباده بعضهم عن بعض على الحقيقـة ؛ لأنَّ الحـوائج

[1]) : سـورة الإسـراء .

لا تكون على الحقيقة إلّا إلى الله سبحانه ، فإنَّ المخلوق لا يكون له إلى مخلوق اشتداد حاجة ؛ ولهذا قيل : " تعلّق الخلق بالخلق كتعلّق المسجون بالمسجون " .

وقيل : مَنْ أشار إلى الله ثم رجع عند حوائجه إلى غير الله ابتلاه الله سبحانه بالحاجة إلى الخلق ، ثم ينزع الرحمة مِن قلوبهم . ومَنْ شهد محل افتقاره إلى الله سبحانه فرجع إليه بِحُسْن العرفان أغناه مِن حيث لا يحتسب ، وأعطاه مِن حيث لا يرتقب .

وإغناء الله تعالى لعباده على قسمين : منهم مَنْ يُغنيه بتنمية أمواله ، ومنهم مَن يُغنيه بتصفية أحواله ، وهذا هو الغنى الحقيقي .

فالله سبحانه مُغْنٍ عباده ، أي كفى عباده وساق إليهم أرزاقهم فأغناهم عمّن سواه ، كقوله : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾[1] .

وقال أيضاً : ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[2] .

وقال أيضاً : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[3] .

فيجب على كل مكلّف أنْ يعلم أن لا مغني ولا كافي على الإطلاق

[1] : سورة النجم .

[2] : سورة النور ، الآية ٣٢ .

[3] : سورة النساء ، الآية ١٣٠ .

إلّا الله ، وأنَّ غناه يكون في الدنيا والآخرة .

أمّا إغناؤه في الدنيا فينقسم إلى قسمين : إغناء حقيقي ، وإغناء مجازي . فالإغناء الحقيقي هو أنْ يغني العبد به عن غيره ، وإنما يكون ذلك إذا أفاض عليه مِن خزائن خيره مِنْ معرفته ، والعِلْم بذاته وصِفَته ، وبأحكامه في أيامه . فهذا هو الغناء الذي لا ينفد ، بل هو في الدنيا يتجدّد ، وفي الآخرة يتزيّد .

وأمّا الإغناء المجازي فهو ما يخوّل العبد به مِنْ هذه الأعراض الآيلة إلى انقراض ، فإنْ أقام بها الصَّغْوَ ، وسَدَّ الخَلّة ، ووَسَّع بها على ذي القِلّة ، نال بهذه الأعراض أكرم الأعواض. وإنْ مَنَع المحتاج مِن خيره ولم يَجُدْ به على غيره ، فالمنع كان في حقه خيراً مِنَ الإعطاء ، إذ على قلبه مِن ظلمة ماله أكثف غطاء .

وأمّا إغناء الله إيّاه في الآخرة فإنه يؤته مُلْكاً لا يفنى ، ويُعطيه مِن نعيم الجنة ما يتمنّى ، فيتمتّع فيها بعيشة بريئة مِنَ الألم ، وبقاء غير منغّص باستحالة أو عدم ، وعِلْم لا تشوبه شائبة جهل ... ووراء هذا ما لا يُحصيه عقل .

* * * *

المانع

(**الـمـانِـعُ**) الذي يدفع أسباب الهلاك والنقصان عن أبـدان وأمـوال وأديـان .

روى المغيرة بـن شـعبة " أنَّ النبـي ﷺ كـان يقـول في دبـر كـل صـلاة مكتوبـة : لا إلـه إلّا الله وحده لا شريك لـه ، لـه الـمُلْـك ولـه الحمـد وهو على كل شيء قدير ، اللّهم لا مانع لِـمـا أعطيتَ ، ولا معطي لِـمـا منعتَ ، ولا ينـفع ذا الـجَـدِّ منك الـجَـدّ "(١) .

وقال بعض العلمـاء : هـو الـذي يـردّ أسباب الهـلاك والنقـصان في الأديان والأبدان بمـا يخلقـه مِنَ الأسباب الـمُعدّة للحفظ ، وقـد سبق

---

(١) : أخرجه الشيخان ، وأبو داود ، والنسائي ، وأحمد في مسنده ، وابـن خزيمـة وابن حبان في صحيحيهمـا ، والدارمي في سننه ، والبيهقـي ، وأبـو عوانـة في المستخرج ، وأبو نعيم الأصبهاني ، والطبراني ... وآخرون .

معنى الحفيظ [١] ، وكلُّ حفظ فمِن ضرورته مَنْع ودَفْع ، فمَنْ فَهِمَ معنى الحفيظ فَهِمَ معنى المانع .

والمنع إضافة إلى السبب الـمُهْلِك ، والحفظ إضافة إلى المحروس عن الهلاك ، وهو مقصود المنع وغايته ، إذ المنع يُراد للحفظ والحفظ لا يُراد للمنع ، فكلُّ حافظ مانع وليس كل مانع حافظ ، إلّا إذا كان مانعاً مطلقاً بجميع أسباب الهلاك والنقص حتى يحصل الحفظ مِن ضرورته .

وقيل : المانع الذي لا معطي لِما منع ، ولا مانع لِما أعطى ، ويمتنع وجودُ أي شيء إلّا بإرادته ، ويستحيل التعرّف إلى أي شيء أو كَسْبه إلّا بمشيئته ، ولا يمتنع المكروه إلّا بحوله وقوته .

وذاكره يأمن المكاره ، ويستعين بالله فيحصل على جميع ما يحتاج إليه .

وقال القشيري : المانع في وصفه ﷻ يكون بمعنى منع البلاء عن أوليائه ، ويكون بمعنى منع العطاء عمّن شاء مِن أوليائه وأعدائه ، فإذا مَنَعَ البلاء عن أوليائه كان ذلك لطفاً جميلاً ، وإذا مَنَعَ العطاء عن أوليائه كان ذلك أيضاً فضلاً جزيلاً ، وإذا لم يمنع الخير عن أعدائه كان ذلك في الحال احتجاجاً عليهم واستدراجاً ، وإذا منعهم الخير في الآخرة كان عقوبة وإذلالاً .

---

(١) : انظر ص ١٥٥ - ١٦٤ .

وربما يكون منعه لبعض عباده منع قلبه عمّا يضره ، بأنْ لا يخلق له إرادة ذلك فيكون رفقاً به ، قال الله تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾(١) . وإنه سبحانه يعطي الدنيا مَن يحب ومَن لا يحب ، ولكنه لا يحمي قلب أحدٍ مِنَ المخالفات إلّا وهو مِنْ خواصّ أوليائه .

وقد يمنع التمنّي والشهوات مِنْ نفوس العوام ، ويمنع الإرادات والاختيارات عن قلوب الخواص ، ويمنع الشبهة عن القلوب ، والبِدَع عن العقائد ، والمخالفات في الأوقات ، والزلل عن النفوس ؛ مِنْ أَجْل النِّعَم التي يخصّ بها عباده المقربين ، ويكرم بها أولياءه المنتخبين ، جَعَلَنا الله مِن جملتهم وحَشَرنا في زُمْرتهم .

وقال الحليمي : المعطي هو المُمَكِّن مِن نِعَمه ، والمانع هو الحائل دون نِعَمه . ولا يُدعى الله ﷻ باسم المانع حتى يقال معه المعطي .

وقال الخطابي : فهو يملك المنع والعطاء ، وليس مَنْعه بخلاً منه ، ولكن مَنْعه حكمةٌ وعطاءَه جودٌ ورحمة .

فيجب على كل مكلّف أنْ يعلم أن لا مانع إلّا الله وحده ، كما يجب عليه أنْ يعلم أن لا معطي إلّا هو .

---

(١) : سورة الأنفال ، الآية ٢٤ .

قال الله العظيم : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾[2] .

فيحقّ على مَنْ عَلِم أنَّ الله هو المعطي والمانع أنْ يقطع مِنْ قلبه مِنَ الخلق المطامع ، وأنْ يقف مع الله بقلبٍ راضٍ قانع ، فإنْ أغناه صرف في طاعته غناه ، وإنْ منعه عَلِم أنه لم يمنعه مِنْ بخل ولا عدم ، بل ليكون منعه معقباً له ما هو أشرف وأكرم مِنَ الغنى الذي لا ينصره . فإنْ جاءه مِنْ أحدٍ مِنَ الخلق سببٌ مِن أسباب الرزق فليردّ ذلك إلى الواحد الحق ، وإنْ منعه أحدٌ مِنَ الناس فلا يرى المانع إلّا الله ، فيطرح الأواسط طرحاً ، ويضرب عن الأسباب صفحاً ، ويجعل الله هو الكل ، وكلُّ موجود مع القدرة كالظل لا حُكْم له في الفعل ، فلا يذمّ مانعاً بوجه ، ولا يمدح مُعْطياً إلّا مِن حيث ينظر إلى الله ، فيمدحه لمدح الله إيّاه إذْ جرت بالخير يداه على ما أجراهما الله .

* * * *

---

[1]) : سورة فاطر ، الآية ٢ .
[2]) : سورة الزمر ، الآية ٣٨ .

النافع الضار

(**النّـافِـعُ الضّـارُّ**) وهما وصفان بتمــام القـدرة ، فـلا ضر ولا نفـع ، ولا شر ولا خير إلّا وهو بإرادة الله تبارك وتعـالى ، قـال تعـالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾(١) ، ولكن مِنَ الأدب أنْ ينسب الشر للعبد والخير لله لقولـه تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾(٢) .

قال الإمام الغزالي : الضّـار النـافع هو الذي يَصدر منـه الخـير والـشر والنفع والضر ، وكلُّ ذلك منسوب إلى الله تعـالى إمّـا بواسـطة الملائكـة والإنـس والجمــادات ، أو بغـير واسطــة . فـلا تظـننّ أنَّ الـسم يقتـل ويضر بنفسـه، وأنَّ الطعام يُشْبِـع وينفع بنفسه ، وأنَّ الـمَلَـك والإنسان

(١) : سـورة النسـاء ، الآيـة ٧٨ .

(٢) : سـورة النسـاء ، الآيـة ٧٩ .

والـشيطان أو شـيئاً مِـنَ المخلوقـات مِـنْ فلـك أو كوكـب أو غيرهـا يقدر عـلى خـير أو شر أو نفـع أو ضر بنفسـه ، بـل كـل ذلـك أسـباب مسخّرة لا يصدر منها إلّا ما سُخِّـرَتْ لـه .

وجملة ذلك بالإضافة إلى القدرة الأزليـة ، كالقلم بالإضافة إلى الكاتب في اعتقاد العامي ، وكمـا أنَّ الـسلطان إذا وقـع بكرامـة أو عقوبـة لم يـرَ ضرر ذلك ولا نفعـه مِنَ القلم ، بل مِنَ الذي القلم مُسَخّر له ، فكـذلك سائر الوسائط والأسباب .

وإنمـا قلنـا في اعتقاد العامي لأنَّ الجاهل هو الذي يرى القلمَ مـسخّراً للكاتب ، والعارفُ يعلم أنه مسخّر في يده لله ﷻ ، وهـو الـذي الكاتـب مسخّر لـه ، فإنه مهمـا خَلَق الكاتب وخلق لـه القـدرة ، وسلّط عليـه الداعية الجازمة التي لا تردّد فيها ، صَـدَرَ منـه حركـة الأصـابع والقلـم لا محالـة شـاء أم أبـى ، بل لا يمكنـه أن لا يشاء .

فإذاً الكاتب بقلم الإنـسان ويـدِه هـو الله تعـالى ، وإذا عرفـت هـذا في الحيوان المختـار فهو في الجمـاد أظهـر .

وقـال بعضهم : الضّار النـافع الذي يـضر الأعـداء وينفـع الأحبـاء ، ولا ملجأ ولا منجـى منه إلّا إليه ، ولا مؤثّـر في جميع العوالم الجـسمـانية والروحانية إلّا هو حسبمـا يريد ، ووِفْق ما اقتضتـه الحكمة .

وذاكر هذين الاسمين يكون مِنَ المتـوكّلين ، قلبـه راضٍ معلّـق بـالله ، يشعر بلطفـه وإبراره ، ويشفى مِن عِلَـلـه وأسقامـه ، وتحبـه عشيرتـه .

قال القشيري : وفي معناهما إشارة إلى التوحيد ، وهو أنه لا يحدث شيء في ملكه إلّا بإيجاده وحكمه وقضائه وإرادته ومشيئته وتكوينه ، قال الله سبحانه : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[1] ، ثم أخبر عن بيانه فقال سبحانه : ﴿ هُوَ مَوْلَىٰنَا ﴾[2] ؛ ليعلم العالمون أنَّ له أنْ يتصرّف في ملكه بموجب إرادته ، فلا يلحق أحداً ضر ولا نفع ، ولا خير ولا شر ، ولا سرور ولا حزن إلّا مِن قِبَله جل جلاله . فإنْ تكن نعمة فهو النافع والدّافع ، وإنْ تكن محنة فهو الضّار القامع الحابس المانع . ومَنِ استسلم لحكمه عاش في راحة ، ومَنْ نافر اختياره وقع في كل آفة .

قال ابن عباس : أول شيء كتب الله تعالى في اللّوح المحفوظ : " إني أنا الله لا إله إلّا أنا محمد رسولي ، مَنِ استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبتُه صِدّيقاً وبعثتُه مع الصدّيقين ، ومَنْ لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتّخذ إلهاً سِواي"[3] .

وقيل : ناجى داود عليه السلام ربَّه فقال : إلهي مَنْ شر الناس ؟ فقال عز وجل : مَنِ استخارني في أَمْرٍ ، فإذا خِرْتُ له اتّهمني ولم يرضَ بحكمي .

فإذا عرف العبد توحّد مولاه في الإيجاد وتفرّده في الاختراع ، فَوَّضَ

---

[1]) : سورة التوبة ، الآية ٥١ .

[2]) : سورة التوبة ، الآية ٥١ .

[3]) : ذكره القرطبي في تفسيره ، والشوكاني في الفوائد وقال : ضعيف .
ورواه مختصراً الطبراني في الكبير، وابن عساكر في تاريخه، وأبو نعيم في المعرفة.

الأمور إليـه وعاش في راحة مِـنَ الخلـق والخلـقُ في راحـةٍ منـه ، فبـذل النصيحـة مِن نفسـه ولم يستـشعر الغش والخيانـة لغيره .

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنـه قال : يقول الله تعـالى : " اطلبـوا الفـضل عنـد الرحمـاء مِنْ عبادي تعيشوا في أكنـافهم فإنَّ فيهم رحمتـي ، ولا تطلبوهـا مِنَ القاسيـة قلوبـهم فإنَّ فيـهم سخطي "(١) .

وإنَّ رحمة الله تعالى أتـمّ مِن رحمـة بعضهم البعض ، فمَنْ عـرف ذلـك عَلِـمَ أنه سبحانه يُحـبّ مِنْ عباده مَنْ يـرحم خلقــه ، ولا يـرحم العبـد إلّا إذا رَحِـمه الحـق .

قال الله تعالى لنبيـه ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾(٢) .

ويُروى عن عبد الله بن أبي أوفى قـال : " خرجـتُ فـإذا رسـول الله ﷺ وأبو بكر وعمر قُعودٌ ، وإذا غـلام صـغير يبكـي ، فقـال رسـول الله ﷺ لعمر : ضُمَّ الصبي إليك فإنه ضالٌّ ، فضمّه عمر إليـه . فبينا نحن قعـودٌ إذ أُمٌّ تُـوَلْوِلُ وتقول : وابنيـاه وتبكي ، فقال رسـول الله ﷺ لعمـر : نـادِ المرأة فإنها أم الصبي ، وهي كاشفة عن رأسها ، لـيس عـلى رأسـها خمـارٌ جزعاً على ابنـها . فجاءت حتى قبضت الصبي مِنْ حِجْـر عمـر ، وهـي تبكي والصبي في حجرها ، فالتفتت ، فلمّـا رأت رسـول الله ﷺ قالـت :

---

(١) : رواه القضاعي في الـشهاب ، والطـبراني في الأوسـط ، وأبـو نعيم في أخبـار أصبهان ، والخرائطي في الـمكارم .

(٢) : سـورة آل عمـران ، الآيـة ١٥٩ .

واحَرَباه ألَا أرى رسول الله ﷺ ؟! فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : أترون هذه رحيمة بولدها ؟فقال أصحابه : بلى يا رسول لله ، كفى بهذه رحمة . فقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده الله أرحم بالمؤمن مِنْ هذه بولدها " (١) .

وقال رسول الله ﷺ : " الراحمون يرحمهم الرحمن " (٢) .

وحُكِيَ أنَّ الحسن البصري سُرِقَ له إزار فقعد يبكي ، فقيل له في ذلك فقال : إنما أبكي لأنَّ مسلماً تلحقه غداً عقوبة مِنْ أجلي . ثم قال : اللّهم إنْ كنتَ تغفر لأحدٍ ذنباً فاغفر لسارق إزاري ذنبه .

ويُحكى أنَّ معروفاً الكرخي كان قاعداً على شاطئ الدجلة ، وكان هناك جماعة مِنَ الشطّار يشربون الخمر ويضربون بالأوتار ، فقيل له : أمَا ترى جراءة هؤلاء على الله ﷻ ؟ ادْعُ الله عليهم لعلّ الله يخلص المسلمين مِنْ شرهم . فقال : اللّهم كما فَرَّحْتَ هؤلاء في الدنيا ففَرِّحْهم في الآخرة ، فقالوا : سألناك أنْ تدعو عليهم لا أنْ تدعو لهم ! فقال : إذا فَرَّحَهم في الآخرة تاب عليهم فلم يضرّوكم .

✻ ✻ ✻ ✻ ✻

(١) : رواه عبد بن حميد في مسنده ، وابن حجر العسقلاني في المطالب .

(٢) : طرف مِن حديث رواه الترمذي وحسّنه ، وأبو داود ، وأحمد في مسنده ، والحاكم وصحّحه ، والبيهقي ، والحميدي ، والطبراني في الأوسط .

النُّور

(**الـنُّـور**) الذي يُـنَـوِّر الكائـنات سبحانـه .

أو الظاهـر بنفسـه الـمُظْهِـر لغـيره .

قال أبو حامد الغزالي : هو الظاهر الذي به كل ظهور ، فـإنَّ الظـاهر في نفسه الـمظهر لغيره يُسمّى نوراً ، ومهمـا قوبـل الوجـود بالعـدم كـان الظهور لا محالـة للوجود ، ولا ظلام أظلـم مِـنَ العـدم ، فـالبريء عـن ظلمة العدم بل عن إمكان العـدم ، الــمُخْرِج كـل الأشـياء مِـن ظلمـة العدم إلى ظهور الوجود جديـرٌ بأنْ يُسمّى نوراً ، والوجـودُ نـورٌ فـائض على الأشياء كلها مِن نور ذاتـه ، فهو نور السمـاوات والأرض ، وكمـا أنه لا ذرة مِن نور الشمس إلّا وهي دالّـة على وجود الشمس الـمنورة ، فلا ذرة مِـن موجـودات الـسمـاوات والأرض ومـا بينهمـا إلّا وهـي

بجواز وجودها دالّةٌ على وجوب وجود مُوجِدها .

وما ذكرناه في معنى الظاهر يُفهمك بمعنى النور ، ويغنيك عن التعسّفات المذكورة في معناه (١) .

وقال بعضهم : النور الذي نَوَّرَ باطن المؤمنين بِهَدْيِه ، وشَعْشَعَ أرواحهم بحبه ، وأقلق قلوبهم بالشوق إليه فلم يأنسوا إلّا به ، ولم يروا حركة ولا سكوناً في الأكوان كلها دَقَّتْ أو جلت ظَهَرَتْ أو خَفِيَتْ إلّا مِن تأثير إرادته ، فوهبوا أنفسهم وأنفاسهم لنور معرفته ، فرأوا قيّوميّته سارية في جسد الأكوان ، فنظروا إلى نورها فغابوا عن الحِسّ إلى حقيقة المشاهدة وفناء القرب .

وذاكِره يكون مِن أهل الولاية والهداية وإرشاد الخلق إلى الحق ، ويأتيه النور حتى يختلط بأمزجة جسده ويخترق جميع أنسجته ، ويزداد وَجْده وشوقه لخالقه .

وقال القشيري : النور مِن أسمائه جلّ وعلا ، قال الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ (٢) .

قيل في التفسير : معناه مُنَوِّر السماوات والأرض ، وقيل : معناه

---

(١) : انظر ص ٢٧٦ – ٢٨٠ .

(٢) : سورة النور ، الآية ٣٥ .

الهادي لأهل السماوات والأرض ، وقيل : سُمِّيَ النور لأنَّ منه النور ، والعربُ تُسمّي مَنْ منه الشيء باسم ذلك الشيء .

فإذا كان بمعنى المُنَوِّر فإنما هو مُنَوِّر الآفاق بالنجوم والأنوار ، ومُنَوّر القلوب بفنون الدلائل وصنوف الحجج والملاطفات ، ومنوّر الأبدان بآثار العبادات .

فالطاعات زينة النفوس والأشباح ، والمعارف زينة القلوب والأرواح ، والتأييد بالموافقات نور الظواهر ، والتوحيد بالمواصلات نور السّرائر .

وإنَّ الله سبحانه يزيد قلب العبد نوراً على نور ، يؤيّده بنور البرهان ثم يمدّه بِحُسْن البيان .

قال الله سبحانه : ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [1] .

وقد يهدي القلوب إلى محاسن الأخلاق لِتُؤْثِرَ الحقَّ وتصطفيه ، وتترك الباطل وتَدَعَ ما يستدعيه .

وفي بعض الأخبار أنَّ الله تعالى يُحبّ الأخلاق ويكره سفاسفها [2] .

---

(1) : سورة النور ، الآية ٣٥ .

(2) : عن سهل بن سعد الساعدي أنه سمع النبي ﷺ يقول : " إنَّ الله كريم يحب الكرم ، ويحب معالي الأخلاق ، ويكره سفسافها " .

رواه الحاكم في المستدرك وصحّحه ، والبيهقي ، والطبراني في معجمه ، وابن أبي الدنيا والخرائطي في المكارم ، وأبو نعيم في الحلية ، والرافعي في التدوين ، وابن عساكر في تاريخه .

فمِنْ معالي الأخلاق التحرّز عن رقّ الأشياء ، واستصغار قدر الدنيا والجود بها على كل أحد .

وفي بعض الحكايات أنَّ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خرج في بعض أسفاره فنزل ليلاً على حيٍّ مِنَ العرب ، فاستضاف شيخاً فأنزله ورحّب به وكان فقيراً ، فعمد إلى شاة له فذبحها ، فقالت امرأته : نموت إذاً مِنَ الجوع ، فقال الأعرابي : الموت خير مِنَ اللّوم . فلمّا أصبح ابن عباس قال لغلامه : ماذا معك ؟ فقال : خمسمائة دينار ، فقال : ضعها عنده ، فقال : يكفيه ضعف قيمة الشاة ، قال : إليك عني فإنه إنْ لم يكن يعرفني فأنا أعرف نفسي ، إنَّ الرجل جاد علينا بجميع ماله ونحن جُدْنا عليه ببعض دنيانا .

* * * * *

الهادي

(**الـهـادي**) الذي أعطى كلَّ شيءٍ خَلَقَه ثم هدى ، وأَحَبَّ مَنْ شاء مِن عباده فهداه لعبادته .

وقال الإمام الغزالي : هو الذي هدى خواص عباده أولاً إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا بها على الأشياء ، وهدى عوام عباده إلى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته ، وهدى كلَّ مخلوق إلى ما لا بد له منه في قضاء حاجاته، فهدى الطفلَ إلى التقام الثدي عند انفصاله ، والفرخَ إلى التقاط الحب وقت خروجه ، والنحلَ إلى بناء بيته على شكل التسديس لكونه أوفق الأشكال لبدنه ، وأحواها وأبعدها عن أن يتخلّلها فرج ضائعة ...

وشرح ذلك يطول ، وعنه عبّر قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ (٢) .

والهداةُ مِنَ العباد الأنبياءُ والعلماء الذين أرشدوا الخلق إلى السعادة الأخروية وهَدَوْهم إلى الصراط المستقيم ، بل الله الهادي لهم على ألسنتهم ، وهم مُسَخّرون تحت قدرته وتدبيره .

وقيل : الهادي الذي يدلّ الحائر إلى طريق الخير والنجاة ، ويَهَبُ الهداية لمن ارتضاه ، ويُسَهّل سبل الهداية والكرامة لمن أحبه واجتباه .

وذاكِره ينال مناصب الأحكام ، ويهتدي إلى طرق الرشاد .

وقال القشيري : الهداية في اللغة الإمالة ، فالهداية إمالة القلب إلى الحق. قال الجنيد في معنى قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (٣) : مِلْ بقلوبنا إليك ، وأَقِمْ هِممنا بين يديك ، وكُنْ دليلنا منك عليك .

قال الله سبحانه : ﴿ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم ﴾ (٤) ، وكما يهديهم إلى نفسه

---

(١) : سورة طه .

(٢) : سورة الأعلى .

(٣) : سورة الفاتحة .

(٤) : سورة يونس ، الآية ٩ .

بِحُسْن التعريف ، يهديهم إلى محاسن الأخلاق ومعالي الأمور بِحُسْن التشريف .

وإنَّ الهداية إلى حُسْن الخُلُق باب الهداية إلى اعتقاد الحق ؛ لأنَّ الدين شيئان : صِدْقٌ مع الحق ، وخُلقٌ مع الخَلْق .

وقال علماؤنا : الهدى هديان : هدى دلالة وهو الذي يقدر عليه الرسل ، قال الله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ ﴾[2] ، فأثبت لهم الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه ، وتفرّد هو سبحانه بالهدى الذي معناه التأييد والتوفيق والعصمة .

قال لنبيه عليه الصلاة والسلام في حق عمه أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾[3] ، فالهدى على هذا يجيء بمعنى خَلْق الإيمان في القلب ، فيكون مِن صفات الفعل .

وقال أبو المعالي : وقد ترد الهداية والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان والطرق المفضية إليها .

---

[1] : سورة الرعد .

[2] : سورة الشورى .

[3] : سورة القصص ، الآية ٥٦ .

مِـنْ ذلـك قولـه تعـالى في صـفة المجاهـدين : ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ (١) .

وفي صحيح مسلم مِنْ حديث ابن عبـاس في قـصة ضمـاد : " فقـال رسول الله ﷺ : إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينـه ، مَنْ يـهده الله فلا مُـضِلَّ لـه ، ومَن يُضْلِـل فلا هادي لـه ... وذكر الحديث " (٢) .

ورُوِيَ عن سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عـن أبي جعفـر المدائـني أنـه سُئِـل عـن قـول الله ﷻ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ (٣) ، قـال : نورٌ يقذفـه في الجوف ينشرح له الصدر وينفسح . قيل لـه : هل له أَمارة يُعرف بها ؟ قـال : نعـم ، الإنابـة إلى دار الخلـود ، والتّجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل مجيء المـوت .

فيجب على كلِّ مسلم أنْ يعلم أنَّ الله هو الذي خَلَقـه ، وأنه هو الـذي خَلَـقَ فيه الهدى برحمتـه ، وأَضَلَّ مَنْ أَضَلّ بِعَدْلـه .

---

(١) : سـورة مـحـمـد .

(٢) : أخرجه كذلك أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، والشافعي ، وأحمد ، وابـن خزيمة في صحيحـه ، وابـن حبـان ، والبيهقـي ، وأبـو عوانـة في المستخرج ، وأبو نعيم ، والبزار ، والدارقطني في سننه ، والطبراني في الكبير .

(٣) : سـورة الأنعـام ، الآيـة ١٢٥ .

ثم يجب عليه الدعاء بدوام ذلك وأنْ يُميته على الإسلام ، فإنَّ في التنزيل : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾(١) .

وهذا موضع عظيم يخاف منه الرجل العليم ؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول : " يا مثبّت القلوب ثَـبِّتْ قلوبنا على طاعتك "(٢) .

ثم يعلم أنَّ للأنبياء والعلماء والأولياء مدخلاً في باب الهداية ، وهو الدعاء إلى الله تعالى كما قال : ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧﴾(٣) ، أي دليل . وقال : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾(٤) ، أي بيّنا لهم على لسان رسولهم . وهذا كما في الآية الأخرى : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ﴾(٥) ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾(٦) ، ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾(٧) .

---

(١) : سورة الأنفال ، الآية ٢٤ .

(٢) : روى أحمد والنسائي وأبو يعلى عن عائشة أنها قالت : " ما رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء إلّا قال : يا مُصَرّف القلوب ثبت قلبي على طاعتك " .
انظر أيضاً تخريج الحديث ص ٣٠٩ .

(٣) : سورة الرعد .

(٤) : سورة فصلت ، الآية ١٧ .

(٥) : سورة هود ، الآية ١٢ .

(٦) : سورة المجادلة الآية ٦ ، وسورة البروج الآية ٩ .

(٧) : سورة الشورى ، الآية ٤٨ .

فمَنْ خَلَقَ الله في قلبه الإيمان أجاب ، وليس يقدر رسولٌ ولا غيره على هذا ، قال الله لنبيه ﷺ في حق أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾(١) .

هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة مِنْ أهل المِلّة فاعلمه .

فأمّا قوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾(٢) ، فهذه هداية عامة عمّ بها جميع الحيوان ، ولولا هي ما اهتدى الذكر للأنثى، ولا البهائم لطلب المراعي ، ولا النحل لصنعته شكله المسدس ، ولا العنكبوت لنسج بيته المشبك .

وتفصيل هذا أكثر مِنْ أنْ يُحصى ، وليس هو المطلوب في شرح الأسماء .

❁❁❁❁

(١) : سورة القصص ، الآية ٥٦ .

(٢) : سورة طه .

البديع

(البَديعُ) المُبْدِع الذي يأتي بما لم يسبق إليه .

أو الذي لا نظير له بوجهٍ مِنَ الوجوه .

وهذه الأسماء السبعة الأخيرة مِنْ صفات الأفعال ، إلّا البديع بالمعنى الثاني فمِن صفات التنزيه .

قال القشيري : البديع مِن أسمائه تعالى ، قال الله سبحانه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[1] ، ومعناه المبدع ، فعيل بمعنى مفعل .

والله تعالى مبدع الأعيان لا على مثالٍ تقدّم ، ولا مِنْ أحدٍ تعلّم .

وقيل : إنَّ البديع هو الذي لا مِثْل له .

---

(1) : سورة البقرة الآية ١١٧ ، وسورة الأنعام الآية ١٠١ .

والوصفان جميعاً يـجبان لله تعالى لأنـه الـمنـشئ لا عـلى مثـال ، وهـو القديم بلا مثـال .

وقال أبو حامد الغزالي : البديع هو الذي لا عهد بمثلـه ، فـإنْ لم يكـن بمثله عهد لا في ذاتـه ولا في صفاتـه ولا في أفعالـه ولا في كلِّ أمر راجع إليه فهو البديع المطلـق ، وإنْ كان شيء مِن ذلك معهـوداً فلـيس ببـديع مطلـق ولا يليق هذا الاسم مطلقاً إلّا بالله ﷻ ، فإنه ليس له قبل فيكـون مِثْـله معهوداً قبلـه ، وكـل موجـود بعـده فحاصـل بإيجاده وهـو غـير مناسب لـموجده ، فهو بديـع أزلاً وأبداً .

وقيـل: الذي أبدع التصوير وأحسن التدبير ، ولم يخلق الأكوان خامدة مُـمِلّـة ، بل خَلَقها حافلـةً ببدائع المصنوعات وغرائب الفنون وعجيـب الحوادث ، شيّـقة للمتفكّرين ، كثيرة الدّلالات والآيـات للمتوسّـمين .

فسبحانه وتعالى لا نهاية لكمـالـه ، ولا حد لجلالـه ، ولا مثيـل لـه .

وذاكره يكون مِنْ أهـل البـصيرة والفهـم ، وتُقـضى حاجتـه ، ويـأمن الصواعـق .

* * * * *

الباقي

(**الباقي**) هو الدائمُ الوجودِ وكلُّ ما سواه يفنى ، فلا يناله تبارك وتعالى فناء .

قال تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] .

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الباقي هو الموجود الواجب وجوده بذاته ، ولكنه إذا أُضيف في الذهن إلى الاستقبال يُسمّى باقياً ، وإذا أُضيف إلى الماضي سُمِّيَ قديماً . والباقي هو الذي لا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال إلى آخِر ، ويُعبّر عنه بأنه أبدي . والقديم المطلق هو الذي لا ينتهي تمادي وجوده في الماضي إلى أول ، ويُعبّر عنه بأنه أزلي .

---

[1] : سورة القصص ، الآية ٨٨ .

وقولك : واجب الوجود بذاته مُتَضَمِّنٌ لجميع ذلك ، وإنما هذه الأسامي بحسب إضافة هذا الوجود في الذهن إلى الماضي والمستقبل .
وإنما يدخل في الماضي والمستقبل المتغيّرات لأنهما عبارتان عن الزمان ، ولا يدخل في الزمان إلّا التغيّر والحركة ، إذ الحركة إنما تنقسم إلى ماضٍ ومستقبل. والمتغيِّر يدخل في الزمان بواسطة التغيّر ، فما جلّ عن التغيّر والحركة فليس في زمان ، فليس فيه ماض ومستقبل ، فلا ينفصل فيه القِدَم عن البقاء ، بل الماضي والمستقبل إنما يكون لنا إذْ مضى علينا وفينا أُمور ، وستتجدّد أمور ، ولا بد مِن أمور تحدث شيئاً بعد شيء حتى تنقسم إلى ماضٍ قد انعدم وانقطع ، وإلى راهن حاضر ، وإلى ما يتوقّع تجدّده مِن بعد ، فحيث لا تجدّد ولا انقضاء فلا زمان ، وكيف لا والحق ﷻ قبل الزمان ؟ وحيث خَلَقَ الزمان لم يتغيّر مِن ذاته شيء ، وقبل خَلْق الزمان لم يكن للزمان عليه جريان ، وبقي بعد خَلْق الزمان على ما عليه كان .

وقال بعضهم : الباقي الذي لا يموت أبداً ولا يَهِن ، ولا يتحوّل ولا يتغيّر ، واجب الوجود لذاته ، ولا حياة لغيره إلّا به .

وذاكِره يطول عمره ، ويشفى مِن مرضه ، ويستنير في باطنه ، وينظر في مستقبله ، ويطمئن إلى ربه .

وقال القشيري : الباقي اسم مِن أسمائه تعالى ، والبقاء صفة مِن

صفات ذاتـه ، وهـو تعـالى بـاقٍ ببقـاءٍ هـو قائـم بـه ، وبقـاؤه بـاقٍ لنفسه ؛ لأنه في نفسه بـاقٍ ، وصفات ذاتـه باقيـة ببقائـه تعالى ، وحقيقـة الباقي مَنْ لـه البقـاء . وإنمـا جاز أنْ يكون بقـاؤه بقـاءً لصفاتـه ولم يجز أنْ يكـون بقـاءُ الجـوهر بقـاءً لأعراضـه ؛ لأنَّ الجـوهر غـير العَـرَض ، ولا يجوز أنْ يكون الباقي باقيـاً ببقـاء هو غـيره .

ومما يجب أنْ تشتـدّ به العنايـة أنْ يتحقّـق العبـدُ أنَّ المخلـوق لا يجـوز أنْ يكون متّـصفاً بصفات ذات الحق سبحانه ، فلا يجوز أنْ يكون العبـد بعِلْم الله عالمـاً ، ولا يجوز أنْ يكون العبد بقدرة الله قادراً ، ولا أن يكـون سميعاً وبـصيراً بِـسَمْعه وبـصره تعـالى ، ولا أن يكـون حيّـاً بحياتــه ، ولا باقيـاً ببقائـه تعـالى ؛ لأنَّ الـصفة القديمـة لا يجـوز قيامهـا بالـذّات الحادثـة ، كمـا لا يجـوز قيـام الصفة الحادثـة بالذات القديمة .

وحفظ هذا الباب أصل التوحيد ، فإنَّ كثيراً ممن لا تحصيل له ولا تيقّن زعموا أنَّ العبد يصير باقيـاً ببقاء الحق ، وأنه يكون سميعاً بسمعه بصيراً ببصره حيّـاً بحياتـه ... وهذا خروج عن الدين وانسلاخ عـن الإسـلام بالكلية ، وهذه البدعة أشنع مِن قول النصارى حيث قـالوا : إنَّ الكلمـة القديمة اتّـحدت بذات عيسى ، وهـذه البدعـة تُـوازي قـول الحلوليـة حيث جوّزوا على ذات الحق سبحانه الحلـول في الأشـخاص المحدَثـة ، كذلك هؤلاء جوّزوا قيام الصفة القديمة بالذات المحدثـة .

وربما تعلّقوا في نصرة هذه المقالة الشنيعة بما رُوِيَ في الخبر عن الله تعالى إذ قال : " فإذا أحببتُه كنتُ له سمعاً وبصراً ، بي يَسمع وبي يُبصر "(١) .

ولا احتجاج لهم في ظاهره لأنه ليس فيه أنه يسمع بسمعي ويبصر ببصري ، بل قال : بي يسمع وبي يبصر ، فالاتّفاق أنَّ ذاته لا يجوز أنْ تكون لأحدٍ سمعاً ولا بصراً ، فإذا تركوا الظاهر لم يبقَ إلّا التأويل ، فالواجب الاشتغال بالتأويل الصحيح دون الباطل .

وإنما حملنا على المبالغة في شرح هذا الفصل ما رأينا مِنَ الواجب علينا في نصرة الدين ، ونحن في زمان يناظرنا فيه مَن ليس له تحقيق ولا تحصيل .

قال النصر أباذي : " الحق ﷻ باقٍ ببقائه ، والعبد باقٍ بإبقائه " .

*****

(١) : أخرج الشيخان في الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : يقول الله تعالى : " ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحبه ، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها " .
وفي رواية في غير الصحيح أوردها ابن حجر في الفتح ولم يعزها إلى أي مصدر : " فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي " .

الوارِثُ

(**الوارِثُ**) الباقي بعد فناء الموجودات ، فتبقى بيده الأملاك سبحانه وتعالى بعد فناء الملاك كما كانت قبل خَلْقهم .

قال تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[1] .

وقيل : الذي تؤول إليه ملكية جميع الأشياء بحكم بدئها مِن إيجاده وإنشائه ، ولكونه سبحانه وتعالى الباقي الذي لا يزول ولا يتحوّل ولا يموت أبداً ، وهو الذي يورث خلقه جيلاً بعد جيل إلى أنْ يَرِثَ الأرض ومَنْ عليها بانتهاء الخلق المقدّر ظهوره وتكليفه ، فتبدّل الأرض غير الأرض ، فلا يبقى للخلق مِن نشأتها وسعيها وتعميرها إلّا ميراث العمل الصالح،

[1]) : سورة غافر .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١) .

وذِكْره يورث في القلب الزهد والعفاف والتقى ، ويجعل ذاكره سيّداً في قومه .

وقيل : الوارث الذي يرث لا بتوريث أحد ، الباقي الذي ليس لمُلْكه أمد .

وقال القشيري : الوارث هو الباقي بعد فناء الخلق ، يفني الأوّلين والآخرين مِنَ الملائكة المقرّبين والأنبياء والمرسلين ثم يقول : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ ؟ ويجيب نفسه بقوله : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٤) .

واعلم أنَّ مالك جميع الممكنات هو الله سبحانه وتعالى ، ولكنه بفضله جعل بعض الأشياء مُلْكاً لبعض عباده ، فالعباد إذا ماتوا وبقي الحق سبحانه وتعالى ، فالمراد بكونه وارثاً هو هذا ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ

(١) : سورة الأنبياء .
(٢) : سورة غافر .
(٣) : سورة الحجر .
(٤) : سورة مريم .

﴿ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ﴾[1] .

قال أبو حامد الغزالي : وهذا الجواب والسؤال إنما اختصّا بذلك اليوم بحسب ظنّ الأكثرين ؛ لأنهم يظنّون لأنفسهم ملكاً وملكاً ، فيكشف لهم في ذلك اليوم حقيقة الحال ، فأمّا أرباب البصائر فإنهم مشاهِدون لمعنى هذا النداء في الحال ، سامعون له مِن غير حرف ولا صوت ؛ وذلك لأنَّ المنفرد بالتدبير والتقدير مِنَ الأزل إلى الأمد هو الحق سبحانه ، والملك والملك له أبداً وأزلاً . وكما امتنع انقلابه مِنَ الوجوب والاستغناء إلى الإمكان والافتقار ، امتنع انقلاب شيءٍ مِمّا سواه مِنَ الإمكان إلى الوجوب ، فكذلك الملك والملك له لا لغيره أزلاً وأبداً .

وقال علماؤنا : الوارث الذي تسربل بالصمدية بلا فناء ، وتفرّد بالأَحدية بلا انتفاء .

* * * * *

---

[1] : سورة غافر .

الرَّشِيدُ

(**الـرَّشيـد**) الـمُـرْشِـد لعباده ، الذي تجـري تدابيره لغايتهـا ونهايتهـا على سـنن السّـداد بلا استـشارة ولا إرشـاد .

وقال الغزالي : هو الذي تنسـاق تدبيراتـه إلى غاياتها على سنن الـسّداد مِن غير إشـارةِ مشيـرٍ ، وتسديد مُسَدّدٍ ، وإرشاد مرشد ، وهو الله ﷻ .

ورشـد كل عبـدٍ بقدر هدايتـه في تدابيره إلى ما يـشاكله الـصواب مِـنْ مقـاصده ودينـه ودنيـاه .

وقيـل : الرشيد الحكيم الذي ليس في أفعالـه عبث ولا لهو ولا باطل ، يـهب الرشد والصلاح لِـمَنْ يشاء مِن عباده .

قال ﷻ : ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ** ﴿٥١﴾ ﴾ [1] .

---

[1]) : سـورة الأنبيـاء .

وذاكِره يقبل الله توبته ، ويصلح له عمله ، ويكون مِنَ المحسنين .

وقال القشيري : الرشيد مِنْ أسمائه تعالى ، ورد به الخبر الوارد في تفصيل أسمائه ، ومعناه المرشد . وإرشاد الله تعالى لعبده هدايته لقلبه إلى معرفته ، هذا هو الإرشاد الأكبر الذي خصّ به أولياءه مِنَ المؤمنين ، قال سبحانه : ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾[1] .

وبعد هذا إرشاده لعباده في الآخرة إلى الجنة ، ثم إرشاده لهم اليوم إلى اختيار طريق طاعته والتَّوَقِّي عن مخالفته ، ثم إرشاده إيّاهم لِما فيه صلاح أحوالهم مِن انتظام أسباب معايشهم ، قال الله سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾[2] .

وأَمارة مَن يرشده الحق لإصلاح نفسه أنْ يلهمه حُسْنَ التوكّل عليه ، وتفويض أُموره بالكلية إليه ، واستجارته إيّاه في كلِّ خَطْبٍ ، واستخارته في كل شغل ، كما أخبر سبحانه عن موسى عليه السلام حيث قال : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾[3] .

---

[1]) : سورة البقرة .
[2]) : سورة الشمس .
[3]) : سورة القصص .

هكذا ينبغي للعبد إذا أصبح أنْ يتوكّل على ربـه ، فـلا يـستقبله شـغل إلّا فزع إليـه ونظر إلى ما يَـرِد على قلبـه مِنَ الإشارة مِنْ قِـبَـلـه ، فتندفع عنه الأشغال ويكفيـه الله تعالى جميع الأمور ، فإنْ رجع بعـد مـا أرشـده الله تعالى إلى هذا عاتبـه الله تعالى بمـا يعلـم أنـه كـان منـه سـوء أدب ؛ حتى يعود إلى سكونـه وتَـرْك اخـتياره واحتيالـه .

يُحكى عن بعضهم أنه قال : كنتُ مع إبراهيم بن أدهـم في الـسفر وقـد أصابنـا الجوع ، فأخرج كتابـاً كان معه بعد ما نزلنـا في مسجد فقـال لي : مُـرَّ وارْهَنْ هذا الكتاب وجئنـا بشيءٍ نأكلـه فقـد مَـسَّنا الجـوع . قـال : فخرجتُ فاستقبلنـي رجل بين يديـه بغلـة موقرة ، وكان يقـول : الـذي أطلبه رجل أشقر طويل يقال له : إبراهيم بـن أدهـم ، فقلـتُ لـه : مـاذا تريد منه ؟ فقال : أنا غلام أبيـه وهذه الأشياء له ، فدَلَـلْـتُـه عليه . قال : فدخل المسجد وأكبّ على رأسه ويديه يقبّـلهمـا ، فقال له إبراهيم : مَـنْ أنت ؟ فقال : غلام أبيك ، وقد مات أبوك ومعـي أربعـون ألـف دينـار ميراثـك مِن أبيك ، وأنا عبدك فمُـرْ بمـا شئتَ . فقال إبراهيم: إنْ كنتَ صادقاً فأنت حـرٌّ لوجه الله تعالى، والذي معك كله وهبتُـه لك ، انصرف عني. فلمّـا خرج قال : يا رب كلّمتُـك في رغيفٍ فصَبَبْتَ علـيّ الدنيا ، فوحقّك لئـن أَمَـتَّـني مِنَ الجوع لا تعرّضتُ بعده لطلبِ شيءٍ أبداً .

انـظر كيف أرشده الله تعالى بِحُسْن الإشارة على قلبــه ؛ لِـمـــا رأى في

إتـمـام مـا قَصَده مِن طريق زهـده .

ومِن إرشاد الله تعالى للعبد تـثبيتُـه إيّـاه على طريق الملازمة والاستقامة حتى لا ينقص عزمـه ، ولا يفسخ مع الله ﷻ عـقده .

يُحكى عن بعضهم أنه قال : صَحِبْتُ إبراهيم بن أدهـم في طريـق مكـة وتشارطنا أن لا ننظر لأحدٍ إلّا لله تعالى ، فدخلنـا الطـواف يومـاً وكـان في الطواف غلامٌ فَـتَنَ الناس بحسن وجهه ، فإذا إبراهيم بن أدهم يُـديم النظر إليه ، فقلت له : أيها الشيخ ، أليس قد تشارطنـا أن لا ننظـر إلّا لله تعالى ؟! قال : نعم ، فقلتُ : فلمـاذا تُـكـثر النظـر إلى هذا الصبي الـذي قد فَـتَنَ النـاس بوجهه ؟ فقال : إنه ابني ، فقلتُ : لِـمَ لا تتعرّف إليـه ؟ فقال : شيءٌ تركتُـه لله لا أعود إليه ، مُـرَّ أنـت وسَـلِّمْ عليـه ، ولا تخبره بشأني ولا تدلّـه على مكاني . قال : فمررتُ وسـلّمتُ عليـه وقلـت لـه : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا ابن إبراهيم بـن أدهـم ، قيـل لي : إنَّ أبي يحـجّ كـلَّ سنـةٍ ، فجئتُ لعلّـي أراه . قال : فرجعتُ إلى إبراهيم فسمعتُـه ينـشد :

هَجَرْتُ الـخَلْـقَ طُـرّاً في هَواكـا ... وأَيْـتَـمْـتُ العيـالَ لِكَـيْ أَراكـا
ولو قَـطَّـعْـتَـنـي في الحـب إِرَبـاً ... لَـمـا حَـنَّ الفـؤادُ إلى سِـواكا
تجـاوَزْ عن ضـعيفٍ قـد أَتـاكـا ... وجـاء راجيـاً يرجـو نِـداكا
وإن يكن يا مهيمنُ قـد عَـصاكا ... فلـم يـسجد لمعبـودٍ سِـواكا

إلهـي عبـدُك العـاصي أَتـاكـا   مُقِـرّاً بالـذنوب وقـد دَعاكـا
فـإنْ تغفـر فأنـت لـذاك أهـلٌ   وإنْ تطـرد فمَـنْ يـرحم سِـواكا

وإنـه سـبحانه أرشـد نفـوس الزاهـدين إلى طريـق طاعتـه ، وقلـوبَ العارفـين إلى سبيـل معرفتـه ، وأرواح الواجدين إلى حقيقـة صحبتـه ، وأسرار المـوحّدين إلى حقيقـة تطلع قربتـه .

لا حَرَمنـا الله ما رزقهم ، ووفّقنـا لِـمـا وفّـقهم بِمَنّـه ولُطْف صُنْعـه .

((ملاحظـة)) : لَـمّـا وفّـق الله الزاهـدين لمعرفـة الحقيقـة ، نظـروا إلى الآخرة والدنيا فوجـدوا ضرّتـين متقابلتـين ، إحـداهما أبقـى وأكـبر ، فقدّموا الباقيـة على الفانيـة ، فكانوا بذلك موفّـقين لهذا الاختيـار .

نسأل الله الكريم أنْ يُعَـرِّفنـا حقائـق الأمـور ، ويرزقنـا اتّبـاع سـبيل الخـير الباقـي ، إنـه على ما يشـاء قديـر .

* * * * *

الصَّبور

(**الصَّبـورُ**) الذي لا يُعاجِل بالقـصاص مَـنْ عـصاه ، فـإنَّ الله يُمْهِـلُ ولا يُـهْمِـل .

أو الذي لا يسـرع بشيء قبل أوانـه ، وهذا أعـمّ مِـمّـا سبقـه .

وقيـل: هو الذي لا يعجـل ، ويجعل الأمور والأشياء مرهونة بأوقاتها مع قدرتـه على إبرازها جملـة واحدة .

وفي ذلك جليـل الحكمـة وكـريم الموعظـة لِـخَلْقـه ؛ حتـى يـصبروا ويصابروا ويـهون عليهم كل شيء بالصـبر .

وذاكِـره لا تُصيبـه النكبات ، ولا تـمسّـه الحسرات ، ويكـون ربُّـه في حوادث الدهـر وَلِـيَّـه .

وقال القشيري: الصبور مِـمّـا ورد به الخبر في أسمـائه تعالى، فإنْ صحّ

ورود الرواية به فمعناه الحليم في وَصْفه ؛ لأنَّ معنى الصبر في اللغة الحبس ، والصابر يكون على وجهين : صابرٌ عن شيء وصابرٌ على شيء ، وكل واحد منهما يحبس نفسه على ما يصبر عليه ، ويحبس نفسه عمّا يصبر عنه . وفي صفة القديم سبحانه لا يصح حبس النفس ، ولكن يكون بمعنى تأخير العقوبة عن العباد ، وقد مضى طرف مِنَ الكلام في حِلْمه وتأخيره العقوبة عن العباد [1] .

وقال القرطبي: لم يَرِدْ به التنزيل، وإنما وَرَدَ في الصحيح: " لا أحد أصبر مِنَ الله " [2] ، وورد في حديث أبي هريرة الصَّبور .

وقال علماؤنا : لسنا نقطع بهذه التسمية وإنْ جَوَّزْناها على معنىً دون معنى ، وقد ذكروا أمثالها ما لم يرد به قرآن ولا خبر صحيح ، وقد استعملوا ما فيه أثر ضعيف ، فأمّا هذا الاسم فقد جاء أفعل فيه في الحديث الصحيح وهو قوله : " لا أحد أصبر على أذىً مِنَ الله " ، وإذا كانوا يُسمّون الله باسم الفاعل مِنْ يَفْعَلُ ، فتسميته باسم الفاعل

---

(1) : انظر ص ١٣١ - ١٣٤ .

(2) : رواه البخاري ، ومسلم ، والنسائي ، وأحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي ، والحميدي ، والطبراني في المكارم .

ولفظ الحديث بتمامه كما رواه مسلم : " لا أحد أصبر على أذىً يَسمعه مِنَ الله ﷻ ، إنه يُشْرَك به ويُجعَل له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم " .

مِنْ أَفْعَل أقرب إلى الاشتقاق وأوضح في المعنى .

وقال ابن العربي : إذا كان معنى الصبر الحبس فذلك محالٌ في حق الله عقلاً ، ولم يرد الاسم سمعاً ، وإنما ذُكِرَ في حديث أبي هريرة المفسّر الذي لا يُقطع به مِنْ قول النبي ﷺ ولا مِنْ قول أبي هريرة رضي الله عنه ، واختلفوا في تأويله على ثلاثة أقوال :

الأول : إنه مِنْ صفات ذاته ، وإنه بمعنى حليم . قاله ابن فورك والقشيري .

الثاني : إنه مِنْ صفات الذات ، ولكنْ يرجع إلى إرادة تأخير العقوبة ، والحليم يرجع إلى إسقاطها .

الثالث : إنه مِنْ صفات الفعل ، ويرجع إلى تأخير العقوبة ، وإليه صَغْوُ أبي حامد شيخنا رضي الله عنه .

والصحيح مِنْ هذا أنَّ الصبور يرجع إلى الصبر ، إرادة تأخير العقوبة وهو المختار ، وذلك معنى قوله : " لا أحد أصبر مِنَ الله " ، فإنه يعافيهم ويرزقهم وهم يدّعون له الصاحبة والولد . فأشار إلى تأخير العقوبة عن الكبائر في الدنيا ، إذ لا بد مِن معاقبته في الآخرة .

وهذا نصٌّ في المسألة وحقيقةُ معنى قوله عليه الصلاة والسّلام : " الحمد لله الذي لا يَعْجَلُ بالعقوبة شيء أَناه وقَدّره " [1] ، فرجع

[1] : حديث ضعيف أخرجه بمعناه البيهقي في سننه الكبرى مرسلاً عن الزهري .

تحـقيق وَصْفِ الصبر إلى أنه الـمريد لتـأخير العقوبة التي قدّر لها وقتـاً ، وحَـدَّ لـها أَجَـلاً مـمدوداً .

وهذا المعنـى موجود في قوله تعـالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[١] .

وقولــــه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[٢] .

.... في عـدد أمثـال آيـاتٍ لـهذه .

أمّـا المشايخ فقالوا : الصبور الذي لا تُزعجـه كثـرة المعـاصي إلى كثـرة العقوبـة .

وقيل: الصبور الذي إذا قابَــلْـتَـه بالجـفاء قابلـك بالعطيّـة والوفـاء ، وإذا أعرضتَ عنـه بالعصيـان أقبـل إليـك بالغـفران .

* * * * *

---

(١) : سـورة النـحل ، الآيـة ٦١ .

(٢) : سـورة إبـراهيـم .

فهذه تسع وتسعون اسمـاً جعلتها بين أيديكم مفسّرة تفسيراً إجماليـاً .

وإنَّ لهذه الأسمــاء الرفيعـة معـانٍ وأسراراً لا يعلمهـا إلّا القهـار ومَـنِ ارتـضاه مِن عباده ، فيُـطلع سبحانـه أنبيـاءه وأوليـاءه عـلى أسرار هـذه الأسمـاء .

والله َ تعـالى أسـأل أنْ يرزقنـا ببركتهـا توحيـده الـصادق ، وتوفيقـه للقرب منـه بالعمل الذي يُحبّـه ويرضاه عنـا ، إنـه سـميعٌ مجيـب ومَـنْ سـألـه لا يخـيب .

وإني أتـشفّع إلى الله بأسمـائـه الحسنى وصفاتــه العـلا أنْ يرزقنـي في الدنيا طاعتـه ، وفي الآخرة شفاعة أسمـائـه الحسنى لي ولآبائي وأمهـاتي وإخواني وأحبابي والمـسلمين أجمعـين .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبـي الـرحيم ، حبيـب الله والعظـيم عنـد خَلْقه ، وعلى آله الطاهرين والعلمـاء العاملين والمسلمين إلى يوم الدِّين .

وآخـر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

اسم الله الأعظم

وأمّا اسم الله الأعظم وهو كمال المائة فقد اختلف الناس فيه :

فقال قائلون : ليس الاسم الأعظم لله اسماً معلوماً معيّناً ، بل كلُّ اسمٍ يذكر العبدُ ربَّه حال ما يكون مستغرقاً في معرفة الله تعالى فينقطع الفكر والعقل عن كلِّ ما سواه فذلك الاسم هو الاسم الأعظم .

رُوِيَ أنَّ واحداً سأل جعفر الصادق عن الاسم الأعظم فقال له : قُمْ واشرع في هذا الحوض واغتسل حتى أُعَلِّمك الاسم الأعظم . فلمّا شرع في الماء واغتسل ، وكان الزمان زمان الشتاء والماءُ في غاية البرد ، فلمّا أراد أنْ يخرج مِن جانب الماء أَمَرَ جعفرُ أصحابَه حتى منعوه مِنَ الخروج عن الماء ، وكلما أراد أن يخرج ألقوه في ذلك الماء البارد ، فتضرّع الرجل إليهم كثيراً فلم يقبلوا قوله ، فغلب على ظنّ ذلك الرجل أنهم يريدون قتله وإهلاكه ، فتضرّع إلى الله تعالى في أنْ يُخلّصه منهم ، فلمّا سمعوا منه ذلك الدعاء أخرجوه مِنَ الماء

وألبسوه الثياب وتركوه حتى عادت القوة إليه ، ثم قال لجعفر الصادق : الآن عَلِّمْني اسم الله الأعظم ، فقال جعفر : يا هذا إنك قد تعلّمتَ الاسم الأعظم ودَعَوْتَ الله به وأجابك ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقال جعفر : إنَّ كلَّ اسمٍ مِن أسمائه تعالى يكون في غاية العظمة ، إلّا أنَّ الإنسان إذا ذَكَرَ اسم الله عند تعلّق قلبه بغير الله لم ينتفع به ، وإذا ذَكَرَه عند انقطاع طمعه مِن غير الله كان ذلك الاسم الأعظم ، وأنت لَمّا غلب على ظنك أنّا نقتلك لم يبقَ في قلبك تعويل إلّا على فضل الله ، ففي تلك الحالة أيّ اسمٍ ذكرتَه فإنَّ ذلك الاسم هو الاسم الأعظم .

ورُوِيَ أنَّ رجلاً جاء إلى أبي يزيد وقال : أَخْبِرني عن اسم الله الأعظم ؟ فقال أبو يزيد : اسم الله الأعظم ليس له حد محدود ، ولكن فَرِّغْ قلبك لوجه الله ، فإذا كنتَ كذلك فاذكر أيّ اسمٍ شئتَ .

ورُوِيَ عن الجنيد أنه جاءته امرأة وقالت : ادْعُ الله لي فإنَّ ابني ضاع ، فقال : اذهبي واصطبري . فمَضَتْ ثم عادت ، فقالت مِثْل ذلك مرات والجنيدُ يقول : اصبري ، فقالت مرة : عيل صبري وما بقيت لي طاقة فادْعُ لي ، فقال لها الجنيد : إنْ كان كما قلتِ فاذهبي فقد رجع ابنك . فمَضَتْ ثم عادت تشكر الله ، فقيل للجنيد : بِمَ عرفتَ ذلك ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[1] .

---

(1) : سورة النمل ، الآية ٦٢ .

واعلم أنه ظهر مِن هذا الكلام أنَّ العبد كلما كـان انقطـاع قلبـه عـن الخلق أتـمّ كان الاسم الذي به يَـذكر الله ﷻ أعظم .

ولا شك أنَّ العبد في آخر نفسه ينقطع أملـه عن الخلـق بالكليـة ، فلـم يبـقّ في قلبـه رجاء ولا خوف إلّا مِنَ الله ﷻ ، فـلا جـرم إذا ذَكَـرَ العبـدُ ربَّـه في مِثْـل ذلك الوقت بأي اسمٍ كان فقد ذكـره بأعظم الأسمـاء .

ومتى ذَكَـرَ العبدُ ربَّـه بأعظم الأسمـاء لـزم في كرمـه ورحمتـه وجـوده أنْ يخصّ ذلك العبد بأعظم أنواع الجود والكرم ، وما ذاك إلّا بأنْ يخلّصه مِن دركات العذاب ، ويوصلـه إلى درجات الثواب .

فلهذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام : " مَنْ كان آخر كلامه : لا إلـه إلّا الله دخل الجنـة "[١] .

وقـال قائـلون : الاسم الأعظم لله تعالى اسـم معيّـن .

والقائلون بهذا القول قسمـان : منهم مَنْ قـال : إنـه معلـوم للخلـق ، ومنهم مَنْ قال : إنـه غير معلوم للخلـق .

أمّـا القائلون بأنه معلوم للخلـق فقد اخـتلفوا فيه على أقوال :

القول الأول : إنَّ الاسم الأعظم لله تعالى قولنـا : (هـو) .

---

[١] : رواه أبو داود في سننه من حديث معاذ بن جبل ، وأحمد في مسنده ، والحـاكم في المستدرك ، والبيهقي ، والبزار ، والطبراني في الكبير ، ... وآخـرون .

والقائلون بهذا القول إذا أرادوا المبالغة في الدعاء قالوا : يا هو ، يا مَنْ لا هو إلّا هو ، يا مَنْ به هوية كل هو .

واحتجّوا على هذا القول بوجوهٍ : منها أنَّ افتقار الخلق إلى الخالق مقرّر في العقول ، وكأنه بلغ في الظهور إلى غاية درجة العلوم الضرورية ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1] . فقولنا : (هو) إشارة إلى ذلك الوجود الذي شهدت فطر الخلائق وعقولهم بافتقارِ كلِّ الممكنات إليه .

فكلمة (هو) دالّة على أنه تعالى هو الباطن بماهيّته وكنه صمديّته ، وعلى أنه تعالى هو الظاهر بحسب دلائله ، فكان هذا الاسم أعظم الأسماء .

الحجة الثانية أنَّ مَنْ أراد أنْ يُعَبّر عن مَلِكٍ عظيم قال: هو وإنْ كان حاضراً ، فلا يقال : أنت فعلتَ كذا ، بل : هو فعل كذا . فدلّ هذا على أنَّ هذا اللّفظ هو أعظم الكنايات .

القول الثاني : إنَّ أعظم الأسماء هو قولنا : (الله) .

واحتجّ القائلون به على صحته مِن وجوه : منها أنَّ هذا الاسم ما أُطلق على غير الله تعالى ، فإنَّ العرب كانوا يُسَمّون الأوثان آلهة ،

---

(1) : سورة لقمان الآية ٢٥ ، وسورة الزمر الآية ٣٨ .

إلّا هذا الاسم فإنهم ما كانوا يُطلقونـه على غـير الله ﷻ ، والـدليل عليـه قوله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾(٢) ؟ معناه : هل تَعلم مَن اسمه الله سوى الله ؟

ولَـمّـا كان هذا الاسم في الاختصاص بـالله تعـالى عـلى هـذا الوجـه ، وجب أنْ يكون أشرف أسمـاء الله ﷻ .

الحجّـة الثانيـة أنَّ هذا الاسم هو الأصل في أسمــاء الله ﷻ ، وسائــر الأسمـاء مضافة إليه ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾(٣) ، فأضاف سائر الأسمـاء إليه ، ولا محالـة أنَّ الموصوف أشرف مِنَ الصفة . ولأنه يقال : الرحمن الرحيم الملك القدوس ... كلّها أسمـاء الله تعـالى ، ولا يقال : الله اسم الرحمن الـرحيم ... فـدلّ هـذا عـلى أنَّ هـذا الاسـم هو الأصل .

الحجة الثالثـة قوله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾(٤) ، خَـصَّ

---

(١) : سـورة لقمـان الآيـة ٢٥ ، وسـورة الزمـر الآيـة ٣٨ .
(٢) : سـورة مريـم .
(٣) : سـورة الأعـراف ، الآيـة ١٨٠ .
(٤) : سـورة الإسـراء ، الآيـة ١١٠ .

هذين الاسمين بالذِّكْر وذلك يدلّ على أنهما أشرف مِن غيرهما .

ثم إنَّ اسم (الله) أشرف مِن اسم (الرحمن) ، أمّا أولاً فلأنه يقال : قدّمه في الذِّكْر ، وأمّا ثانياً فلأن اسم الرحمن يدلّ على كمال الرحمة ولا يدلّ على كمال القهر والغلبة والعظمة والقُدس والعِزّة ، وأمّا اسم الله فإنه يدلّ على كلّ ذلك ، فثبت أنَّ اسم الله تعالى أشرف .

القول الثالث : هو أنَّ أعظم الأسماء قولنا : (الحيّ القيّوم) .

ويدلّ عليه وجهان : الأول ما رُوِيَ أنَّ أُبيّ بن كعب طلب مِنْ رسول الله ﷺ أنْ يُعلّمه الاسم الأعظم فقال : " هو في قوله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [1] ، أو في قوله : ﴿ الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ ﴾ [2] " [3] .

قالوا : وليس ذلك هو قولنا : الله لا إله إلّا هو ؛ لأنَّ هذه الكلمة موجودة في آيات كثيرة ، فلمّا حصر الرسول ﷺ الاسم الأعظم في

---

(1) : سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .

(2) : سورة آل عمران .

(3) : أخرج أحمد في مسنده وحسّنه عن أسماء بنت يزيد قالت: " سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في هذين الآيتين : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ ، ﴿ الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ ﴾ : إنَّ فيهما اسم الله الأعظم " .

هاتـين عَلِمْنـا أنَّ ذلك هو الحـيّ القـيّوم .

الوجه الثـاني أنَّ هذين الاسمين يدلّان مِن صفات العظمـة والكبريـاء والإلهيـة على ما لا يدلّ عليه سائر الأسمـاء ، وذلك يقتـضي كون هـذين الاسمين أعظم الأسمـاء .

القول الرابع : إنَّ الاسم الأعظم هو قولنـا : (ذو الجلال والإكرام) .

ويدلّ عليـه وجهان : الأول قولـه عليـه الـصلاة والـسلام : " أَلِظّـوا بيـاذا الجلال والإكـرام "[1] .

والثـاني أنَّ هذه الكلمة دالّـة على جميـع الـصفات المعتـبرة في الإلهيـة ، أمّـا الجـلال فهـو إشـارة إلى الـسلوب ، وأمّـا الإكـرام فهـو إشـارة إلى الإضافات ، ومعلومٌ أنَّ الـصفات المعلومـة للخلـق محـصورة في هـذين القسمين . وأيضاً فالجلال إشارة إلى كونـه مقدّسـاً عن غايـات العقـول ونهايات الأوهـام ، وذلـك مُـشْعِرٌ بغايــة البُعْـد . والإكـرام إشـارة إلى صـفات الرحمــة والإحـسان ، وذلـك مُـشْعِر بغايـة القُـرْب . فقولنـا : ذو الجلال والإكرام إشارة إلى كونـه قريبـاً بعيـداً ، ظاهـراً باطنـاً .

القـول الخـامس : إن الاسـم الأعظـم مـذكور في الحـروف المـذكورة في أوائـل السّـور .

---

(١) : تـقدّم معنـا ذِكْـر الحديث ص ٣٠٧ ، فارجع إلى تخريجـه هنـاك .

يروى عن علي كرم الله وجهه أنه كان إذا صعب عليه أمرٌ دعا وقال : يا ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾[١] ، يا ﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ ﴾[٢] .

وكان سعيد بن جبير يقول : هذه الحروف منها ما يُهتدى إلى كيفية تركيبها مِثْل : ﴿ الٓر ﴾[٣] ، ﴿ حمٓ ۝١ ﴾[٤] ، ﴿ نٓ ﴾[٥] . قال : مجموعها (الرحمن) ، ومنها ما لا يُهتدى إلى كيفية تركيبها واسم الله الأعظم فيها .

القول السادس :

يُروى عن زين العابدين أنه قال : سألتُ الله أنْ يُعَلِّمني الاسم الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، فقيل لي في النوم : قُلْ : " اللّهم إني أسألك ، الله ، الله ، الله الذي لا إله إلّا هو رب العرش العظيم " . قال : فما دعوتُ به إلّا رأيتُ النّجح .

وروى أبو قاسم القشيري في كتاب الرسالة حديثاً مسنداً عن أنس بن مالك قال : " كان رجلٌ على عهد رسول الله ﷺ يتجر مِن بلاد الشام إلى

---

١) : سورة مريم .

٢) : سورة الشورى .

٣) : سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر ، الآية ١ .

٤) : سورة غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف .

٥) : سورة القلم .

المدينة ، ومن المدينة إلى بلاد الشام ، ولا يصحب القوافل توكّلاً منه على الله ﷻ . قال : بينا هو جاء من الشام يريد المدينة إذ عرض له لص على فرس ، فصاح بالتاجر : قِفْ ، فوقف له التاجر وقال له : شأنك بمالي وخَلِّ سبيلي ، فقال له اللّص : المال مالي وإنما أريد نفسك ، فقال له التاجر : ما ترجو بنفسي ؟ شأنك والمال وخَلِّ سبيلي . قال : فردّ عليه اللّص مِثْل المقالة الأولى ، فقال له التاجر : أَنْظِرْني حتى أتوضّأ وأُصلّي وأدعو ربي ﷻ ، قال : افعل ما بدا لك . قال : فقام التاجر وتوضّأ وصلّى أربع ركعات ثم رفع يديه إلى السماء ، فكان مِنْ دعائه أنْ قال : " يا ودود ، يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، يا مبدئ يا معيد ، يا فعال لِما يريد ، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك ، وأسألك بقدرتك التي قدرتَ بها على خلقك ، وبرحمتك التي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ ، لا إله إلّا أنت ، يا مغيث أَغِثْني " ثلاث مرات . فلما فرغ مِن دعائه إذا بفارس على فرس أشهب عليه ثياب خضر ، بيده حربة مِن نور ، فلمّا نظر اللّص إلى الفارس تَرَكَ التاجر ومرّ نحو الفارس ، فلما دنا منه شدّ الفارس على اللّص فطعنه طعنة أذراه عن فرسه ، ثم جاء إلى التاجر فقال له : قُمْ فاقتله ، فقال له التاجر : مَنْ أنت ؟ فما قتلتُ أحداً قط ولا تطيب نفسي لقتله . قال : فرجع الفارس إلى اللّص فقتله ، ثم جاء إلى التاجر وقال : اعلم أني مَلَك مِنَ السماء الثالثة ،

حين دَعَوْتَ الأولى سَمِعْنا لأبواب السماء قعقعة فقلنا : أمر حدث ، ثم دعوتَ الثانية ففُتِحَتْ أبواب السماء ولها شرر كشرر النار ، ثم دعوتَ الثالثة فهبط جبريل عليه السلام علينا مِنْ قِبَل السماء وهو ينادي : مَنْ لهذا المكروب ؟ فدَعَوْتُ ربي عز وجل أنْ يُوَلِّيني قتله ، واعلم يا عبد الله أنه مَنْ دعا بدعائك هذا في كل كربة وكل شدة وكل نازلة فرّج الله تعالى عنه وأعانه . قال : وجاء التاجر سالماً غانماً حتى دخل المدينة ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بالقصة وأخبره بالدعاء ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لقد لقّنك الله عز وجل أسماءه الحسنى التي إذا دُعِيَ بها أجاب ، وإذا سُئِلَ بها أعطى [1] .

وقيل : هو الرحمن .

وقيل : الرحيم .

وقيل غير ذلك .....

واعلم أنَّ الناس يذكرون أسماء كثيرة ، تارّة بالعبرانية وتارة بالسريانية ، وتارة بلغات أُخَر مجهولة ويزعمون أنها هي الاسم الأعظم ، والاستقصاء في شروحها يطول .

فهذا كله تفصيل مذاهب مَنْ يقول : الاسم الأعظم لله معلومٌ للخلق .

---

[1] : هكذا ذكره القشيري والرازي ولم نقف على تخريجه .

القول الآخر قول مَنْ يقول : إنه غير معلومٍ للخلق ، وقد وردت الروايات الكثيرة بهذا المعنى .

ويقال : إنَّ لله أربعة ألف اسم : ألف لا يعلمه إلّا الله ، وألف لا يعلمه إلّا الله والملائكة ، وألف لا يعلمه إلّا الله والملائكة والأنبياء ، وأمّا الألف الرابع فإنَّ المؤمنين يعلمونه : فثلاثمائة منها في التوراة ، وثلاثمائة في الإنجيل، وثلاثمائة في الزبور، ومائة في القرآن : تسعة وتسعون منها ظاهرة ، وواحد مكتوم ، مَنْ أحصاها دخل الجنة .

قالوا : وإنما جُعِلَ الاسم الأعظم مكتوماً ليصير ذلك سبباً لمواظبة الخلق على ذِكْر جميع الأسماء ، رجاء أنه ربما مرّ على لسانه ذلك الاسم أيضاً ؛ ولهذا السبب أخفى الله الصلاة الوسطى في الصلوات ، وليلة القدر في الليالي .

وهو في الحقيقة خَفِيٌّ بين الأسماء ، الله أعلم به سبحانه .

*****

هذه الطبعة الثانيـة مع إضافات أوسع لشرح أسمـاء الله الحسنى
نسأل الله تعالى أنْ تكون خالصة لوجهـه لنلقـاه بها وهو عنـا راض
وصلّى الله على سيدنـا محمد سـيّد الذاكريـن والـمُوَحِّدين
وعلى آلـه وأصحابـه والتـابعين والمسـلمين إلى يوم الديـن
والحمـد لله رب العالـميـن
الثـلاثـاء ٢ / محرم / ١٤٣٥هـ
٥ / نوفمبر / ٢٠١٣م

المراجع

كتب الحديث (المتون / التراجم / التاريخ) :

صحيح البخاري – صحيح مسلم – سنن الترمذي – سنن النسائي – سنن أبي داود – سنن ابن ماجة – مسند الشافعي – مسند أحمد بن حنبل – موطأ مالك – صحيح ابن خزيمة – صحيح ابن حبان – سنن الدارمي – سنن البيهقي – مسند أبي نعيم – المستدرك للحاكم – مستخرج أبي عوانة – الأدب المفرد للبخاري – تاريخ البخاري – مصنف ابن أبي شيبة – مسند أبي داود الطيالسي – مسند الحميدي – مسند عبد بن حميد – مسند أبي يعلى الموصلي – مسند البزار – مسند إسحاق بن راهويه – مسند الروياني – مصنف عبد الرزاق – الجامع لمعمر بن راشد – التمهيد لابن عبد البر – شعب الإيمان للبيهقي – سنن الدارقطني – المعجم للطبراني – مسند الشاميين للطبراني – الآحاد والمثاني للضحاك – مسند الشهاب للقضاعي – التدوين للرافعي – حلية الأولياء لأبي نعيم – تاريخ بغداد للخطيب – الفوائد للشوكاني – الأحاديث المختارة للمقدسي – المعرفة لأبي نعيم – مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا – مكارم الأخلاق للخرائطي – الزهد للبيهقي – الدعاء للطبراني – تاريخ دمشق لابن عساكر – المطالب العالية لابن حجر – الدرر للسيوطي – طبقات ابن سعد – أخبار مكة للفاكهي – أخبار أصبهان لأبي نعيم – معجم الشيوخ للذهبي – معجم ابن الأعرابي .

كتب شرح الأسماء الحسنى :

❋ المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي .

❋ شرح أسماء الله الحسنى لأبي القاسم القشيري .

❋ الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي .

❋ لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات لفخر الدين الرازي .

❋ العجالة الحسنى في شرح أسماء الله الحسنى لجلال الدين السيوطي .

فهرس

مقدمة المؤلف	٣
مقدمة الكتاب	٥
لفظ الجلالـة الله	٩
الرحمن الرحيم	١٣
الـملك	٢٢
القدوس	٢٦
السلام	٢٩
الـمؤمن	٣٢
الـمهيمن	٣٦
العزيز	٣٨
الجبار	٤٢
الـمتكـبر	٤٥
الخـالق البارئ الـمصوّر	٤٨
الغفـار	٥٣
القهار	٥٥
الوهاب	٥٩
الرزاق	٦٣
الفتـاح	٦٩
العليم	٧٣

القابض الباسط ٧٩
الـخافض الرافع ٨٣
الـمعز الـمذل ٨٦
السميع ٩١
البصير ٩٣
الـحكم ٩٩
العدل ١٠٩
اللطيف ١١٦
الـخبير ١٢٨
الـحليم ١٣١
العظيم ١٣٥
الغفور ١٤٠
الشكور ١٤٤
العلـي ١٥٠
الكبيـر ١٥٣
الـحفيظ ١٥٥
الـمقيت ١٦٥
الـحسيب ١٧٠
الـجليل ١٧٧
الكريم ١٨٣
الرقيب ١٨٥
الـمجيب ١٨٩
الواسع ١٩٤
الـحكيم ١٩٧
الودود ٢٠٥

الـمجيد ٢٠٨
الباعث ٢١٠
الشهيد ٢١٤
الـحق ٢١٧
الوكيل ٢٢٢
القوي الـمتين ٢٢٧
الولـي ٢٣١
الـحميد ٢٣٤
الـمحصي ٢٣٩
الـمبدئ الـمعيد ٢٤٣
الـمحيـي الـمميت ٢٤٧
الـحي ٢٥١
القيوم ٢٥٣
الواجد ٢٥٦
الـمـاجد ٢٥٨
الواحد ٢٥٩
الصمد ٢٦٢
القادر الـمقـتدر ٢٦٥
الـمقدم الـمؤخر ٢٦٨
الأول الآخر ٢٧٢
الظاهر الباطن ٢٧٦
الوالـي ٢٨١
الـمتعال ٢٨٢
البـر ٢٨٣
التواب ٢٨٦

المنتقم ٢٩٠
العفو ٢٩٥
الرؤوف ٢٩٩
مالك الملك ٣٠٣
ذو الجلال والإكرام ٣٠٥
المقسط ٣١٠
الجامع ٣١٤
الغني ٣١٩
المغني ٣٢٠
المانع ٣٢٣
النافع الضار ٣٢٧
النور ٣٣٢
الهادي ٣٣٦
البديع ٣٤٢
الباقي ٣٤٤
الوارث ٣٤٨
الرشيد ٣٥١
الصبور ٣٥٦
اسم الله الأعظم ٣٦١
خاتمة الكتاب ٣٧٢
المراجع ٣٧٣
الفهرس ٣٧٤

تم بحمد الله